

كلية دار العلوم

قسم التاريخ الإسلامي

والحضارة الإسلامية

أطروحة علمية مقدمه للحصول على درجة الدكتوراه

بعنوان

"دور الأمويين في دعم ورعاية العلوم الدينية في المشرق الإسلامي

(٤١ – ١٣٢هـ/ ٦٦١ – ٧٥٠م)

"دراسة تاريخية"

إعداد الباحث

يوسف راشد رشدان

إشـــــراف

أ.د/ محمد سيد كامل محمد

رئيس قسم التاريخ الإسلامي

كلية دار العلوم – جامعة المنيا

أ.د/ أحمد عبد السلام ناصف

رئيس قسم التاريخ – كلية الآداب

جامعة طنطا

٢٠١٨ / ٢٠١٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

"قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِى ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ" صدق الله العظيم

سورة آل عمران، الآية ٢٦



كلية دار العلوم

قسم التاريخ الإسلامي

والحضارة الإسلامية

رسالة دكتوراه

في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

اسم الطالب: يوسف راشد رشدان

عنوان الرسالة: "دور الأمويين في دعم ورعاية العلوم الدينية في المشرق الإسلامي(٤١ – ١٣٢هـ/ ٦٦١ – ٧٥٠م) دراسة تاريخية"

القسم: التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

كلية: دار العلوم

الجامعة: المنيا

سنة المنح: ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م

الدرجة العلمية: الدكتوراه

التقدير: مرتبة الشرف الأولى



كلية دار العلوم

قسم التاريخ الإسلامي

والحضارة الإسلامية

رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي

اسم الطالب: يوسف راشد رشدان

عنوان الرسالة: "دور الأمويين في دعم ورعاية العلوم الدينية في المشرق الإسلامي(٤١ – ١٣٢هـ/ ٦٦١ – ٧٥٠م) دراسة تاريخية"

لجنة الإشراف:

الاسم	الوظيفة	الكلية والجامعة
أد/ محمد سيد كامل محمد	رئيس قسم التاريخ الإسلامي	دار العلوم- المنيا
أد/ أحمد عبد السلام ناصف	رئيس قسم التاريخ	الآداب- طنطا

لجنة المناقشة والحكم:

الاسم	الوظيفة	الكلية والجامعة
أد/ حمدي عبد المنعم حسين	أستاذ دكتور	الآداب- الأسكندرية
أد/ أحمد توني عبد اللطيف	أستاذ دكتور متفرغ	دار العلوم- المنيا

موافقة لجنة الدراسات العليا:

موافقة مجلس الكلية:

موافقة مجلس الجامعة:

أجيزت الرسالة بتاريخ:

ختم الإجازة:

شكر وتقدير

(رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)

أتقدم بخالص الشكر والمحبة والتقدير لأشخاص عظام وقفوا معي ودعموني على طريق الحياة والبحث العلمي حتى استطعت أن أصل لهذا اليوم العظيم، أما عن بحثي هذا فإنني أدين بالفضل لأساتذتي الأفاضل، وخصوصًا لأستاذي صاحب الفضل الكبير الأستاذ الدكتور العالم الجليل/ محمد سيد كامل أستاذ ورئيس قسم التاريخ كلية دار العلوم جامعة المنيا، الشخصية العلمية الفريدة صاحب المدرسة المتميزة المرموقة في التاريخ الإسلامي، إنه قامة علمية رفيعة، وأشرف بانتسابي لمدرسته العلمية الفريدة، وهو دومًا مثالٌ للعطاء والعلم الغزير، وما زال أمامي الكثير والكثير لأنهل من بحر علمه الغزير.

وكذلك أتقدم بخالص الشكر والتقدير لأستاذي الأستاذ الدكتور أحمد عبد السلام ناصف، ذلك الإنسان الذي قلما يجود الزمان بمثله فكان نعم الأب ونعم الأستاذ وفوق كل ذلك نعم الإنسان؛ لذا فإنني أدعو الله بخالص الإيمان أن يبارك لنا في عمره ويرزقه الصحة والعافية ليكون دائمًا نبراسًا وعونًا ومنارةً لطلاب العلم ومحبيه.

وإلى الذي أكبر من كل شكر وأجل من كل تقدير الأستاذ الدكتور/ حمدي عبد المنعم حسين علامة التاريخ الإسلامي وأيقونته العظيمة أستاذ التاريخ الإسلامي جامعة الإسكندرية، الذي شعرت بالفخر عندما وافق على مناقشة هذا العمل المتواضع فله مني كل الحب والتقدير، وأشرف بأن اسم سيادته اقترن بهذه الرسالة، ولم لا فهو أستاذ الأساتذة من المحيط للخليج.

وبغاية الحب أتقدم بخالص الشكر والعرفان والحب للأستاذ الدكتور/ أحمد توني عبد اللطيف أستاذ التاريخ الإسلامي جامعة المنيا العالم الجليل الذي شرفني بالموافقة على المناقشة فله مني جزيل الحب والشكر والتقدير. وأتقدم أيضًا بالشكر للقائمين على مكتبة كلية دار العلوم جامعة المنيا، وجامعة القاهرة، ودار الكتب، ومكتبة الإسكندرية، فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله.

يوسف راشد رشدان

المقدمة

مقدمة

تأتي الدولة الأموية كأول الدول التي اهتمت بدعم ورعاية العلوم الدينية، والعلوم الدينية في مفهومها الاصطلاحي هي تلك العلوم التي تتخذ من القرآن الكريم نقطة انطلاقة لها، وتتكامل فروعها المعرفية بعلوم القراءات وعلم التفسير وعلم الحديث.

لقد كانت الدولة الأموية التي تمخضت عن صراعات سياسية ومذهبية وقبلية، تبحث لنفسها دائمًا عن صيغة تدعم حكمها في نفوس وقلوب رعاياها، ولما كانت العلوم الدينية هي البوابة الأهم لقلوب الناس؛ لارتباطها بالدين ودورها في تدعيم الدين الإسلامى في نفوس وقلوب العناصر السكانية في الدولة؛ لذا ارتكزت عليه.

لقد قامت الدولة الأموية بحركة دعم ضخمة لهذه الفروع من فروع المعرفة النقلية سواء عن طريق دعم المؤسسات الراعية لهذه العلوم، أو عن طريق ضخ تمويل ودعم لتسهيل نقل ودراسة هذه العلوم؛ مما ساعد على انتشار هذه العلوم في شتى أنحاء العالم الإسلامي، أضف إلى ذلك ما أبدته السلطة الأموية من احترام بالغ وامتيازات ضخمة للفقهاء وعلماء الدين الذين أخذوا على عاتقهم مهمة نشر هذه العلوم.

وعلى جانب آخر فلم تكن مهمة نشر هذه العلوم ودعمها مقصورة على مؤسسات العلم فقط، بل زاد الأمويون في ذلك بشكل منقطع النظير حيث أوفدوا الفقهاء وعلماء الدين كمرافقين للجيوش الإسلامية الفاتحة، وكانت مهمتهم تتعلق بتعليم أهالي البلاد المفتوحة القرآن الكريم والحديث والسنن وكل ما يتعلق بالعلوم الدينية؛ وقد أدت هذه السياسات إلى سهولة انتشار العلوم الدينية في مختلف أمصار العالم الإسلامي آنذاك.

بالإضافة إلى ما سبق فقد كانت الدولة الأموية –سواء كانوا خلفاء أم كبار رجال الدولة– يقومون بحركة دعم وتشجيع للعلوم الدينية في المراحل التعليمية كافة، فكانوا حريصين على وجود الفقهاء في المساجد كما قاموا بدفع رواتب سخية للمعلمين القائمين على تدريس العلوم الدينية، فضلًا عن دفع رواتب وأجور للطلبة المهتمين بهذا الفرع من فروع المعرفة.

وفي المنحى ذاته، كان الأمويون حريصين أشد الحرص على أن يتلقى أبناؤهم تنشئة دينية متميزة، من خلال ما عرف بالمؤدب الخاص، فكان حرصهم على أن يتلقى أبناؤهم كافة فروع المعرفة الدينية على يد فقهاء وعلماء حرصاً غير منقوص.

واستمرارًا من الأمويين في دعم العلوم الدينية فقد كانوا حريصين أشد الحرص على الاهتمام بالمؤسسات الحاضنة لهذه الفروع من فروع المعرفة، فكانت المساجد والكتاتيب والأربطة تتلقى دعمًا ماديًّا ومعنويًّا؛ حتى يتسنى لها نشر العلوم الدينية بيسر واقتدار.

كما كانت الرحلة في طلب العلم في ظل الحكم الأموي رحلة حرص الأمويون على جعلها رحلة مأمونة وميسورة ومدعومة أيضًا إسهامًا منهم فى دعم حركة العلوم النقلية الممثلة فى العلوم الدينية بشكل خاص.

لقد تمثلت هذه العلوم فيما يعرف بـ"علم القراءات"فقد كان اختلاف القراءات عاملًا من عوامل النشاط التأليفي المصاحب للأمر، فاشتهر القراء السبعة وهم عبد الله بن عامر اليَحْصُبي(ت ١١٨هـ/ ٧٣٦م) في دمشق. وعبدالله بن كثير الداري(ت ١٢٠هـ/ ٧٣٨م) في مكة. وعاصم بن بَهْدَلَة(أبو النَّجود) الأسدي الكوفي(ت ١٢٧هـ/ ٧٤٥م). وأبو عمرو زيان بن العلاء التميمي المازني البصري(ت ١٤٥هـ/ ٧٧٠م). وحمزة بن حبيب بن عمارة الزيات التميمي الكوفي(ت ١٥٦هـ/ ٧٧٣م). ونافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي(١٦٩هـ/ ٧٨٥م) في المدينة. وعلي بن حمزة

الأَسدي(مولاهم) الكَسائي(ت ١٨٩هـ/ ٨٠٤م) في الكوفة، هذا ولم تدخر الدولة الأموية جهدًا في دعم ورعاية هؤلاء العلماء.

ويأتي علم الحديث أيضًا كأحد هذه العلوم الدينية التي تلقت دعمًا مهمًّا من الدولة، فقد أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز(٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) بتدوين الحديث الشريف، فقد كتب إلى واليه على المدينة قائلًا له "أن انظر ما كان من حديث رسول الله(ﷺ) أو سُنَّة ماضية، فاكتبه، فإني قد خِفْت دروس العلم وذهاب أَهله". فقام الوالي بهذا العمل، وشاركه فيه كل من القاسم بن محمد بن أبي بكر (ت١٠٧هـ/٧٢٥م) ومحمد بن شهاب الزُّهْري (ت١٢٤هـ/٧٤١م) كما أرسل إلى مختلف الأمصار الإسلامية بأمر وتكليف مفاده "انظروا إلى حديث رسول الله(ﷺ) فاجمعوه"، وهكذا لم يدخر الخليفة الأموي جهدًا ولا دعمًا في رعاية الحديث النبوي وعلومه وتدوينه.

ويأتي علم التفسير أيضًا من العلوم الدينية التي حرص الأمويون على دعمها ورعايتها، وكانت أشهر النماذج المدعومة من الدولة سعيد بن جبير الأسدي (ت٩٥هـ/٧١٣م) الذي كتب تفسيره بناء على طلب من الخليفة عبد الملك بن مروان حتى أنه احتفظ بنسخة منه في بلاط الخلافة؛ مما يوضح لنا مدى حرص السلطة الأموية على هذا الأمر، وكذا مجاهد بن جبر المكي(ت١٠٤هـ/٧٢٢م) والضحاك بن مزاحم الهلالي (ت١٠٥هـ/٧٢٣م) وعطاء بن أبي رباح القرشي (ت١١٤هـ/٧٣٢م) وقَتَادة بن دعامة السدوسي (ت١١٨هـ/٧٣٦م).

فضلاً عن باقي العلوم الدينية الأخرى مثل الفقه والسيرة النبوية، وكان للفقه تحديدًا دور مهم في الرد على المخالفين في زمن كثرت فيه الفتن الدينية والفرق.

كما قام الأمويون أيضًا باحتضان المكتبات ودعمها وتزويدها بالكتب الخاصة بالتفسير والحديث والقراءات، فها هو الخليفة الوليد بن عبدالملك قام بدعم إحدى

مكتبات دمشق بمئات المصاحف وكتب التفسير والحديث والفقه، وغيره من الخلفاء الذين وجهوا دعمًا قويًّا لهذه المكتبات.

وفي المنحى ذاته، فقد كانت المكتبات الخاصة في العصر الأموي أيضًا حاوية آلاف الكتب الدينية والفقهية، حتى أن بعض النصوص التاريخية قد ذكرت أن بعض العلماء المدعومين من الدولة كانت مكتباتهم تملأ بيوتهم حتى تصل إلى السقف.

بقي علينا أن نذكر أن ثمة دوافع مهمة كانت وراء حركة الدعم الأموى للعلوم الدينية، كان أولها دوافع التدين الشخصي وإن كانت هناك دوافع أخرى أكثر أهمية، مثل الدوافع السياسية ومحاولة الاستقطاب الشعبي والدعاية للتقرب من قلوب العوام وتثبيت أركان الحكم، فضلاً عن استخدام القائمين على هذه العلوم كمرافقين وداعمين لرجال الجيش، وإبان التحركات العسكرية.

على أية حال فقد أسهم الأمويون خلفاءَ وأفرادًا في دعم ورعاية العلوم الدينية بشتى الطرق، هذا وقد اشتملت الدراسة على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة كانت على النحو التالي:

التمهيد: يناقش قيام الدولة الأموية.

الفصل الأول: العلوم الدينية في العصر الأموي وأبرز العلماء:

ناقش مكانة علم القراءات، والتفسير، والحديث النبوي الشريف، وعلم الفقه، وأبرز العلماء في الدولة الأموية ورصد الدعم السياسي الأموي للعلوم والعلماء.

الفصل الثاني: طبيعة علاقة رجال السلطة الأموية بعلماء الدين

هذا الفصل رصد دور علماء الدين والفقهاء في العصر الأموي وعلاقاتهم برجال السلطة، والبحث في هذه القضية من خلال علاقتهم بالخلفاء وتحديدًا معاوية

بن أبي سفيان، ويزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم، ورصد الموقف من ثورة عبد الله بن الزبير، وكذا عصر عبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك، ومروان بن محمد، وناقش الفصل الحجاج بن يوسف كأحد أبرز رجال السلطة الأموية، كما رصد الفصل أيضًا علماء الدين والمعارضة الناعمة مع السلطة الأموية، وكذا دور العوامل السياسية في رسم ملامح التعامل بين السلطة والفقهاء في العصر الأموي.

الفصل الثالث: المؤسسات الرئيسة للعلوم الدينية والقائمين عليها

وناقش هذا الفصل الدور المهم الذي قامت به المؤسسات العلمية مثل المساجد، ورصد هذا الفصل كيف كان المنبر يوظف في بعض الأحيان في المعارضة السياسية، وكذا ناقش الفصل دور الكتاتيب في نشر العلوم الدينية في العصر الأموي، وكذا دور البلاط الأموي كأحد أبرز مؤسسات دعم العلوم الدينية، وناقش كيف كان يتم السماح في بعض الأحيان بحركة علمية لأقطاب المعارضة في العصر الأموي، والقصاص الديني، وكذا الأوقاف في العصر الأموي.

الفصل الرابع: دوافع اهتمام الأمويين بدعم ورعاية العلوم الدينية

وناقش هذا الفصل العديد من القضايا، حيث بدأ بالحديث عن ظهور الأحزاب الدينية المعارضة وأثرها في دعم الأمويين للعلوم الدينية، وكذا الإستراتيجية الأموية الخفية لدعم العلوم الدينية، ورصد ماهية السياسات الأموية لدعم العلوم الدينية كمحصلة أخيرة لفكرة الدراسة.

ثم جاءت الخاتمة كخلاصة النتائج الكبرى للبحث، والملاحق، وقائمة المصادر والمراجع.

وفي الحقيقة فقد اعتمد الباحث على العديد من المصادر والمراجع التي أخرجت هذه الدراسة من خلالها وهو ما سأعرض له على النحو التالي:-

دراسة في أهم المصادر والمراجع

-الدينوري،"أبو حنيفة أحمد بن داود" ت(٢٨٢هـ/ ٨٩٥ م):

"الأخبار الطوال"، أبو حنيفة الدينوري صاحب كتاب الأخبار الطوال وكتابه من الكتب التي استفادت منها الدراسة في فصولها كافة استفادة جمة، فهو يروي لنا تفاصيل عن حروب الجمل وصفين والتحكيم وخروج الخوارج وخلافة الحسن وخروج الحسين؛ ولذا كان كتابه من المصادر الأساسية للدراسة، وما يؤخذ عليه أنه في بعض الأحيان صعب عليه التخلص من جلدته الفارسية، وكذا عدم وجود إسناد للروايات التي يوردها.

-اليعقوبي،"أحمد بن أبي يعقوب بن واضح"توفي بعد سنة(٢٩٢هـ/ ٩٠٤ م):

"تاريخ اليعقوبي"، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي وكتابه تاريخ اليعقوبي من أقدم كتب التاريخ ويعد من أهم المصادر التاريخية؛ نظرًا لمعاصرته للكثير من الأحداث التي تعرضت لها الدراسة. لكن له وجهة نظر فارسية.

-الطبري، "أبو جعفر محمد بن جرير"(ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م):

"تاريخ الأمم والملوك"، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري وتُعد موسوعته في التاريخ من المناجم الضخمة لدراسة التاريخ الإسلامي فهو منجم للروايات؛ فالطبري

يورد للحادثة الواحدة عدة روايات يستطيع الباحث أن يقارن بينها ويحاول إعادة قراءة لحوادث التاريخ وخصوصًا إذا ما وقفنا على مصادر الطبري في رواياته المجروح منه والثقة وأيضًا المغيب منها، وفي الحقيقة فإن الدراسة استفادت استفادة جمة من تاريخ الطبري، وكذا كتاب الطبري عن استشهاد الحسين، وهو كتاب ضم بين طياته الروايات كافة التي أوردها الطبري.

-الأصفهاني "أبو الفرج"(ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)

"مقاتل الطالبيين"، من أهم المصادر المتعلقة بالدراسة كتاب الأصفهاني الذي أرخ فيه لجميع القتلى من ذرية أبي طالب منذ عهد الرسول(ﷺ) إلى الوقت الذي شرع يؤلف فيه كتابه وهو جمادى الأول(٣١٣هـ/ ٩٢٥م)، سواء كان المترجم له قتيل الحرب أو صريع السم في السلم، وسواء أكان مهلكه في السجن أم في مهربه أثناء تواريه من السلطان، وقد رتب مقاتلهم على السياق الزمني، وكان ذلك المصدر من أهم المصادر التي أسهمت في تشكيل الدراسة وخصوصًا أنه يعرض معلومات قيمة خاصة بتاريخ الدولة الأموية.

-المالكي، محمد بن عبدالله المعافري(ت ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م)

"العواصم من القواصم في تحقيق موقف الصحابة بعد وفاة النبي"، وهو من المصادر المهمة التي قامت بإعادة قراءة للتاريخ الإسلامي في الفترة الصعبة التي تلت وفاة الرسول(ﷺ)، وحاول تقديم رؤية جديدة للفتنة الكبرى ومقتل عثمان وكذا الجمل وصفين والتحكيم وغيرها من تلك الحوادث الشائكة في التاريخ الإسلامي، واستفادت الدراسة من تلك الرؤية التي قدمها المصدر والذي ينم عن فكر عالٍ وفلسفة راقية قدمها المؤلف.

-ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي(ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)

"المنتظم في تاريخ الملوك والأمم"، في اثني عشر مجلدًا مملوءة بالأحداث التاريخية، وحسب النظام الحولي يؤرخ ابن الجوزي ويقدم لنا معلومات قيمة في التاريخ الإسلامي، استفادت منه الدراسة استفادة كبيرة في شتى موضوعات الدراسة.

-ابن الأثير، أبو الكرم علي بن أحمد الجزري(ت ٦٣٠هـ/١٢٣٨م)**:**

"الكامل في التاريخ"، من أهم المصادر التاريخية أيضًا، وتتأتى أهميته من مكانة ابن الأثير العالية في التأليف التاريخي، وقد نقل ابن الأثير عن الطبري ورغم ذلك فلم يتبع المنهج الحولي للطبري بل اعتمد على المنهج الموضوعي في الكتابة، وقد استفادت الدراسة من المصدر استفادة كبيرة.

-ابن خلدون، "عبد الرحمن بن محمد"(ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)

"المقدمة"، "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، تأتي مقدمة ابن خلدون وتاريخه التالي لها من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة، وتأتي أهمية كتابات ابن خلدون من أنه فيلسوف التاريخ الكبير الذي تُعد آراؤه نموذجًا للحنكة في التاريخ، وقد استفادت الدراسة كثيرًا من ابن خلدون في أجزائها كلها؛ فهو لم يترك شاردة ولا واردة إلا وأعمل فيها العقل والفكر.

-المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي(ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)

تعد كتابات المقريزي من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة، فهو المؤرخ الموسوعي المتعدد الكتابات، والقارئ لكتاباته يتضح له أنه من المتخصصين.

كتب الفرق

-المسعودي، "أبو الحسن علي بن الحسين بن علي"ت(٣٤٦هـ/ ٩٥٧م):

"إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب"، من المصادر الشيعية الاثني عشرية التي تصل في تأريخها لحد التطرف الفكري، والكتاب يحاول تأصيل مسألة الوصية للإمام علي بن أبي طالب منذ بدء الخليقة، فيحاول شرح أن لكل نبي وصيًّا، ثم يؤرخ للأئمة من نسل علي بن أبي طالب وصولًا للإمام الثاني عشر المختفي، والكتاب يعد تأريخًا مهمًّا للدولة الأموية.

-البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد(ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)

"الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية"، يُعد البغدادي أيضًا من أهم المؤرخين الذين تناولوا تاريخ الفرق واستفادت منه الدراسة وخصوصًا في الفصل الأخير.

-الشهرستاني، "محمد بن عبد الكريم بن أحمد"ت(٥٤٨هـ/ ١١٥٣م):

"الملل والنحل"، يُعد الشهرستاني من أهم من أرخ للفرق، فهو صاحب التاريخ الأشهر للملل والنحل، ولا شك أن أي باحث في التاريخ الإسلامى لا بد وأن يتخذ من كتاب الشهرستاني نقطة انطلاقة له؛ فالرجل لم يدع شاردة ولا واردة تتعلق بالخلافات الدينية وتاريخها وآرائها إلا وأوردها.

-ابن الصباغ، علي بن محمد بن أحمد(ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)

"الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة"، يُعد الكتاب من أهم المصادر التاريخية على الإطلاق رغم عدم شهرته، وفي الحقيقة فإن الدراسة قد استفادت استفادة جمة، والكتاب موضوعي في عرضه ممتاز في أسلوبه.

وفي الحقيقة فإن ما سبق لا يعد دراسة نقدية بل هو مجرد عرض وتعريف لأهم المصادر التي شكلت الدراسة وأقامتها بحثًا مقروءًا، ويبرز داخل الدراسة بصورة أدق دور هذه المصادر في تكوين البحث.

وسيجد القارئ في نهاية البحث ثبتًا بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة ورجع إليها الباحث ليقدم هذه الأطروحة.

أما عن **المنهج المتبع** في هذه الدراسة فهو في الحقيقة ليس منهجًا وحيدًا بل حقًّا أنه مناهج متعددة، فكل فصل أو مبحث اختار منهجه ما بين سرد وتحليل ومقارنة وتفكيك للروايات، فكل محور من محاور هذا البحث استلزم منهجًا خاصًّا به فقد استخدم الباحث السرد في عرض العلماء والعلوم، وكذا المنهج المقارن، واعتمد كثيرًا على المنهج التحليلي وتفسير التاريخ، وتحديدًا في الفصل الرابع الذي حاول الكشف عما وراء الإستراتيجية الأموية لدعم العلوم الدينية.

وفيما يتعلق بالدراسات السابقة، فلا توجد دراسة مباشرة موجهة لهذا الموضوع ولكن هناك دراسات قيمة عديدة أُنجزت فى هذا المضمار، منها:-

- حسن محمد حسن دراوشة: مروان بن محمد دراسة تاريخية في أبعاد الصراع على الحكم.

- حسين عطوان: الفقهاء والخلافة في العصر الأموي.

- سمية بنت محمد فرج الوافي: التعليم في الشام في العصر الأموي.

- صفي علي محمد : الحياة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح العربى إلى نهاية الدولة الإخشيدية.

-وجيه لطفى طالب ذوقان: ولاية العهد في العصر الأموي.

فهرس الرسالة

التمهيد

قيام الدولة الأموية

التمهيد: قيام الدولة الأموية:

قد لا نستطيع أن نقدم تأريخًا حضاريًّا للدولة الأموية دون التمهيد لذلك سياسيًّا، وبطبيعة الحال فإن الباحث هنا لن يتحدث تفصيلًا عن المراحل السياسية كافة لتاريخ الدولة الأموية حيث إن ذلك يتطلب دراسات مستقلة بذاتها، إلا أن الحديث عن مرحلة النشأة على يد معاوية بن أبي سفيان قد يكفي لتفهم الظروف التاريخية العصيبة والولادة المتعسرة لقيام الدولة الأموية وما صاحب ذلك من مشكلات وأزمات.

استشهد الإمام علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) سنة ٤٠هـ، وكان الحسن بن علي هو الابن الأكبر للإمام علي، كان الحسن في تلك الآونة هو أكثر الناس حنقًا على أصحاب أبيه، فقد أحس منهم أنهم هم المسئولون عن مقتل أبيه؛ وذلك لتخاذلهم عنه وعدم نصرته في الأيام الأخيرة من حياته"[١] وما أن انتهت مراسم دفن الإمام علي حتى بايع أهل الكوفة الحسن بن علي كخليفة للمسلمين[٢]، وبعد أن بويع للخلافة كان دائمًا ما يشترط على أصحاب أبيه من أهل الكوفة قائلًا لهم "إن تكونوا سامعين مطيعين تسالموا من سالمت، وتحاربوا من حاربت، فارتابوا وقالوا ما هذا لكم بصاحب وما يريد القتال"[٣].

---

[١] الدينوري: الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، د. ت، ص ٢١٦؛ محمد فياض: نشأة التشيع وإشكالية خلافة الرسول حتى مقتل الحسين، دار رؤية للنشر، ٢٠١١، ص٢٨٤، ٣١٥.

[٢] ابن قتيبة: المعارف، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص١٢٣.

[٣] ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧، مصدرة عن طبعة بولاق الأولى، جـ٢، ص ١٨٦.

ومهما يكن من أمر فقد تحرك الإمام الحسن وكذلك تحرك الخليفة معاوية، وكان جيش الحسن تحت قيادة قيس بن سعد، وقيل عبد الله بن عباس وقيس في طلائعه، وتحرك الجيش ولكن يبدو أن مفاجأة كانت تنتظر الحسن بن علي، فعندما نزل الحسن وجيشه في المدائن، شاع بين العساكر أن قيس بن سعد قتل، واهتاج الناس وماج بعضهم في بعض، ووصل بهم الأمر للتطاول على الحسن، فجاءوا إلى سرادقه ونهبوا ما حوله حتى نزعوا بساطه الذي كان عليه، واستلبوا رداءه، وطعنه بعضهم في فخذه... وكاد أمره أن ينحل[١]، فكرههم الحسن كراهية شديدة[٢]، وهنا فكر الحسن مليًّا، واختار حقن الدماء وصلاح الأمة[٣].

وفى الحقيقة فإن الأمر المهم هنا هو موقف أنصار كلا الفريقين، فشيعة الحسن لم يكونوا مطيعين، ولم يكونوا أصحاب موقف حقيقي؛ دلت على ذلك أحداث التاريخ، فعلى سبيل المثال لما قام الحسن أتاه أنصار أبيه السابقون وقالوا له: "يا ابن رسول الله(ﷺ) نحن السامعون المطيعون لك، قال كذبتم فوالله ما وفيتم لمن كان خيرًا مني فكيف توفون لي، وكيف أطمئن لكم"[٤].

ومهما يكن من أمر فإنه في عام ٤١هـ/٦٦١م سار أمير المؤمنين الحسن بن علي بجيوشه نحو الشام، وعلى مقدمته قيس بن سعد –كما ذكرنا– وسار معاوية

---

[١] ابن خلدون: المصدر السابق، جـ١، ص١٨٦.

[٢] ابن كثير: البداية والنهاية،، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص٢، ٨.

[٣] ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، جـ١، ص٦٨.

[٤] المسعودي: إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م، ص١٦٨.

بجيوشه[١] فالتقوا في ناحية الأنبار فرأى الحسن من عسكره الاختلاف عليه وقلة الخبرة، وكان سيدًا وادعًا لا يرى سفك الدماء، فوقع في عسكره هرج ومرج، ووقع النهب حتى أنهم –كما قلنا– نهبوا فسطاطه وضربه أحدهم بخنجر فخدشه وتألم، فمقت أهل العراق[٢]، وهنا اتخذ قراره الخطير وهو التنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان.

فتنزه عنها وترفع عن منازعة معاوية فجرت بينه وبين معاوية المفاوضات التي تمخضت عن تسليم الأمر إلى معاوية، فبايعه الحسن بالخلافة هو ومن كان معه ودخلا معًا للكوفة، وانتهى الأمر وانصرف معاوية إلى الشام والحسن إلى المدينة، وبذلك ذهبت الخلافة لبني أمية بعد مقاتلات ومنازعات كثيرة مع بني هاشم، ولم تثبت لهم الخلافة إلا بعد أن تنازل عنها الحسن بن علي طواعية[٣].

وربما يمكننا فهم الأسباب لتنازل الحسن بن على عن الخلافة والتي تمثلت إحداها فى الطبيعة السلمية في شخصية الحسن بن علي، فقد كان الحسن وديعًا لا يرى سفك الدماء، ولم يكن هذا عن عجز، وإنما عن قوة كانت في تربيته منذ كان صغيرًا، فها هو أبوه الإمام علي ينصحه صغيرًا بألا يدعو أحدًا إلى المبارزة، "ولكن لا يدعوك أحدٌ إليه إلا أجبته"[٤]، وكذا خوف الإمام الحسن من سفك دماء المسلمين،

---

[١] الدمشقي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، جـ١، ص٥٢.

[٢] الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٤٨م، جـ١، ص٤٧.

[٣] المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٩٧٣م، جـ٣، ص٤.

[٤] ابن قتيبة: عيون الأخبار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣، مج١، جـ٢، ص١٢٨.

فقد ذكر الإمام الحسن أكثر من مرة أنه تخلى عن هذا الأمر حقنًا لدماء الأمة، وجمع كلمتهم، وعبر عن ذلك عندما خطب في الناس بعد التنازل فقال: "أيها الناس إن الله عز وجل هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا.."، فمن المفترض أن الحسن كان هو الإمام والخليفة آنذاك، ومعه جيش الدولة، اجتمع معه جنوده المسلمون أكثر مما كان مع أبيه في صفين، فكان تنازله رغم قوته خوفًا على دماء المسلمون، فإنه كما قال "إن الفئتين متكافئتان أو قريبتا التكافؤ، فلا يقطع ظفر واحدة إلا بعد فناء معظم الأخرى، والترك لذلك من أعظم مناقبه"[١]، وذكر في موضع آخر "لقد كانت جماجم العرب في يدي، يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت، فتركتها ابتغاء وجه الله وحقن دماء أمة محمد صلعم"[٢].

فضلًا عن العامل الاقتصادي، حيث اشترط الحسن على معاوية أن يحمل له خراج الأهواز كل عام، ويحمل أيضًا للحسين كل عام ألفي ألف، وكذلك يعطيه ما في بيت مال الكوفة وقدره خمسة آلاف وقيل سبعة آلاف، وأن يسدد له جميع ديونه، وفعلًا تسلم الحسن بيت المال، فحملها وأجرى عليه معاوية في هذه السنة التي تنازل فيها ألف ألف درهم[٣]وأن يحمل له خراج الأهواز كل عام[٤]، وأن يأخذ ما شاء من بيت المال ليقضي منه دينه، وبالفعل تسلم الحسن بيت المال وكان فيه سبعة آلاف ألف درهم، وقيل خمسة آلاف ألف درهم، وكذلك أجرى عليه معاوية في هذه السنة

---

[١] السيوطي: تاريخ الخلفاء، تعليق: جمال محمود مصطفى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص١٥٣.

[٢]السيوطي: المصدر السابق والصفحة.

[٣] الدينوري: الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، د. ت، ص٢١٨.

[٤] الدينوري: المصدر السابق والصفحة.

ألف ألف درهم[١]، وأن يحمل إلى أخيه الحسين بن علي كل عام ألفي ألف درهم[٢]، وأن يؤمن شيعته كلما أصابوا من الأموال[٣]، وألا يطالب أحدًا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه[٤].

أما بيت القصيد فهو فهم الحسن لطبيعة أنصاره فهمًا صحيحًا، فلم يثق الإمام الحسن بهم يومًا واحدًا، ودائمًا ما أعلن هذه الحقيقة وصرح بها، فقال لهم الحسن: "يا أهل الكوفة لم تذهل نفسي عنكم إلا لثلاث خصال مقتكم أبي، وسلبكم ثقلي، وطعنكم بطني"[٥]، وكذلك قوله: "سخى نفسي عنكم ثلاث قتل أبي، وطعني، وانتهاب بيتي، ألا وقد أصبحتم بين قبيلين، قبيل بصفين يبكون له، وقبيل بالنهروان يطلبون بثأره، وأما الباقي فخاذل وأما الباكي فثائر"[٦].

وفي موضع آخر ينقل عن الحسن أنه قال: "ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل عندما رأيت من تباطؤ أصحابي ونكولهم عن القتال"[٧]، فكان العامل الرئيس؛ لذلك أنه رأى من أصحابه الفشل وذلك على حد تعبير الدينوري[٨]،

---

[١] السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٥٣.

[٢] الدينوري: المصدر السابق، ص٢١٨.

[٣] ابن خلدون: العبر، جـ٢، ص١٨٧.

[٤] السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٥٣.

[٥] المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٩٧٣م، جـ٣، ص٨.

[٦] ابن خلدون: العبر، جـ٢، ص١٨٧.

[٧] الدينوري: الأخبار الطوال، ص٢٢١.

[٨] المصدر السابق والصفحة.

فكما أسلفنا بأن أهل الكوفة قد انتهبوا سرادق الحسن ورحله وطعنوه بالخنجر، وطبقًا للمسعودي أنه لما رأى ذلك منهم انقاد للصلح[١].

فقد أثرت هذه المواقف من أهل الكوفة في نفسية الحسن، دعت بعض المصادر للقول – وهو حقيقة – بأنه مقت أهل العراق، ولم ير إلا الصلح خلاصًا منهم، وعبر عن ذلك في غير موضع، فقال "لا خير فيكم قتلتم أبي بالأمس واليوم تفعلون في هذا"[٢].

ويوجد عدة أمثلة أولها أن الحسن وجه رجلًا من أنصاره من كندة في أربعة آلاف على مقدمته لحرب معاوية، وأمره أن يعسكر بالأنبار، ولا يحدث شيئًا حتى يأتيه أمره، وتمضي الرواية أن الكندي لما نزل الأنبار بعث إليه معاوية رسولًا يعده ويمنيه ويبذل له الأموال، وأن يوليه من أعمال الشام والجزيرة ما يختاره، وحمل إليه خمسين ألف درهم صلة له ومعونة على سفره، فقبض الكندي ذلك المال، ومضى إلى معاوية، وعرف الحسن ذلك فقام يخطب في الناس ساخطًا: "أيها الناس هذا فلان الكندي قدمته بين يدي الله لمحاربة معاوية، فبعث إليه بمال ووعده ومناه فذهب إليه وقد أخبرتكم مرة أنه لا وفاء لكم ولا ذمة". ثم أن الحسن أرسل رجلًا آخر منهم لمعاوية في أربعة آلاف آخرين، وتقدم إليه في مشهد من الناس وحذره الغدر والنكث، فلما صار إلى الأنبار أتاه رسول معاوية بمثل ما أتى الكندي فتوجه إليه هو الآخر، فقام الحسن خطيبًا أشد سخطًا قائلاً "قد عرفتكم أنكم لا تفون بعهد ولا تستأمنون إلى عقد، وقد غدر المرادي والكندي، فقام أناس منهم فقالوا إن كان الرجلان قد غدرا فنحن ننصح ولا نغدر، فقال لهم كلا وإني لأعذر بيني وبينكم، مع علمي بسوء ما

---

[١] المسعودي: مروج الذهب، جـ ٣، ص ٩.

[٢] الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، جـ١، ص٤٨.

تبطنون وتنطوون عليه وموعدكم عسكري بالنخيلة"، ثم أنه خرج فعسكر بالنخيلة وأقام عشرة أيام فلم يلحق به منهم إلا عدد يسير فانصرف الحسن إلى الكوفة وقام خطيبًا وقال: "يا عجباً من قوم لا حياء له ولا دين، ومن غدرة بعد غدرة أما والله لو وجدت أعوانًا لقمت بهذا الأمر خير قيام، ونهضت به أي نهوض، وايم الله لا رأيتم فرجًا ولا عدلًا أبدًا مع بني أمية، وليسومونكم سوء العذاب، ثم نزل وهو يقول وأعتزلكم وما تعبدون من دون الله، فاتبعه منهم عدد يسير إشفاقًا عليه وحقنًا لدمه"[١].

الأمر الأهم أن الحسن لم يكن هذا الفكر جديدًا عليه، ولا بسبب ما حدث في عهده بل كان سخطه عليهم قبل ذلك بكثير، فها هو الحسن يقول لأبيه الإمام علي عندما أتى كتاب معاوية يمتنع فيها عن بيعته، تحدث الحسن في عدة أمور أهمها أنه قال له بخصوص أصحابه "فإن رفضوك رفضتهم، وإن قبلوك قبلتهم فإني والله قد رأيت الغدر في رؤوسهم وفي وجوههم النكث والكراهية"[٢].

وبذلك فالحسن لم يتنازل عن الخلافة إلا بعد فهمه الموقف الحقيقي لأنصاره، وفي الحقيقة فقد كان الشرط الأول أن يكون الأمر من بعد معاوية للحسن، والمقصود بالأمر هنا أمر الخلافة، أي أن يكون الحسن بن علي ولي العهد معاوية، ويبدو أن هذه أول مرة يتحدث فيها عن وجود ولي العهد لمعاوية، أقرها الحسن لكنها لم تنل شهرة ولاية يزيد للعهد كونها لم تحدث لوفاة الحسن وكلمة ولي العهد بنصها تذكرها المصادر[٣].

إلا أن بيت القصيد في أن الحسن بن علي كان فعلًا يقصد أن يكون وليًّا للعهد، وقد كان هو الذي سأم العمل السياسي، وأراد أن يلتقط أنفاسه ويأخذ استراحة

---

[١] المسعودي: إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، ص١٦٨ والتي تليها.

[٢] ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، تحقيق: خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، د.ت، جـ١، ص٦٤.

[٣] السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٥٣.

محارب، وينهي حياته في سلام، وربما قصد من ذلك أنه بعد معاوية يعود الأمر شورى للمسلمين، وألا يسب أحد من الأمويين الإمام عليًّا في حضرة الحسن[١] وأن يضمن له ولشيعته الأمان، وعلى ما أصابوا من الدماء ولا يؤخذ أحد من أهل العراق بأمنه، وأن يؤمن الأسود وألايحمل ويحتمل ما يكون من هفواتهم[٢].

وهناك رواية مهمة فيذكر المسعودي "أنه لما صالح الحسن معاوية كبر معاوية في الخضراء وكبر أهل الخضراء، ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء، فقالت له إحدى السيدات: سرك الله يا أمير المؤمنين ما هذا الذي بلغك، قال: أتاني البشير بصلح الحسن وانقياده، فذكرت قول رسول الله(ﷺ) "إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين"فالحمد لله الذي جعل فئتي أحد الفئتين"[٣].

ونظرًا لاجتماع الأمة بعد الصلح في هذا العام، فقد سمي هذا العام بعام الجماعة الأول وكان ذلك عام ٤١هـ/٦٦١م؛ نظرًا لاجتماع كلمة المسلمين فيه على خليفة واحد هو معاوية بن أبي سفيان.

---

[١] الذهبي: العبر، جـ١، ص٤٨.

[٢] الدينوري: الأخبار الطوال، ص٢١٨.

[٣] المسعودي: العبر، جـ٣، ص٨؛ محمد فياض: نشأة التشيع وإشكالية خلافة الرسول حتى مقتل الحسين"القاهرة، دار رؤية، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص٣٠٧.

الفصل الأول:

العلوم الدينية في العصر الأموي وأبرز العلماء

الفصل الأول

العلوم الدينية في العصر الأموي وأبرز العلماء

مدخل: قامت الدولة الأموية بحركة دعم ضخمة للعلوم الدينية سواء عن طريق دعم المؤسسات الراعية لهذه العلوم، أو عن طريق ضخ إمداد ودعم لتسهيل نقل ودراسة هذه العلوم؛ مما ساعد على انتشار هذه العلوم في شتى أنحاء العالم الإسلامي، أضف إلى ذلك ما أبدته السلطة الأموية من احترام بالغ وامتيازات ضخمة للفقهاء وعلماء الدين الذين أخذوا على عاتقهم مهمة نشر والقيام بأعباء هذه العلوم، وفي هذا الفصل سيناقش الباحث بعض العلوم الدينية التي نالت رعاية ودعم خلفاء الدولة الأموية:

وفي الحقيقة فقد صنف ابن خلدون العلوم التي يخوض فيها البشر، ويتداولونها في الأمصار، تحصيلًا وتعليمًا إلي صنفين:-

- صنف طبيعي: يهتدي إليه الإنسان بفكره، وهي العلوم الحكمية الفلسفية(العلوم العقلية)، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها [١]. وتشمل العلوم العقلية: الطب والكيمياء والفلسفة والرياضيات والفلك والموسيقي والتاريخ والجغرافيا [٢].
- صنف نقلي: وهي العلوم النقلية الوضعية، وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي، ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول.

---

١ ابن خلدون: المقدمة، ج 2، ص 171.

٢ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٤م، ج٤، ص ٤١.

وأصل هذه العلوم كلها من الشرعيات، من الكتاب والسنة، ويتبع هذه العلوم علوم اللسان العربي [١]، وتشمل العلوم النقلية: علم القراءات، وعلم التفسير، وعلم الحديث، والفقه، وعلم الكلام، والنحو، واللغة، والأدب[٢].

علوم القرآن:(أ) القراءات:

كان للقراءة شأن عظيم في أول الإسلام؛ لقلة الذين يقرأون يومئذ، فكان الذين يحفظون القرآن هم القراء، تمييزًا لهم عن سائر الصحابة؛ لأنهم كانوا أميين، القراء الذين يقرأون الكتاب وليسوا أميين؛ لأن الأمية صفة عامة في الصحابة بما كانوا عربًا، فقيل لحملة القرآن يومئذ قراء.. إشارة إلى هذا فهم قراء لكتاب الله والسنة والمأثور عن الله؛ لأنهم لم يعرفوا الأحكام الشرعية إلا منه ومن الحديث عن أنس بن مالك قال: مات النبي(ﷺ) ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبي الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي زيد[(٣)].

وكان علم القراءات من أهم العلوم، وكانت قراءة القرآن العظيم تتم على نسق القراءات السبع، ويذكر ابن خلدون عن قراءات القرآن فيقول: "هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف، وهو متواتر بين الأمة، إلا أن الصحابة رووه عن الرسول(ﷺ)، في طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في

---

١ ابن خلدون: المقدمة، ص ١٧١.

٢ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٤، ص ٤١٦.

(٣) الذهبي: تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧، ج١، ص٢٢؛ صفي علي محمد: الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح العربي إلى نهاية الدولة الإخشيدية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠، ص١٨٣؛ سمية الوافي: التعليم في الشام في العصر الأموي، رسالة ماجستير، كلية التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٨هـ، ص١٣٤.

أدائها، وتنوقل ذلك واشتهر، إلى أن استقرت فيها سبع طرق معينة تواتر نقلها أيضًا بأدائها، واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها"[١].

وظهرت للقراءات سبع طرق، كل طريقة تمثلها مدرسة تعرف بها، وترجع هذه القراءات إلى الصحابة الذين اختلفوا فيما بينهم حول قراءة ألفاظ القرآن، قال ابن خلدون: "إن الصحابة رووا القرآن عن رسول الله(ﷺ) وعلى طرق مختلفة في بعض ألفاظه. وكيفيات الحروف في أدائها، وتنوقل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها أيضًا بأدائها واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجم الغفير فصارت هذه القراءات السبع أصولًا للقراء. وربما زيد بعد ذلك قراءات أخرى ألحقت بالسبع إلا أنها عند أئمة القراءة لا تقوى قوتها في النقل"، وزيدت هذه القراءات إلى عشر والقراءات العشر كلها جائزة عند المسلمين. وعند الأمة، وقد يختار الإقليم الواحد قراء واحدة أو قراءتين أو أكثر، وقد تقرأ كل القراءات في إقليم واحد[٢].

وكانت الرواية والإسناد أساسًا مهمًّا في قراءة القرآن، كقولهم قرأ فلان على فلان[٣]؛ لذلك يعرف البعض القراءات بأنها هي الطرق والروايات القرآنية بالإسناد والمتبعة لا المبتدعة في تلاوة القرآن ورسمه[٤].

وهذه القراءات المختلفة تدور حول المصحف العثماني، وهو المصحف الذي جمع الناس عليه خليفة المسلمين عثمان بن عفان، وأراد بذلك أن يدفع الخطر الذي أوشك أن يقع في كلام الله في أشكاله واستعمالاته. وقد تسامح المسلمون في هذه القراءات واعترفوا بها جميعًا على الرغم مما قد يفرض من أن الله قد أوصى بكلامه

---

[١] ابن خلدون: المقدمة، ص٤٨٧– ٤٨٨.

[٢] الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٤١؛ صفي علي: الحركة العلمية والأدبية، ص١٨٣.

[٣] جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩٣١، ج٣، ص٦٨..

[٤] عبد الحليم النجار: في قراءات القرآن، القاهرة، د.ت، ص٢.

كلمة كلمة وحرفًا حرفًا، وأن مثله من الكلام المحفوظ في اللوح والذي ينزل به الملك على رسوله المختار، يجب أن يكون على شكل واحد وبلفظ واحد "[١].

وفي الحقيقة فإن الرسول(ﷺ) لم يُتَوفَّ إلا بعد ترتيب القرآن وآياته وسوره ترتيبًا كاملًا. وتلقاه عنه الصحابة بهذا الترتيب، وكان حفظته يسمون بالقراء. ولما استحرَّ القتل بهم في يوم اليمامة في عهد أبي بكر(رضي الله عنه) خشي عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) أن يستجر بهم في مواطن أخرى، فيذهب قرآن كثير، فدخل على أبي بكر(رضي الله عنه) لسنتين من خلافته، فقال له: إن أصحاب رسول الله(ﷺ) يتهافتون في المعارك؛ وإني أخشى أن تأتي عليهم. وهم حملة القرآن فيضيع وينسي، فلو جمعته! ولم يزل عمر(رضي الله عنه) يراجعه حتى شرح الله صدره للفكرة ورأى رأيه[٢]، وحيئنذ عهد إلى زيد بن ثابت –أحد كتبة الوحي الأبرار– بجمعه، فجمعه من العسب واللخاف وصدور الحفظة المشهود لهم بالإتقان[٣].

وكان هؤلاء الحفظة هم: أبي بن كعب وعثمان وعلي وعبد الله بن مسعود وطلحة وحذيفة وأبو هريرة وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهم، وتحريًّا في الدقة ومبالغة في الحيطة أمر أبو بكر(رضي الله عنه) أن لا يقبل من حافظ شيء حتى يشهد شاهدان عدلان بصحبته وأنه كتب بين يدي رسول الله(ﷺ)[٤].

---

[١] جولد تسهير: العقيدة والشريعة في الإسلام، تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الإسلامية، ترجمة: محمد يوسف موسى وآخرون، دار الرائد العربي، بيروت، طبعة مصورة عن دار الكتاب المصري، ١٩٤٦، ص٤.

[٢] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تصحيح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية بيروت، سنوات الطباعة ١٩٨٧، ٢٠٠٢، ٢٠٠٣، ج٣، ص٤٦؛ صفي علي: الحركة العلمية، ص١٨٤.

[٣] أبو عبد الله الزنجاني: تاريخ القرآن، طبع لجنة التأليف والترجمة، ١٩٣٥، ص٤٢.

[٤] ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص٤٦.

ولما جمع المصحف حفظ في بيت أبي بكر(ﷺ)، ولما توفي وخلفه عمر(ﷺ) انتقل المصحف إليه، وبعد وفاته انتقل إلى حفصة ابنته أم المؤمنين[١].

وفي عهد عثمان(ﷺ) أخذ القراء في الأمصار البعيدة يختلفون في بعض الأداء، ولم يكن بين أيديهم مصحف أبي بكر(ﷺ) ليرجعوا إليه؛ فأفزع ذلك حذيفة بن اليمان الذي كان يغزو في فتح أرمينية وأذربيجان فهرع إلى عثمان(ﷺ) قائلًا: "إن الناس قد اختلفوا في القرآن حتى إني والله لأخشى أن يصيبهم مثل ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف[٢] فَهَمَّ عثمان بالأمر، وأجمع رأيه على أن يكتب للمسلمين إمامًا يرجعون إليه[٣] فبعث إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالمصحف ننسخ منه نسخًا، ثم نرده إليك، فأرسلت به إليه[٤] فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وقال عثمان للرهط القرشيين، وهم الثلاثة الأخيرون: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في كتابة شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، فصدعوا بأمره[٥].

ورد عثمان(ﷺ) مصحف أبي بكر(ﷺ) إلى حفصة وطابت نفسه، وأمر أن تكتب المصاحف من مصحفه وأن يحملها القراء إلى الأمصار، ويقرئوا الناس على جرفها، وأرسل بالمصاحف إلى مكة والكوفة والبصرة ودمشق والفسطاط وغيرها من الأمصار الإسلامية[٦].

---

[١] أبو عبد الله الزنجاني: تاريخ القرآن، ص٤٣.

[٢] ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص ٤٦، ٤٧.

[٣] ابن الأثير: المصدر السابق، ج٣، ص ٤٦.

[٤] أبو عبد الله الزنجاني: تاريخ القرآن، ص ٤٢.

[٥] أبو عبد الله الزنجاني: المصدر السابق، ص ٤٢، ٤٣.

[٦] ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص ٤٥، ٤٣.

وأمر عثمان بحرق ما سواها، فأطاعته الأمة لما تعلم في صنيعه من الرشد والهداية. ومضى القراء في العالم الإسلامي يقرئون الناس القرآن على حرف هذا المصحف الإمام[١].

غير أن فروقًا حدثت بينهم في القراءة داخل ذلك الحرف، وهي المعروفة بالقراءات، وقد وقع إجماع المسلمين على سبع منها، وهي قراءات ابن عامر وابن كثير وعاصم وأبي عمرو بن العلاء وحمزة ونافع والكسائي، وقد اهتم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب(ﷺ) اهتمامًا خاصًّا بإرسال القراء إلى الأمصار الإسلامية المفتوحة لتعليم أهلها القرآن وتفقيههم في أمور الدين، ومنذ البداية استوجبت قراءة القرآن في الأمصار المفتوحة من يقوم بمهمة التحفيظ والإقراء حيث كان سكان تلك البلاد يدخلون شيئًا فشيئًا في الدين الجديد، وحينما أنفذ عمر بن الخطاب(ﷺ) القراء إلى الأمصار الإسلامية أمرهم أن يجمعوا الناس في المساجد أيام الجمع ويفقهوهم في الدين وقصد الناس هؤلاء القراء أقدم المعلمين في الإسلام وجلسوا بين أيديهم في حلقات أو صفوف يسمعون إليهم ويتتلمذون عليه[٢].

وكانت طبقة قراء القرآن هم الفئة المثقفة المتفهمة للقرآن والسنة النبوية، بوصفهم حاملي علوم الدين والسائرين على سنة الرسول(ﷺ)، فكانوا يتصدون لكل مخالف أو مغاير لكتاب الله وسنة نبيه(ﷺ)، ويتضح ذلك من موقفهم من الثورة ضد عثمان بن عفان(ﷺ) وموقفهم من على بن أبي طالب(ﷺ) في معركة صفين سنة ٣٧هـ/٦٥٧م ولذلك كان القراء اللسان المعبر عن سخط المتدينين على الحكومة القائمة[٣].

---

[١] ابن الأثير: المصدر السابق والجزء، ص٤٦.

[٢] صفي علي: الحياة العلمية، ص ١٨٤ والتي تليها.

[٣] فلهوزن: تاريخ الدولة العربية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٥، ص٢٠؛ صفي علي: الحياة العلمية والأدبية، ص١٨٥.

وقد اشتهر في هذا المجال سبعة من التابعين عاشوا في العصر الأموي في مختلف أقاليم الدولة، وصار كل واحد منهم إمامًا في قراءته وله أتباع وهو ما عرف بالقراءات السبع، ويرى البعض أنها عشر والقراء السبع: هم عبد الله بن عامر اليحصبي الدمشقي (ت١١٨هـ/٧٣٦م) وعبد الله بن كثير الداري المكي (١٢٠هـ/٧٣٩م) وعاصم بن أبي النجود الأسدي (ت١٢٧هـ/٧٤٤م) وأبو عمر ابن العلاء البصري (ت١٥٤هـ/٧٧٠م) وحمزة بن أبي نعيم المدني الزياد (ت١٥٦هـ/ ٧٧٢م) ونافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (ت١٦٩هـ/٧٨٥م) وعلى بن حمزة بن عبد الله الكوفي (ت١٨٩هـ/٨٠٤م)، وعاش هؤلاء القراء في أهم الحواضر الإسلامية آنذاك، ففي مكة كان عبد الله بن كثير الداري، وفي المدينة قراءة نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم مولى أم سلمة زوج النبي(ﷺ) وشيبة بن نصاح المدني وكان إمام أهل المدينة في القراءة[١].

وفي بلاد الشام عبد الله بن عامر اليحصبي[٢] أما في الكوفة فكان عبد الله بن مسعود الذي يعد من فقهاء الصحابة، وقد أشاد عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) بغزارة علمه "وبعثه إلى أهل الكوفة ليقرئهم القرآن ويعلمهم الشرائع والأحكام فبعث عبد الله فيهم علمًا كثيرًا وفقه منهم جمعًا غفيرًا"[٣]. فكان علمه أساسًا لمن بعده مثل عاصم بن أبي النجود الأسدي[٤]. وفي البصرة أبو عمرو بن العلاء وبقراءة هؤلاء تترجح الآراء في التفسير[٥].

---

[١] ابن قتيبة: المعارف، ص٥٢٨-٥٣٢.

[٢] ابن قتيبة: المصدر السابق، ص٥٣٠.

[٣] ابن قتيبة: نفسه، ص٥٣٠.

[٤] ابن قتيبة: نفسه، ص٥٣٠.

[٥] ابن قتيبة: نفسه، ص٥٣١؛ صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٩٧٧، ص٢٤٨.

وفي مصر كان أول ما تلقى المصريون قراءة القرآن على يد الصحابة القراء الذين حضروا إلى مصر أثناء الفتح وبعده والذين استقر أكثرهم بالفسطاط. ومن هؤلاء "عمرو بن العاص"القائد العربي وفاتح مصر. وقد كان "عمرو أحد كتاب النبي(ﷺ)[(١)] وقد صحب النبي، وكان النبي(ﷺ) يقرئه ما في القرآن من سجدات "[(٢)]. ومن الصحابة القراء بمصر أيضًا "أبو ذرالغفاري المتوفى ٣٢هـ، الذي حفظ المصريون عنه عن الرسول(ﷺ) بعض الأحاديث[(٣)].

كما كانت بمصر مكانة خاصة لهذا العلم فى العصر الأموي وكان بها أقطاب من الصحابة، ومن هؤلاء الصحابة "عبد الله بن عمرو بن العاص مؤسس مدرسة مصر الدينية والذي كان ممن نقل عنهم الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام(المتوفى سنة ٢٢٤هـ) شيئًا من وجوه القراءة"[(٤)].

وتشير معظم المصادر إلى أن كل القراءات في مصر رواية عن "نافع بن نعيم"فقيه أهل المدينة الذي احتلت قراءته مركز الصدارة في المدينة. وانتهت رياسة الإقرار هناك إليه وأصبح إمامهم وذاعت شهرته. فتقاطر الناس عليه يتلقون عنه حتى وفاته سنة ١٦٩"[(٥)] وقد حضر نافع إلى مصر أثناء خلافة عمر بن عبد

[(١)] القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص ٩٢.

[(٢)] ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، القاهرة، د.ت، ص ٢٤٩؛ صفي علي: الحياة العلمية، ص ١٨٦.

[(٣)] ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص ٢٤٨؛ صفي علي: المرجع السابق، ص ١٨٥ والتي تليها.

[(٤)] صفي علي: الحياة العلمية والأدبية، ص ١٨٦.

[(٥)] ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أنباء أهل هذا الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، ١٩٦٨م، ج٢، ص ١٥١؛ الذهبي: طبقات القراء، ص٣١، ٣٢.

العزيز فقد بعثه الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليعلم أهلها السنن[١] في حديث واضح الدلالة على الدور الداعم للأمويين في هذا المضمار.

ولكن كان أبرز تلاميذ نافع وأعظمهم شأنًا وأجلهم قدرًا بمصر ورش المقرئ وهو عثمان بن سعيد المصري(١١٠هـ- ١٩٧هـ) وقد اشتغل بقراءة القرآن وتعلم العربية ورحل إلى المدينة حيث لقي نافعًا، فقرأ عليه القرآن ولقبه نافع بالورشان، وتشير بعض المصادر إلى أن ورشًا "كان قبطيًّا مصريًّا وكان مولى لآل الزبير بن العوام، وأن أصل أجداده من الأقباط ثم اعتنقوا الإسلام[٢] ولما عاد ورش إلى مصر، انتهت إليه رئاسة الإقراء بها في زمانه ولم ينازعه فيها منازع، وأصبح ورش شيخ القراء المحققين وإمام أهل الأداء المرتلين"، فقد كان بصيرًا بالعربية ماهرًا فيها مع معرفة بالتجويد. وبذلك كان "ورش ثقة وحجة في القراءة وحسب بعض النصوص فلقد كان ورش جيد القراءة، حسن الصوت إذا يهمز ويمد ويشدد ويبين الإعراب لا يمله سامعه"، ويمثل ورش مرحلة تاريخية في تطور القراءة بمصر[٣]، ويقول تلميذه أبو يعقوب الأزرق، لما تعمق في النحو وأحكمه(يعني ورشًا) اتخذ لنفسه مما قرأ به على نافع مقرأً خاصًّا. يسمى مقرأ ورش خالف فيه نافعًا"[٤].

---

[١] المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار تقديم: محمد مصطفى زيادة، دار التحرير عن طبعة بولاق، ١٢٧٠هـ، ج٤، ص١٤٣؛ صفي علي: الحياة العلمية، ص ١٨٧.

[٢] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨، مصورة عن الطبعة البولاقية الأولى، ج٢، ص ١٥٥.

[٣] عبد الله البري: القرآن وعلومه في مصر من ٢٠هـ، الى ٣٥٨هـ، القاهرة، دار المعارف، د.ت، ص ٢١٥.

[٤] صفى علي: الحركة العلمية والأدبية فى الفسطاط، ص ١٨٨.

وبذلك يكون ظهور ورش في حقيقته هو ظهور المدرسة المصرية ذاتها للقراءة؛ فقد استطاعت أن تستقل بشخصيتها على يد ذلك القارئ القبطي المصري[١].

على أية حال فقد اهتم المسلمون بالقرآن الكريم وعنوا به عناية تامة؛ لمعرفتهم بأهميته فهو دستورهم ومنهجهم فجعلوا منه مصدرًا للبحث في جميع العلوم، فاهتموا بحفظه، ودراسته، وفهمه وتفسيره، وكان المحدثون يرون أنه لا ينبغي أن يطلب المرء الحديث إلا بعد قراءته للقرآن[٢].

ومن القراء الذين نالوا شهرة واسعة في الشام في العصر الأموي بلال بن سعد، الذي قال عنه أبو زرعة "كان لأهل الشام كالحسن البصري في العراق، وكان قارئ أهل الشام جهير الصوت"[٣].

كما كانت الدولة الأموية تقوم بتعيين قراء في المساجد وتنفق عليهم من أموال الأوقاف، كما قام القراء بدور عظيم في تعليم الجند القرآن، فقد كان عطية بن قيس مقرئ دمشق قارئًا للجند، وكان الجند يصلحون مصاحفهم على قراءته[٤].

كما وُجد نوع آخر من الشيوخ كانوا يقرؤون القرآن تطوعًا من أنفسهم يرجون الأجر من الله، فعملوا دعاة لنشر الدين، في حين كلفت الدولة مقرئين نظير أجر؛ لتنشر القراءة الصحيحة التي كان يحرص عليها ولاة الأمر"[٥].

---

[١] عبدالله البري: القرآن وعلومه في مصر، ص ٢١٥.

[٢] البغدادي: الجامع لأخلاق الرواي، وآداب السامع، د.ت، ج١، ص ١٠٨.

[٣] الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١، ج٥، ص ٩١؛ سمية الوافى: التعليم فى الشام، ص ١٣٢.

[٤] سمية الوافى: المرجع السابق والصفحة.

[٥] سمية الوافى: المرجع السابق والصفحة.

على أن المدارسة والتعليم الديني في دمشق لم يظهر إلا في عهد عبد الملك ابن مروان، وكان أول من عمل بها القارئ هشام بن إسماعيل المخزومي، فكان عبد الملك يقرأ بقراءة هشام، فقرأ بقراءته مولى لعبد الملك، فاستحسن قراءته أهل المسجد، وأول من أدخل الدراسة في فلسطين الوليد بن عبد الرحمن الجرسي، وكان يحضرها عدد كبير من أصحاب العلم والسلطة[١]، وهو ما يشير إلى اهتمام حكام بني أمية بحضور مجالس العلم والعلماء.

وفي أواخر عهد التابعين لاحظ كثير من القائمين على قراءة القرآن أن بوادر اللحن وقراءات الأعجميين، بدأ يتسلل إليها اللحن فنهض طائفة منهم بتقويم القراءات[٢].

وقام هؤلاء العلماء بضبط وحصر وإسناد القراءات، ومن قام على هذا الأمر أئمة سبعة نالوا ثقة العلماء والقراء في مختلف الأمصار وإليهم تنسب القراءات السبع وكان منهم نافع، وعاصم، وحمزة وابن عامر، وابن كثير، وابن علاء، والكسائي[٣].

وصار هؤلاء العلماء السبعة أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم لسماعهم، ويؤخذ عنهم، نالت قراءتهم القبول لدى عامة المسلمين ولم يختلف عليهم اثنان[٤]، وكان من هؤلاء الأئمة السبعة في الشام عبد الله بن عامر اليحصبي، خلف أبي الدرداء

---

[١] ابن عساكر: تهذيب تاريخ مدينة دمشق، ج١، ص ٢١٥.

[٢] سمية الوافى: التعليم فى الشام، ص ١٣٣.

[٣] سمية الوافى: المرجع السابق والصفحة.

[٤] ابن الجوزي: النشر في القراءات العشر، ص ٨، ٩.

في القراءة بعد وفاته ٣٢هـ، وظل أهل الشام يقرؤونه بقراءته حتى سنة خمسمائة من الهجرة[١].

ب: التفسير:

التفسير لغة: التبيين والإيضاح، ومنه قوله تعالى: "وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا "أي تبيينًا وإيضاحًا[٢]. (سورة الفرقان– آية ٣٣)

ويرتبط بالعلوم القرآنية علم التفسير، الذي يبحث في استنباط الأحكام الشرعية، ومعرفة الدلالات القرآنية، وكان النبي(ﷺ) يتلقى التنزيل، ويتولى بنفسه تبيانه لأصحابه من المسلمين، واحتفظ الصحابة بما علموه من الرسول(ﷺ)، وروى التابعون عن الصحابة هذا العلم طبقة عن طبقة، وظل الأمر على ذلك حتى دونت الكتب فدون ما علمه الصحابة والتابعون من التفسير، ولم يكن هذا التفسير المدون في ذلك الوقت سوى مجموعة الأحكام الشرعية، والناسخ والمنسوخ حينًا، وأسباب النزول حينًا آخر، وذلك من خلال مجموعة من أحاديث الرسول(ﷺ)[٣].

وكان القرآن الكريم أحد فروع العلوم الدينية الإسلامية التي أسهم فيها علماء المدرسة الدينية في العصر الأموي والتي عملت السلطة على دفعها ودعمها، والتفسير في كلمة موجزة "يعني فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد(ﷺ) وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه[٤].

---

[١] ابن الجوزي: غاية النهاية في طبقات القراء، ط١، ص٤٣٤؛ سمية الوافى: التعليم فى الشام، ص ١٣٤.

[٢] السيوطي: الاتقان، ج٢، ص١٧٣؛ سمية الوافى: التعليم فى الشام، ص ١٣٤–١٣٨؛ صفى علي: الحياة العلمية والأدبية، ص ١٦٤ والتى تليها.

[٣] السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، د.ت، ص ٢٤٨.

[٤] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج١، ص ١٣.

ولما كان القرآن هو المصدر الأول للأحكام، صار لا بد من فهم آياته ليكون فهمها منهاجًا لاستنباط تلك الأحكام، وكان هذا الفهم هو الخطوة الأولى للتفسير. فقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى أساليب العرب في كلامهم؛ فألفاظه عربية إلا ألفاظًا قليلة عربت وأخذت من اللغات الأخرى، ولكن هضمها العرب، وأجريت عليها قوانين العربية، وأساليب القرآن هي أساليب العرب في كلامهم ففيه الحقيقة، وفيه المجاز، وفيه الكفاية.. إلخ، على نمط العرب في حقيقتهم ومجازهم، وهذا طبيعي لأنه يدعو العرب أولًا إلى الإسلام، فلا بد من أن يكون بلغة يفهمونها[١].

أخذ بعض كبار الصحابة، من أمثال علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب رضي الله عنهم، يفسرون القرآن اعتمادًا على ما سمعوه من الرسول(ﷺ) أو بحسب ما وصل إليه فهمهم. ويُعد هؤلاء الصحابة مؤسسي مدرسة التفسير في الإسلام، وحذا حذوهم في ذلك التابعون مثل سعيد بن جبير وغيره[٢].

وكان ابن عباس أكثر الصحابة تفسيرًا، وقد حمل تفسيره كثيرون من التابعين أمثال مجاهد وعطاء وعلي بن أبي طلحة، وهو يعد المؤسس الحقيقي لعلم التفسير فهو الذي نهجه ووضع أصوله، واشتهر بأنه كان يرجع إلى أهل الكتاب في قصص الأنبياء، وأنه كان يعتمد على الشعر القديم في تفسير بعض الألفاظ[٣].

ومن أنواع التفسير تفسير الرواية وهو تفسير نقلي مسند إلى الآثار المنقولة عن السلف، وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآي وكل ذلك لا

---

[١] أحمد أمين: فجر الإسلام، دار أين للنشر، القاهرة، ١٩٤١، ص ٢٢٩؛ صفى علي: الحياة العلمية والأدبية، ص ١٦٤.

[٢] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ط٨، ١٩٧٤، مكتبة النهضة، ص ٥١٤.

[٣] جولد تسهير: العقيدة والشريعة، ص ٨٣، وما بعدها.

يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين[١]، أي ما روي عن الرسول(ﷺ) من شرح وتفسير القرآن، وقد رواه عنه الصحابة وإن اختلفت رواياتهم لها كمًّا وكيفًا. وبمرور الزمان تضخم هذا التفسير المنقول، فدخل فيه أيضًا ما نقل عن الصحابة والتابعين، وهكذا حتى كانت كتب التفسير المؤلفة في العصور الأولى مقصورة على هذا النحو من التفسير... "[٢].

والتفسير بالمأثور هو بيان معنى القرآن الكريم بما جاء في القرآن، أو السنة أو كلام الصحابة، فالأول مثل قوله تعالى: "وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ *وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ*النَّجْمُ الثَّاقِبُ"؛ فإن كلمة "النجم الثاقب"بيان لكلمة "الطارق"التي قبلها[٣]،(... وتكاد كل مجموعة من مجاميع الحديث الكبيرة المرتبة حسب المواد تشتمل على باب تفسير القرآن. أي مجموعة من الأخبار الصادرة عن النبي(ﷺ) في تفسير القرآن ويلحق بهذا ما نقل عن الصحابة من وجوه التفسير..) وقد استطاع أن يجمع أكثر من عشرة آلاف حديث في تفاسير النبي(ﷺ) والصحابة وذلك في كتاب له بعنوان "ترجمان القرآن"استخرج منه وهو مختصر في ستة أجزاء أطلق عليه اسم "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"[٤].

أما التفسير بالرأي فهو أن يعرف المفسر كلام العرب، وطرقهم في التعبير وتركيب الألفاظ والجمل ومعانيها اللغوية بالوقوف على ما ورد من قبل ذلك من

---

[١] ابن خلدون: المقدمة، ص ٤٣٩.

[٢] أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ٢٣٥.

[٣] السيوطي: الاتقان: ص ١٧٦؛ ابن خلدون: المقدمة، ص ٦٩٦.

[٤] السيوطي: حُسن المحاضرة، القاهرة، ١٩٧٩م، ج١، ص ٣؛ صفى علي: الحياة العلمية والأدبية، ص ١٦٦.

الشعر الجاهلي ونحوه من فنون القول، وأن يعرف أيضًا ما صح من أسباب التنزيل الآية مستعينًا بهذه الأدوات جميعًا حسب ما أداه إليه اجتهاده[١].

ويبدو التفسير بالمأثور أو النقلي المسند عن الآثار، بل كان تابعاً له. وقد حدث التفسير بالرأي نتيجة اختلاط اللسان العربي بغيره من الألسن يقول ابن خلدون[٢]: "أنه لما صارت علوم اللسان العربي صناعة من الكلام في موضوعات اللغة وأحكام الإعراب والبلاغة في التراكيب فوضعت الدواوين في ذلك بعد أن كانت ملكات للعرب لا يرجع فيها إلى نقل ولا كتاب فتناسوا ذلك وصارت تتلقى من كتب أهل اللسان فاحتيج إلى ذلك في تفسير القرآن لأنه بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم، وصار التفسير صنفين الأول "التفسير النقلي"والثاني "التفسير العقلي"وهو الذي يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب وهذا الصنف من التفسير قل أن ينفرد عن الأول إلا أن الأول هو المقصود بالذات وإنما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعة..".

وكان يعاب على أنصار هذا الرأي في التفسير أن يتعرض للتفسير من لم يستكمل أدواته التي تعينه على التفسير، كأن لم يبلغ في معرفة كلام العرب مبلغًا يمكنه من صحة الفهم، أو لم يدرس القرآن درسًا يستطيع معه أن يحمل مجمله على مفصله، كذلك كرهوا أن يعتنق الرجل مذهبًا من المذاهب الدينية كالاعتزال والإرجاء والتشيع، ويجعل ذلك أصلًا يفسر القرآن على مقتضاه والواجب أن تكون العقيدة تابعة القرآن لا أن يكون القرآن تابعًا للعقيدة.."[٣].

وكان هذا النوع من التفسير "التفسير بالرأي أو الاجتهاد"مقيدًا إذْ يكون الاجتهاد مقتصرًا على تفسير ما غمض من الألفاظ أو تحقيق تأويلها. يقول القشيري

---

[١] أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ٢٣٥؛ صفى علي: المرجع السابق والصفحة.

[٢] المقدمة، ص ٤٣٩ – ٤٤٠؛ صفى علي: الحياة العلمية والأدبية، ص ١٦٦ والتى تليها.

[٣] ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٤٤٠؛ أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ٢٣٦.

"...التفسير مقصور على السماع والاتباع والاستنباط فيما يتعلق بالتأويل وقال قوم ما وقع بيننا في كتاب الله تعالى وسنة رسوله(ﷺ) يسمى تفسيرًا، وليس لأحد أن يتعرض إليه باجتهاد. بل يحمل على المعنى الذي ورد فلا يتعداه. والتأويل ما استنبطه العلماء العالمون بمعنى الخطاب الماهرون في آلات العلوم"[١].

وقد نهى الرسول(ﷺ) عن التفسير بالهوى أو بغير علم حيث أثر عنه.. من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار، وفي حديث آخر "من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"، فقد كان الرسول(ﷺ) لا يفسر إلا آيات قد علمهن إياه جبريل(عليه السلام) "كما أن بعض الصحابة كانوا لا يستطيعون تفسير بعض الكلمات مثلًا في قوله تعالى "وَفَاكِهَةً وَأَبًّا" فكانت كلمة أبًّا قد استعصت في تفسيرها على أبي بكر وعمر.."[٢].

أما الإسرائيليات وقد نهل منه المفسرون ما شاء الله أن ينهلوا، ولجأوا إليه لاستكناه ما غلق على أفهامهم من قصص القدماء وأحداثهم التي أجملها كتاب الله العزيز مما لا يتعلق بأحكام شرعية.."ويبدو أن الذي دفع المسلمين إلى هذا النوع من التفسير هو "شغف العقول وميلها للاستقصاء عند سماع بعض الآيات التي تتضمن أحداثها قصصًا معينة، مثل أصحاب الكهف أو قصص بدء الخليقة، وكان الذي يسد هذا الطمع هو التوراة وما علق عليها من حواشٍ وشروح، بل ما أدخل عليها من أساطير وقد دخل بعض اليهود في الإسلام، فتسرب منهم إلى المسلمين كثير من هذه الأخبار. ودخلت في تفسير القرآن يستكملون بها الشرح[٣].

---

[١] حاجي خليفة: كشف الظنون، طبعة تركيا، د.ت، ج١، ص ٣٣٥؛ صفى علي: الحياة العلمية والأدبية، ص ١٦٧.

[٢] السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، ج١، ص ١٤١؛ صفى علي: المرجع السابق والصفحة.

[٣] أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ٢٣٦، ٢٣٧؛ صفى علي: المرجع السابق، ص١٦٨؛ سمية الوافى: التعليم فى الشام، ص ١٣٦ والتى تليها.

ويفسر ابن خلدون تلك الظاهرة معللًا الأسباب التي دعت إلى وجودها وما تمخضت عنه من نتائج فيقول"إن السبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية، مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية[١].

فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم، فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض أخبارًا موقوفة عليهم وليست مما يرجع إلى الأحكام..[٢].

تلك هي أهم مصادر التفسير الخاصة بالقرآن الكريم، والتي يوجزها السيوطي عن الزركشي في كتابه "البرهان"بقوله: (..للناظر في القرآن لطلب التفسير ومآخذ كثيرة أمهاتها أربعة: الأول النقل عن النبي(ﷺ)، والثاني الأخذ بقول الصحابي، فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي(ﷺ) والثالث الأخذ بمطلق اللغة. فإن القرآن نزل بلسان عربي.. والرابع التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع.."إن تفسير القرآن في كل عصر من العصور يتأثر بالحركة العلمية فيه، ويكون صورة منعكسة لما في هذا العصر، أو ذاك من آراء ونظريات عامة أو مذهبية؛ فيمتلئ بألفاظها ومصطلحاتها"فالنحوي يملأ تفسيره بمسائل النحو وأوجه الإعراب، والإخباري يكثر فيه من القصص والأخبار عمن سلف سواء كانت

---

[١] ابن خلدون: المقدمة، ص٤٣٩–٤٤٠؛ صفى علي: الحياة العلمية، ص١٦٨ والتى تليها.

[٢] ابن خلدون: المصدر السابق، ص٤٤٠.

صحيحة أو باطلة، والفقيه يسرد فيه أبواب الفقه والميراث، وصاحب العلوم العقلية يغمره بأقوال الحكماء والفلاسفة.."[١].

وفي مجال التفسير فقد برز من الصحابة عدد لا بأس به ممن أدرك عهد الدولة الأموية. وحفلت كتب التفسير برواياتهم وتفاسيرهم مثل عبد الله بن عباس(ت ٦٨هـ- ٦٨٧م)[٢].

ويليه في الشهرة مجاهد بن جير(ت١٠٣هـ-٧٢١م) وسعيد بن جبير (ت٩٤هـ-٧١٢م)[٣]، ومقاتل بن سليمان وعكرمة مولى ابن عباس (ت١٠٥هـ-٧٢٣م) ونافع مولى عبد الله بن عمر (١١٧هـ-٧٣٥م)، وعطاء بن رباح (ت١١٤هـ-٧٣٢م)، وطاووس (ت١٠٦هـ-٧٢٤م) [٤]، والحسن البصري (ت١١٠هـ- ٧٢٨م)[٥].

بقي نوع أخير من التفسير وهو تفاسير أهل علم الكلام، وهم فرق، تناولت كل فرقة كتاب الله تفسره بما يظاهر أيها، وهم مع ذلك مختلفون في التعصب لمذاهبهم والقصد فيها، وأهمها: تفاسير أهل السنة. وهم كغيرهم، منهم القاصد في تأييد عقيدته في تفسيره، ومنهم من استبسل في الدفاع عن عقيدة أهل السنة[٦] تفاسير المعتزلة[٧] تفاسير الباطنية: وهم الذين رفضوا الأخذ بظواهر الكتاب الكريم

---

[١] السيوطي: الاتقان، ج٢، ص٣٢٤-٣٢٥؛ صفى علي: الحياة العلمية والأدبية، ص١٧٠.
[٢] البسوي: كتاب المعرفة والتاريخ، ج١، ص٧٠١.
[٣] ابن قتيبة: المعارف، ص٤٤٥.
[٤] ابن قتيبة: المصدر السابق، ص٤٤٤.
[٥] البسوي: المعرفة والتاريخ، ج٣، ص٣٣٨-٣٣٩؛ الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م، ج١، ص١٣١.
[٦] السيوطي: الاتقان، ص ١٧٨، ١٨٤، ١٩٠.
[٧] السيوطي: المصدر السابق، ص ١٩٠.

وقالوا إن القرآن ظاهرٌ وباطنٌ، والظاهر غير مراد وإنما المراد الباطن[١]تفاسير الشيعة[٢].

٢- علم الحديث النبوي الشريف:

لقد لقي حديث رسول الله(ﷺ) من العناية ما يستحقه، فمما لا شك فيه أن السنة هي المصدر الثاني للتشريع، وهي التي تشرع وتوضح المصدر الأول وهو القرآن الكريم، واستمر الحديث النبوي الشريف، يروى من الصحابة إلى التابعين دون تدوين(مشافهة)، حتى عهد الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز، الذي كان له الفضل في تدوين الحديث، فكتب إلى الأمصار بتدوين الحديث[٣]؛ خوفًا عليه من الضياع بموت الصحابة الحافظين له، وحفظًا له من الأحاديث المكذوبة[٤].

وكان الحديث في الأهمية يأتي بعد القرآن الكريم كمصدر من مصادر التشريع الإسلامي، والحديث هو ما أثر عن رسول الله(ﷺ)، من قول أو فعل أو حكم أصدره في موضوع عرض عليه، وكان جمع الحديث عاملًا مهمًّا عند المشتغلين بالفقه[٥]، ومن أهم فروع علم الحديث النظر في الأسانيد[٦]، ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بالوقوف على المسند الكامل "ومعرفة رواة الحديث

---

[١] أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٢١٢، ٢١٣.

[٢] أبو زيد شلبي: المرجع السابق، ص ٢١٣.

[٣] عبد المجيد محمود: أبو جعفر الطحاوي وأثره في الحديث، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥، ص ص ١٥٠، ١٥١.

[٤] نفسه، ص ١٥٠، ١٥١.

[٥] عصام الدين عبد الرؤوف: الحواضر الإسلامية الكبرى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٢٥٨، ٢٥٩.

[٦] ابن خلدون: المقدمة، ص٤٠٥

بالعدالة والضبط، ويثبت ذلك بالفعل عن أعلام الدين بعد تعديلهم وبراءتهم من الجرح والغفلة؛ فيكون ذلك دليلًا على القبول والترك"[١].

فلقد استأثرت رواية الحديث النبوي الشريف بعناية القائمين بأمر تعليم العلوم الدينية الإسلامية في العصر الأموي وقبله. واحتل الحديث مكان الصدارة بين تلك العلوم أيضًا. ويراد بالسنة أو الحديث ما ورد عن رسول الله(ﷺ) من الأقوال والأفعال أو التقارير الشارحة للقرآن، المبينة مراده[٢].

ونظرًا للأهمية البالغة للحديث، كانت الحركة العلمية في الأمصار الإسلامية تكاد تدور على رواية الحديث ودرايته، وكانت شهرة الصحابة والتابعين العلمية في العصر الأموي مؤسسة على الحديث والتفسير. ومن جانب طلاب العلوم الدينية ازداد الإقبال على دراسة القرآن والحديث؛ "لأن ذلك واجب من أول الواجبات المفروضة على كل مسلم وصار المحدثون من أكبر العلماء شأنًا، بل كانوا يعدون من أعظم رجال الإسلام[٣] على أنه بعد عصر الرسول(ﷺ) ضم إلى الحديث ما ورد عن الصحابة لأنهم كانوا يباشرون النبي(ﷺ) ويسمعون قوله، ويشاهدون عمله ويحدثون بما رأوا وما فعلوا فكان من الأخبار عن رسول الله(ﷺ) وصحابته الحديث[٤].

ولما توفي الرسول(ﷺ) وانتشر الصحابة في الأمصار الإسلامية أخذوا يبلغون كتاب الله وسنة رسوله(ﷺ) أينما ذهبوا، وكادوا لا يتركون صغيرة ولا كبيرة

---

[١] عصام عبد الرؤوف: المرجع السابق، ص ٢٥٩

[٢] السيوطي: الاتقان، ج٢، ص١٢٦؛ صفى علي: الحياة العلمية والأدبية، ص١٤١ والتى تليها؛ سمية الوافى: التعليم فى الشام، ص ١٣٨ والتى تليها.

[٣] آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو(عصر النهضة في الإسلام)، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٥، دار الكتاب العربي، لبنان، ج١، ص ٣٣٧.

[٤] أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ٢٤٤؛ صفى علي: الحياة العلمية والأدبية، ص١٤٢.

من أفعاله، وأقواله إلا أحصوها وتناقلوها، واشتهر منهم جماعة بكثرة ما روي عنهم في هذا الباب مثل أبي هريرة وعائشة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وابن عباس وأنس بن مالك، وكثير غيرهم[١].

حتى إذا ذهب الصحابة خَلَفَهم التابعون يحكون ما سمعوا منهم؛ وبذلك أخذ الحديث ينتقل من جيل إلى جيل، فالمحدث يقول: سمعت من فلان عن فلان أو حدثني أو أخبرني أو أنبأني. ومن ثم يكون سند الحديث وتكونت السلاسل الطويلة من رواته، تلك السلاسل التي تضخمت مع مر الزمن بعامل طول المسافة بين المحدث ومن ينقل عنهم حتى عصر الرسول(ﷺ)[٢].

وبذلك تعددت طرق رواية الحديث، كما تعدد حاملوه، وأصبح يحتوي متنًا وسندًا يطول ويقصر، وطبيعي أن يسمى حديثًا لأنه كان يعتمد على التداولية والنقل الشفوي، وهو يسمى أيضًا بالسنة[٣].

كان هؤلاء الصحابة يروون الحديث سماعًا، تبعًا للرواية في جميع الأمصار الإسلامية؛ لأن التدوين لم يكن قد نشأ بعد في تلك الفترة. وإذا كانت هناك مدونات متفرقة منذ عهد النبي(ﷺ) كصحيفة عبد الله بن عمرو الصادقة في الحديث إلا أنها كانت أعمالاً فردية. وقد نبعت كراهية المسلمين وخاصة أهل القرن الأول للتدوين من خوفهم للابتداع وأن يختلط ما يكتبون بالقرآن[٤].

وفي المائة الثانية من الهجرة كان كبار الصحابة قد انتقلوا إلى الدار الآخرة، وظهرت في المسلمين فرق وأشياع من خوارج وشيعة، وزنادقة، كما حدثت شؤون تقتضي معرفة حكم الدين فيها، مثل شيوع الرواية؛ إذْ المتشددون فيها كانوا يخيفون

---

[١] شوقي ضيف: العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣، ص٣٦.

[٢] شوقي ضيف: المرجع السابق والصفحة.

[٣] ابن عبد البر: جامع بيان العلم، بيروت– لبنان، د.ت، ج١، ص ٦٣.

[٤] صفى علي: الحياة العلمية والأدبية، ص ١٤٦.

الناس بوقارهم كأبي بكر(ﷺ)، أو بدرتهم كعمر(ﷺ) قد ماتوا، ولم يبق للناس من ملجأ إلا من بقي من الصحابة، ومن غيرهم من كبار التابعين، فكان الناس يستفتونهم فيما جد عليهم من شؤون فيفتونهم بما حفظوا من أحاديث سمعوها عن النبي(ﷺ) مباشرة، أو سمعوها عن كبار الصحابة[١] كما كان لظهور الكذب في الحديث، روى مسلم عن مجاهد، قال: "جاء بشير العدوي إلى ابن عباس(ﷺ)، فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله(ﷺ) فجعل ابن عباس(لا يصغي لحديثه) ولا ينظر إليه فقال: يا ابن عباس، ما لي أراك لا تسمع لحديثي، أحدثك عن رسول الله(ﷺ)، ولا تسمع. فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلًا يقول: قال رسول الله صلعم ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعبة والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف[٢].

صار تدوين السنن(الأحاديث) أمرًا لازمًا؛ نظرًا لشيوع رواية الحديث وقلة الثقة في الرواة كما قلت آنفًا فظهر الكذب على الرسول(ﷺ)[٣]، وكان أول من تنبه إلى ذلك الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز المتوفى سنة ١٠١هـ الذي أمر واليه بالمدينة أبا بكر بن عمرو بن حزم بالنظر إلى ما كان من حديث الرسول(ﷺ) ليكتبه؛ لخوفه من ضياع العلم وموت العلماء[٤].

---

[١] صحيح مسلم، ج١، ص٨؛ أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٩٢.

[٢] راجع سمية الوافى: التعليم فى الشام، ص ١٣٩ والتى تليها.

[٣] ابن قتيبة: المعارف، ص ١١٦.

[٤] صفى علي: الحياة العلمية والأدبية، ص ١٤٧.

وقد عاش في الفترة الأموية (٤١هـ-٦٦١م/١٣٢هـ-٧٤٩م) عدد كبير من الصحابة والتابعين من حملة الحديث الشريف أمثال عبد الله بن عباس (ت٦٨هـ-٦٨٧م)[١].

كما كان لعبد الله بن عمر بن الخطاب (ت٧٤هـ-٦٩٣م) دور كبير أيضًا في هذا الإطار فهو الذي كان يجمع الحديث ويتحرى ألفاظه، ويروى أنه أول من دون الحديث في مدونة وصفت بأنها الصادقة وبذلك يكون أول عالم للحديث دون علمه في عهد الدولة الأموية[٢].

وكان من أشهر التابعين لأصحاب الرسول(ﷺ) في رواية الحديث، سعيد بن المسيب (٩٣هـ-٧١١م) وإسماعيل وخارجة (ت١٠٠هـ-٧١٨م) ابنا زيد بن ثابت وعروة بن الزبير (ت٩٤هـ-٧١٢م) وعبد الله بن عتبة بن مسعود (ت٩٨هـ-٧١٦م) وسليمان بن يسار الهلالي (ت١٠٧هـ-٧٢٥م) وقبيعة بن ذؤيب (ت٨٦هـ-٧٠٥م) وعلقمة بن قيس (ت٦٢هـ-٦٨١م)[٣] ومسروق بن الأجدع (ت٦٣هـ-٦٨٢م)[٤] وقيس بن أبي حازم[٥] وكل هؤلاء عاشوا في العصر الأموي.

ويوجد السيوطي فوائد الوصلة في طلب الحديث في العصر الأموي؛ استنادًا إلى قول الخطيب البغدادي: بأن المقصود بها أمران: أحدهما تحصيل علم الإسناد وقدم السماع والثاني لقاء الحفاظ والمذاكرة لهم والاستفادة منهم.."ثم كثر الترحال إلى

---

(١) ابن الجوزي: صفة جزيرة العرب، القاهرة، د.ت، ج٣، ص ٣٦٧ - ٣٧٢؛ أحمد أمين: فجر الإسلام، ص١٧٧.

(٢) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٦-٢٧٦؛ صفى علي محمد: الحركة العلمية والأدبية فى الفسطاط، ص١٤٥.

(٣) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج٢، ص ٤٠٥.

(٤) ابن قتيبة: المعارف، ص ٤٣٢. ٧٩.

(٥) أبي إسحاق: طبقات الفقهاء، تصحيح خليل الميس، دار القلم، بيروت، ص٥٥.

الآفاق وتداخل الناس والتقوا وانتدب أقوام لجمع الحديث النبوي وتقييده.."[١]، "وكان من علماء الفسطاط في العصر الأموي من اشتركوا في بداية عصر التدوين بمؤلفاتهم مثل عبد الله بن وهب ١٩٧هـ والليث بن سعد ١٧٥هـ، وعبد الله بن لهيعة المتوفى سنة ١٧٤هـ[٢].

وكذلك رفض المحدثون رواية من عرف بالتساهل في سماعه أو إسماعه وقد فشا إملاء الحديث بعد ظهور السماع، وانتشر لشيوع المؤلفات والسماح بتدوين العلم، فكان معلمو الحديث ورواته يعقدون المجالس لإملائه، وكانت هذه المجالس تجمع في جلساتها أشتاتًا مختلفة من طلاب العلم. ونقلت بعض النصوص صورة لطريقة إملاء الحديث تشير إلى طرق روايته والتقاليد التي كانت تتبع في الرواية والإملاء، فيقول "... يُستحب للمحدث عقد مجلس لإملاء الحديث فإنه على مراتب الرواية ويتخذ مستمليًا محصلًا متيقظًا يبلغ عنه إذا كثر الجمع.. وفائدة المملي تفهيم السامع على بعد.. ويستنصت المستملي بعد قراءة قارئ حسن الصوت شيئًا من القرآن، ثم يبسمل ويحمد الله تعالى ويصلي على رسول الله(ﷺ) ويتحرى الأبلغ فيه، ثم يقول للمحدث من، أو ما ذكرت رحمك الله أو رضي عنك، وما أشبه وكلما ذكر النبي(ﷺ). قال الخطيب: ويرفع به صوته. وإذا ذكر صحابيًّا قال: رضي الله عنه، فإذا كان ابن صحابي قال: رضي الله عنهما. ويحسن بالمحدث الثناء على شيخه حال الرواية بما هو أهله كما فعل جماعات منهم للسلف.."، ولا بأس بذكر من يروي عنه بلقب أو حرفة أو عرف بها، ويستحب أن يجمع في إملائه جماعة من شيوخه مقدمًا أرجحهم ويروي عن كل شيخ حديثًا.[٣]

---

[١] المقريزي: الخطط، ج٤، ص ١٤٣، ١٤٤.

[٢] المقريزي: المصدر السابق والجزء، ص ١٤٤.

[٣] صفى علي: الحياة العلمية والأدبية، ص ١٤٩.

٣- علم الفقه:

الفقه لغة: هو الفهم والعلم بالشيء لما ظهر أو خفي قولًا كان أو غير قول، ثم خص به علم الشريعة، والعالم به فقيه[١]، ومنهم قوله تعالى: "مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ"[٢].

وفي الاصطلاح: هو العلم بالأحكام الشرعية العلمية المكتسبة من أدلتها التفصيلية.. وهو مستنبط بالرأي والاجتهاد، ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل[٣] وعرفه ابن خلدون بقوله: "الفقه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والخطر والندب والكرامة والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها: "فقه"[٤].

"وكلمة فقه لم تعرفها لغة العرب في معناها الذي نريده اليوم إلا بعد مضي صدر الإسلام"[٥]، وحين تمكن من استنباط الأحكام من أدلتها، يقول ابن خلدون: "ثم إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم، وإنما كان ذلك مختصًّا بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه، ومتشابهه ومحكمه، وسائر دلالته بما تلقوه عن النبي(ﷺ) أو ممن سمعه منهم من عليتهم، وكانوا يسمون لذلك القراء، أي الذين يقرؤون الكتاب؛ لأن العرب كانوا أمة أمية. فاختص من كان منهم قارئًا للكتاب بهذ الاسم لغرابته يومئذ، وبقي الأمر كذلك صدر الملة، ثم عظمت أمصار الإسلام وذهبت الأمية من العرب بممارسة الكتاب، وتمكن

---

(١) الرازي: مختار الصحاح، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩، ص ٥٠٩؛ صفى علي محمد: الحركة العلمية والأدبية فى الفسطاط، ص ١٩٣؛ سمية الوافى: التعليم فى الشام، ص١٤٠.

(٢) سورة هود: آية ٩١.

(٣) الجرجاني: التعريفات، ص ١٤٧.

(٤) صفى علي: الحياة العلمية والأدبية، ص ١٩٣–نقلًا عن ابن خلدون.

(٥) ابن خلدون: المقدمة، ج٢، ص ١١.

الاستنباط، وكمل الفقه وأصبح صناعة وعلمًا، فبدلوا باسم الفقهاء والعلماء من القراء[١].

ومن المعروف أن الفقه، هو أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهية والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه[٢].

وقد اشتدت الحاجة إليه في العصور الإسلامية لأنه ينظم المعاملات، ويضع التشريعات التي تنظم حياة الأفراد، ويوضح التعاليم التي يجب أن يتبعها الناس في شؤون دينهم[٣]، وقد تطورت الدراسات الفقهية على مر العصور، ففي عهد الرسول(ﷺ) اعتمد الصحابة على كتاب الله والسُنة، واتبع الخلفاء الراشدون الرسول(ﷺ) فيما عرفوا من أقواله وأفعاله، فإن لم يعرفوا له قولًا أو فعلًا في أمر من الأمور اجتهدوا فيه برأيهم، ظهر حينئذ ما يسمى الإجماع، ومن ثم كان الإجماع أصلًا ثالثًا من أصول الفقه بعد كتاب الله وسنة نبيه، ولما كثرت المسائل التي تحتاج إلى الفقه بعد عهد الخلفاء الراشدين ظهرت الحاجة إلى الفقهاء، فكثروا يومًا فيومًا، وأفتوا في مسائل الدنيا والدين، وظهر حينئذ ما يسمى بالرأي هو الأصل الرابع من أصول الفقه الإسلامي، ودخل الفقه في القرنين الثاني والثالث الهجريين في دور جديد، وهو الدور الذي اقترن بظهور الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المعروفة، أبي حنيفة، ومالك والشافعي، وابن حنبل، وكان الفقه في هذا العصر قائمًا على الاجتهاد المطلق[٤].

---

[١] محمد يوسف موسى: الفقه الإسلامي،، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص ١٠.

[٢] ابن خلدون: المقدمة، ص ٤٩٨.

[٣] عصام عبد الرؤوف: الحواضر الإسلامية الكبرى، ص ٢٥٢

[٤] عبد اللطيف حمزة: الحركة الفكرية فى مصر، دار النهضة، القاهرة، ١٩٩٠م، ص١٩٤، ١٩٦.

والقضاة في هذا العهد يدخلون في عداد علماء الفقه، فقد ورد عن الشعبي قوله: "قضاة هذه الأمة: عمر وعلي وزيد، وأبو موسى"وفي فضل الإمام علي(رضي الله عنه) قال سعيد بن المسيب: "كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن"، وكان لكل مدينة قاض مما يصح تسميتهم بعلماء الفقه، ولاتساع رقعة الدولة الأموية فإن حركة الفقه أو علم الفقه قد نشط في العهد الأموي[١]؛ لتلبية متطلبات الحياة في العديد من المسائل الدينية والدنيوية.

وفي فضل علماء المدينة المنورة فقد ورد عن أبي إسحاق أنه قال : "وقال عبد الله: علماء الأرض ثلاثة فرجل في الشام، وآخر في الكوفة وآخر بالمدينة فأما هذان فيسألان الذي بالمدينة والذي لا يسألهما عن شيء"[٢]، فقد اشتهر فيها سبعة فقهاء بالفتوى والفقه[٣].

انتشر علمهم وفقههم إلى بقية الأقاليم الإسلامية، وعاشوا كلهم في عهد الدولة الأموية وهم:

١-القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق: عاش في المدينة وأخذ الحديث عن عمته عائشة(رضي الله عنها)، ووصف بأنه أعلم أهل زمانه توفي سنة(١٠٨هـ-٧٢٦م)[٤]، وسعيد بن المسيب بن حزن بن وهب من بني عمران بن مخزوم جمع بين الحديث والتفسير والفقه والورع والعبادة توفي عام(٩٣هـ- ٧١١م)[٥] وكذا عروة بن الزبير بن العوام، رحل إلى الشام وأصابه مرض فقطعت رجله

---

[١] حسن حنفي: علم أصول الفقه، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة، د.ت، ج١، ص ٥١ – ٧٢.

[٢] ابن القيم: أعلام الموقعين، ج١، ص ١٥.

[٣] الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م، ج١، ص ١٨٢.

[٤] ابن قتيبة: المعارف، ص ١٧٥، ٥٨٨.

[٥] ابن قتيبة: المعارف، ص ٤٣٧- ٤٣٨.

بحضرة الخليفة الوليد بن عبد الملك، وهو شقيق عبد الله وأمهما أسماء بنت أبي بكر (ﷺ)، قال عنه الزهري(رأيته بحرًا لا تكدره الدلاء)[١]؛ لسعة علمه روى عن العديد من الصحابة وتوفي سنة(٩٤هـ- ٧١٢م)[٢]، وأيضًا أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، كان يقال له راهب قريش لفضله وكثرة صلاته، اعتزل يوم الجمل هو وعروة بن الزبير، توفي سنة(٩٤هـ- ٧١٢م) بالمدينة وتسمى سنة الفقهاء؛ لوفاة العديد منهم فيها[٣]، وسليمان بن يسار، مولى ميمونة بنت الحارث الهلالية، زوج النبي(ﷺ) روى الحديث ووصفه سعيد بن المسيب بأنه أعلم من بقي في يومه، توفي سنة(١٠٣هـ- ٧٢١م) في خلافة يزيد بن عبد الملك[٤]، وخارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري: من فقهاء المدينة وزهادهم توفي سنة(١٠٠هـ- ٧١٨م)[٥] وكذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، العالم والفقيه وكان مكفوفًا روى عنه الزهري، وهو مؤدب الخليفة عمر بن عبد العزيز توفي سنة(٩٨هـ- ٧١٦م)[٦].

واعتبر هؤلاء الفقهاء مؤسسي مدرسة المدينة المنورة في الفقه، وكانت آراؤهم تعد مرجعًا ومنهلًا لبقية فقهاء الأقاليم لما للمدينة من مكانة متميزة؛ لأنها موطن الرسول(ﷺ) والصحابة والتابعين(رضي الله عنهم).

وفي بقية أقاليم الدولة العربية الإسلامية اشتهر عدد من الفقهاء والمحدثين، وكان لهم دور واضح في مجال الفتيا والقضاء وسداد الموعظة، ومما لا يخفي من

---

[١] ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، د. ت، ج٥، ص ١٧٨ – ١٨٢.
[٢] ابن سعد: المصدر السابق والجزء والصفحات.
[٣] ابن سعد: المصدر السابق والجزء، ص ١٨٢.
[٤] ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص ١٧٤ – ١٧٥.
[٥] ابن قتيبة: المعارف، ص ٢٦٠.
[٦] ابن قتيبة: المعارف، ص ٤٥٢ والتى تليها.

أهمية ذلك لدولة أصبحت مترامية الأطراف وضمت العديد من الأجناس البشرية تحت مظلة الإسلام، وتعددت متطلبات الحياة اليومية وتنوعها.

ففي الشام ظهر العديد من الفقهاء، أمثال عمرو بن الأسود الكندي ويزيد بن الأسود، وأبو عبد الله الصنابحي وعبد الله بن محيريز ورجاء بن حيوة الكندي، ومكحول بن عبد الله السندي الذي كان قدريًّا[١] ومجاهد بن جبر الذي كان يحدث عن صحيفة جابر بن عبد الله وكان عالمًا فقيهًا كثير الحديث توفي سنة(١٠٤- ٧٤٢)[٢] وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب(ﷺ) وكان معارضًا للقدرية توفي سنة(٨٦هـ- ٧٠٥م)[٣]، وابن شهاب الزهري محمد بن مسلم كان عالمًا فقيهًا وله أخبار عديدة مع الخلفاء الأمويين توفي سنة(١٢٤هـ- ٧٤١م)[٤].

وفي الحقيقة فقد تميزت الشام باحتوائها على الكثير من الصحابة الفقهاء، ومن أبرز فقهاء الشام من الصحابة:

معاذ بن جبل، قال عنه الرسول(ﷺ) "أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل"، ومن أبرز فقهاء الشام من التابعين أبو إدريس الخولاني، قال عنه الزهري: "كان من فقهاء أهل الشام"شهم بن حوشب الأشعري"حيوة قال عنه مطر: ما رأيت شاميًّا أفقه من رجاء بن حيوة"وقبيعة بن ذؤيب، وعبد الملك بن مروان، وعمر بن عبد العزيز[٥].

---

[١] ابن قتيبة: المصدر السابق، ص٤٢٥ والتى تليها.

[٢] ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص ٤٦٦والتى تليها.

[٣] ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص ١٤٤- ١٤٨.

[٤] ابن قتيبة: المعارف، ص ٤٤٧؛ صفى علي: الحياة العلمية والأدبية، ص ٢٠٠ والتى تليها؛ سمية الوافى: التعليم فى الشام، ص ١٤٠ والتى تليها.

[٥] سمية الوافى: المرجع السابق، ص ١٤١.

لقد ظهر في زمن الصحابة والتابعين من العلماء ممن كانوا يفتون برأيهم معتمدين في ذلك على الكتاب والسنة وعلى النقيض من ذلك، فقد وجد منهم من كان يكره الفتيا برأيه[١].

وأبرز من مثل النوع الأول في الشام الإمام الزهري وأبرز من مثل النوع الثاني في الشام مكحول، "فعن سعيد بن عبد العزيز قال: "كانوا يقولون: الحديث حديث الزهري، والرأي رأي مكحول"[٢].

ومن أسباب كره الإمام الزهري للرأي "فهو خشية الاختلاف بين الأمة"[٣]، أما مكحول فقد كان يفتي مجتهدًا برأيه، "فقد طلب مكحول الحديث في مصر والحجاز والعراق والشام، وبالإضافة إلى ذلك ذهب إلى الكوفة طوال ستة أشهر إلى شريح القاضي لا يسأله شيئًا، بل يستمع إليه في الأحوال التي تعرض عليه. وهكذا تدرب على إعمال الفكر وإصدار الأحكام الشخصية"[٤].

وبناء على ما تقدم نجد أن الشام اتخذت مذهبًا وسطًا بين مذهب الحجاز في الحديث الذي يعتمد على السنة، ومذهب العراق الذي يعتمد على الرأي والقياس[٥]، جمعت الشام كثيرًا من الفقهاء الذين تتلمذوا على كلتا المدرستين، وقد شهدت الشام كثيرًا من الفقهاء الذين كان لهم أثر واضح في تطور الفقه الإسلامي في ذلك العصر وانتعاشه؛ نتيجة دعم السلطة ماديًّا ومعنويًّا، وعلى رأسهم الخليفة عمر بن عبد العزيز، فعندما تولى الخلافة أمر بنشر الفقه فقد أرسل إلى ولاته أن يأمروا الفقهاء بتعليم الناس، فقد كتب إلى بعض ولاته "أما بعد فمر أهل الفقه والعلم

---

[١] ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٦، ص ٢١٦.

[٢] سمية الوافى: التعليم فى الشام، ص ١٤١.

[٣] ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٥، ص٣٤٤؛ سمية الوافى: التعليم فى الشام، ص١٤١.

[٤] سمية الوافى: المرجع السابق والصفحة.

[٥] سمية الوافى: نفسه، ص١٤٢.

من عندك فلينشروا ما علمهم الله في مجالسهم ومساجدهم"[١] وتُعد فترة حكمه على قصرها(من سنة ٩٩– ١٠١ هـ)، فترة ازدهار للفقه الإسلامي في الشام خاصة وغيرها من الأقطار الإسلامية"[٢].

وقد ارتبط تعليم الفقه بالقضاء والفتوى؛ "لذلك كان تعليم الفقه يتم عن طريق حضور المتعلم لمجالس القضاء والفتوى التي تعقد في المساجد والتي لم تكن منفصلة عن مجالس التعليم بل كانت جزءًا منها"[٣].

وفي مجال القضاء كانت الدولة الأموية تعين القضاة على الأمصار وتخول لهم حق الإفتاء بما يعرض لهم من مشكلات أو نزاعات، فقد كانوا يمثلون الفقه الإسلامي في مراحله الأولى، وربما قد طبقوه بهذه الصورة في مصر، ولا شك أنه قد امتازت منهم جماعة بالاجتهاد والمشاركة العميقة في تدبير شؤون الحياة العلمية في الأقاليم وتنظيمها على أسس مدروسة، ومن هؤلاء القضاة "سليم بن عتر التجيبي– قاضي مصر وقاصها وناسكها–..[٤] وقد ولاه معاوية بن أبي سفيان قضاء مصر، وكان يعمل قبل القضاء قاصًّا فجمع له– القضاء والقصاص، وظل في القضاء حتى سنة ستين هجرية.."[٥].

وكان سليم بن عتر أول قاضٍ بمصر سُجل سجلٌ بقضائه، فقد ذكر ابن أبي يسره: "أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى القاضي سليم بن عتر يأمره بالنظر في الجراح وأن يدفع ذلك إلى صاحب الديوان، وكان سليم أول قاضٍ نظر في الجراح

---

[١] محمد الحسيني عبد العزيز: الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، وكالة المطبوعات، الكويت، د.ت، ص ١١٩.

[٢] القرطبي: جامع بيان القلم وفضله، ج١، ص ١٢٤.

[٣] صالحة السفياني: المساجد في القرن الأول الهجري، مكة المكرمة، ١٤٢٤، ص ٢٨٧.

[٤] السيوطي: حُسن المحاضرة، ج١، ص ١٦٢.

[٥] الكندي: الولاة والقضاة، تهذيب وتصحيح: رفن كست، دار الكتاب الإسلامي، د.ت، ص ٣٠٣، ٣٠٦؛ السيوطي: حُسن المحاضرة، ج١، ص١٦١

وحكم فيها[١] فيقول: زيد بن بشير ما نصه: "أدركت رجلًا في بيت المال إذا شج الرجل أو جرح بعث به القاضي إلى ذلك الرجل فيقول: هذه موضحة وهذه مفتعلة. وهذه كذا وهذه كذا.. فيكتب القاضي بدية ذلك الجرح إلى صاحب الخراج، قال زيد وكان على الرجل أرزاق جارية.."[٢].

وكان سليم بن عتر يسجل أقضيته عندما تعرض عليه مسألة يقضي فيها، ودون أحوال الشهود في القضية، يروي عبد الرحمن بن حجيرة: أنه اختصم إلى سليم بن عتر في ميراث فقضى بين الورثة. ثم تذاكر فعادوا إليه فقضى بينهم وكتب كتابًا بقضائه وأشهر فيه شيوخ الجند قال: فكان أول القضاة بمصر سجل سجلًا بقضائه.[٣]

وفي المنحى ذاته، فقد كان عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني فقيهًا من أفقه الناس في العصر الأموي[٤]، وقد ولاه عبد العزيز بن مروان القضاء سنة ٦٩هـ، وهو ما يدلل على نوعية العناصر التي كانت تروق للسلطة الأموية اختيارها، على أية حال فقد ظل قاضيًا بمصر حتى توفي ٨٣هـ[٥] وبالإضافة إلى القضاء، كان ابن حجيرة يعمل قاصًّا وأمينًا لبيت المال في مصر[٦].

وقد تتلمذ ابن حجيرة على يد أبي ذر، وأبي هريرة وعقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو وغيرهم"[٧]، وكانوا من أئمة الفقه والفتوى، ويبدو أن ابن حجيرة قد بلغ

---

[١] الكندي: المصدر السابق، ص ٣٠٢، ٣٠٦.
[٢] الكندي: نفسه، ص ٣٠٩.
[٣] الكندي: نفسه، ص ٣١٠؛ صفى علي: الحياة العلمية والأدبية، ص ٢٠٣.
[٤] الكندي: الولاة وكتاب القضاة، ص ٣١٤.
[٥] الكندي: المصدر السابق، ص ٣١٤ – ٣٢٠.
[٦] ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ج٩، ص ٥١.
[٧] الذهبي: تاريخ الإسلام، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت والتي صدرت من ١٩٩٠، ٢٠٠٠، ج٣، ص ٢٧١.

مبلغًا عظيمًا في العلم والفقه فقد أجازه ابن عباس أمام أهل المدينة وخيره عن نفسه، فروى عبد الله بن المغيرة أن رجلًا من أهل مصر سأل ابن عباس عن مسألة، فقال: من أي الأجناد أنت، قال: من أهل مصر. قال تسألني وفيكم ابن حجيرة.."[١].

وقد كان ابن حجيرة يحكم في كثير من الأقضية التي كانت تعرض عليه بتكافؤ الشهود بكثرة الرجال عند أحد الطرفين أو بشهادة العدول، قال ابن لهيعة: "قضى ابن حجيرة في الشهود إذا تكافئوا أن يسهم بينهم، فإن كان أحد المدعين أكثر شهودًا برجلين أو أكثر كان الحق معه وإذا كانت السلعة بيد أحدهما فجاء بشاهد عدل كانت له وأن جاء الآخر بأكثر من ذلك.."[٢].

وبذلك كان ابن حجيرة يحكم بالعدل وقد أثر عنه أنه قال: "... إن القاضي إذا قضى بالهوى احتجب الله عز وجل منه واستبد..."[٣]. ويبدو أن مسألة تدوين القضايا كانت قد شاعت في الفترة المبكرة فتذكر الروايات إنه لما سأل عبد الرحمن بن حجيرة عمن ولى جده القضاء: قال، لا أدري غير أني رأيت له قضية عند آل قيس بن زيد الخولاني شهر رمضان سنة سبعين ولا أعلم أني رأيت أقدم منها..."[٤].

وقد توالى على مصر كثير من القضاة الفقهاء الذين كان لهم شأن عظيم في إصلاح الدواوين، مثل "توبة بن نمر الحضرمي الذي ولي قضاء مصر سنة ١١٥هـ من قبل والي مصر الوليد بن رفاعة، والذي ظل قاضيًا عليها إلى حوالي سنة ١٢٠هـ"[٥]، وكان توبة أول قاضٍ بمصر وضع يده على الأحباس زمن هشام

---

[١] الكندي: الولاة وكتاب القضاة، ص ٣١٦.

[٢] الكندي: المصدر السابق، ص ٣١٨.

[٣] الكندي: المصدر السابّق، ص ٣١٩.

[٤] الكندي: الولاة والقضاة، ص ٣١٥؛ صفى علي: الحياة العلمية والأدبية، ص ٢٠٥.

[٥] الكندي: المصدر السابق، ص ٣٤٦ – ٣٤٧.

بن عبد الملك وقد كانت الأحباس في أيدي أهلها وفي أيدي أوصيائهم، فلما كان توبة قال: ما أرى مرجع هذه الصدقات إلا إلى الفقراء والمساكين، وبفضله أصبحت ديوانًا عظيمًا قبل موته[١]، ولم يكن أعدل ولا أفقه من خير بن نعيم، فقد كان يقبل شهادة النصارى على النصارى واليهود على اليهود، ويسأل عن عدالتهم في أهل دينهم ليحتكم إليهم وقت الحاجة"[٢]، كما كان يخصص من وقته للحكم بين أهل الذمة من اليهود والنصارى، فقد قال عنه يحيى بن عثمان بن صالح أن خير بن نعيم، كان يقسم يومه ومكانه، فكان في أول النهار يقضي في المسجد بين المسلمين، وفي آخره يجلس على المعارج على باب المسجد ليقضي بين النصاري[٣].

وكانت وظيفة القاضي في العصر الأموي من الوظائف التي لها جلال وهيبة، فكان القاضي لا يسمح لأي كائن من كان أن يتدخل في قضائه، كما كان للقاضي مكانة كبيرة، ونفوذ تتفق مع خطورة العمل الذي يقوم به[٤].

كما كان للقاضي اختصاص غير محدود، فقد كان يحكم في الأمور الدينية والجنائية.."[٥]، كما كان القاضي يستمد أحكامه القضائية من مصادر التشريع الإسلامي من قرآن وسنة وإجماع، واجتهاد وقياس[٦].

تصدير المعرفة بالعلوم الدينية إلى مصر الإسلامية:

---

[١] الكندي: نفسه، ص ٣٤٦.
[٢] الكندي: نفسه، ص ٣٥١؛ سيدة كاشف: مصر في فجر الإسلام، ص ٩٠.
[٣] الكندي: نفسه والصفحة؛ صفى علي: الحياة العلمية والأدبية، ص ٢٠٦.
[٤] سيدة كاشف: مصر في فجر الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ص٩٢؛ صفى علي: الحياة العلمية والأدبية، ص ٢٠٦٥ والتى تليها.
[٥] سيدة كاشف: مصر في فجر الإسلام، النهضة العربية، القاهرة، ص ٩٣.
[٦] سيدة كاشف: المرجع السابق والصفحة.

كان القرآن الكريم أهم ما حمله الجنود العرب عندما فتحوا مصر سنة ١٨هـ، وكان من بين هؤلاء الجنود من حمله في صدره كلامًا محفوظًا، ومن حمله فى متاعه كتابًا مسجلًا، لأنهم كانوا يكتبونه أمثال عبد الله بن سعد، وعقبة بن عامر، وعبد الله بن عمرو بن العاص[١].

وكان الجيش الفاتح لمصر يحمل في ركابه عددًا من الرجال الذين صاروا يعرفون باسم القراء منهم أبو ذر الغفاري (ت٣٠هـ/٦٦٣م)[٢]، ومن التابعين لعبد الرحمن بن جبير العامري (ت٩٨هـ/٧١٧م)، وأبو تميم الجيشاني (ت٧٧هـ/٦٩٦م)، تلميذ معاذ بن جبل الذي أصبح من أئمة القراء في مصر[٣]، وكانت مصر منذ الفتح العربى مهبط الكثيرين من رواة الحديث من الصحابة، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص على رأس رواة الحديث في مصر[٤].

وقد أخذت العلوم الدينية التي سادت القرن الأول في التطور، وأصبحت الكتب تحل محل الأسفار والتنقلات، كما كان لتشجيع العلماء للرحلة العلمية إلى بعض الأمصار، وتأتي على رأسها مصر التي تم تشجيع الوفود إليها في العصر الأموي من جانب الولاة المصريين أن انتقل كثير منهم إلى مصر للإقامة فيها، وقد دفعهم إلى ذلك سعة ثروة مصر وكثرة أرزاقها؛ ولهذا امتلأت مدينة الفسطاط بالعرب العلماء ذوي الأذواق الرفيعة العالية، والمواهب الأدبية العظيمة، وتبوأت الفسطاط ومسجدها الجامع منزلة عالية في رعاية الأدب والشعر، والحلقات الأدبية والخطابة، ونهضت اللغة العربية وشتى العلوم والآداب[٥]، وقد نهل الناس من هذه

---

(١) الأدفوى: الطالع السعيد، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٩٩٠م، ص٦٠.

(٢) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ١، ص ٢٠٧.

(٣) السيوطى: حُسن المحاضرة، جـ١، ص ٢٠٧

(٤) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٣٣٢

(٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٣

العلوم والآداب، وحضروا حلقات الشعر والأدب، وجالسوا الشعراء والخطباء؛ مما كان له أبلغ الأثر في نبوغ جيل من العلماء بها، كانوا مدرسة لمن أتى بعدهم.

كما درج طلاب علم القراءات في صعيد مصر على دراسة القراءات على المقرئين القدامى، ويركزون في ذلك على سماع الحروف، وطريقة النطق بها، وما تستوجبه من إظهار وإدغام، ووقفات وغير ذلك[١]، وخصص لذلك أساتذة، كما عكف الراغبون في القراءات على كتب المتخصصين في القراءة منها "كتاب السبعة"لابن مجاهد، ومنها ما يتعلق بقراءة نافع، ورواية سعيد وورش، وإذا أكمل الدارس دروسه في علم القراءة يجيزه أستاذه بالقراءة[٢].

صفوة القول، لقد عاشت علوم القراءات التفسير والفقه والحديث عصرًا ذهبيًّا إبان الحكم الأموي الذي وفر مناخًا مناسبًا جدًّا لرعاية هذه العلوم، فضلًا عن رعاية القائمين عليها وهو ما يقدم صورة مسكوتًا عنها لتاريخ الدولة الأموية الذي طالته أيادي التشويه والتحريف.

---

[١] الأدفوى: الطالع السعيد، ص ٦٠

[٢] الأدفوى: نفسه، ص ٣٥٧.

الفصل الثاني

طبيعة علاقة رجال السلطة الأموية بعلماء الدين

الفصل الثاني

طبيعة علاقة رجال السلطة الأموية بعلماء الدين

إن دور الفقهاء السياسي والفكري كان له الفضل في نجاح الحكام الأمويين في قيادة الدولة آنذاك، ولولا وقوف بعض الفقهاء بل أغلبهم إلى جانب الحكام، لما بقي واحد منهم يحكم الدولة الإسلامية لمدة طويلة، وإنما كان هذا النجاح الأموي بسبب فتاوى رجال الدين، وسكوتهم عن الأمور التي تحمل في طياتها الظلم والجور على المجتمع الإسلامي، حتى الذين خرجوا على الدولة الأموية لم يسلموا من لسان الفقهاء[١].

وقد مال معظم الفقهاء في العصر الأموي إلى تقبل خلافة بني أمية، ويظهر أنهم فعلوا ذلك لثلاثة أسباب: الأول أنه يجوز أن يكون بعض الخلفاء من بني أمية؛ لأن شرط النسب والقرشية تحقق فيهم، والثاني أنه لا يصح الخروج عليهم؛ لأن الأمة بايعت لهم، والثالث أنه يجب الأخذ برأي الجماعة؛ لأنه أقرب إلى الصواب والحق، وأبعد عن الضلال والباطل؛ ولأنه أدعى للسلامة والعافية، أنفى للاختلاف والفرقة.[٢] والعرض التالي يوضح طبيعة العلاقات السياسية بين الفقهاء والسلطة في العصر الأموي.

عصر معاوية بن أبي سفيان:

كان للفقهاء حظوة في عصر معاوية بن أبي سفيان، فقد تولى بعضهم الأمصار، مثل المغيرة بن شعبة الثقفي المدني، والضحاك بن قيس الفهري الدمشقي،

---

[١]علاء حس مردان السبتي: الفقهاء ودورهم السياسي في الدولة الأموية الحسن البصري أنموذجًا، كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلامية، ٢٠١٣، ص١.

[٢]حسين عطوان: الفقهاء والخلافة فى العصر الأموى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١، ص١٢.

والنعمان بن بشير الأنصاري الدمشقي، وهم من فقهاء الصحابة، وكلهم تولى الكوفة لمعاوية بن أبي سفيان[١]، وكان عبد الله بن العباس مؤيدًا لمعاوية فكان يقول: "اللهم أوسع لمعاوية، أما والله ما كان مثل من قبله، ولا يأتي بعده مثله، وإن ابنه يزيد لمن صالحي أهله، فالزموا مجالسكم، وأعطوا طاعتكم وبيعتكم"، ثم بايع ليزيد بن معاوية[٢]، عنما بلغ عبد الله بن عباس خبر وفاة معاوية بن أبي سفيان وكان موجودًا بمكة، أمر من كان عنده من الناس إلى السكينة، ودعاهم إلى بيعة يزيد، وعندما تمت بيعة يزيد بايع ابن عباس كبقية الناس[٣].

يزيد بن معاوية:

أما عن عصر يزيد بن معاوية فقد تجلى دور الفقهاء بشكل واضح، فمثلًا نصح عبد الله بن العباس للحسين بن علي أن يبقى في الحجاز، ولا يسير إلى الكوفة، وخوفه غدر أهل العراق، ووعده أن يبابع له إذا اجتمع الناس عليه[٤]وقدم عبد الله بن عباس على يزيد بن معاوية الشام بعد مقتل الحسين بن علي، وبايع له، فأدناه يزيد وقربه، وأكرمه ووصله[٥] كما تمسك ابن عباس ببيعته ليزيد، ولم يخرج عليه مع أهل المدينة وعاد بمكة، وعندما دعا عبد الله بن الزبير لنفسه بعد وفاة يزيد بن معاوية، امتنع ابن عباس عن بيعته إلا إذا بايعت له الأمة[٦].

---

[١] الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٨٨م،ج ٥، ص ١٧٢؛ حسين عطوان: الفقهاء والخلافة فى العصر الأموى، ص٤٣.

[٢]الطبري: المصدر السابق والجزء، ص٣٤٣.

[٣] الطبري: نفسه والجزء، ص ٣٤٣؛ وجيه ذوقان: ولاية العهد فى العصر الأموى، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٥، ص٩٩.

[٤] الطبري: نفسه والجزء، ٣٨٣.

[٥] ابن أعثم الكوفي: الفتوح، القاهرة، ج٥، ص٢٦١.

[٦]المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص ٨٥؛ وجيه ذوقان: ولاية العهد، ص١٠٠.

أما عن محمد بن الحنفية فقد شارك أخاه الحسين بن علي في رفضه مبايعة يزيد بن معاوية أو الاعتراف بخلافته، خصوصًا وأن أبناء علي كانوا يرون أن الأمويين انتزعوا الخلافة منهم، وقد طلب ابن الحنفية من أخيه الحسين أن ينأى بنفسه عن يزيد بن معاوية، وأن يبعث رسله إلى الناس، فإن بايعوا له، كان له ما أراد، وإن اجتمعوا على غيره صبر وشكر[١]، إلا أنه وبعد مقتل الحسين نجد أن محمد بن الحنفية قد اتجه إلى الشام وبايع يزيد[٢]؛ وهذا جعل يزيد يقربه منه ويكرمه، ولم تكن خطوة ابن الحنفية هذه بدافع الاقتناع بقدر ما كانت بدافع الخوف على نفسه وعياله مما يمكن أن يحدث له، خصوصًا وأنه رأى كيف كانت نهاية الحسين[٣]؛ ولهذا رفض أن يخرج على يزيد ويخلعه مع أهل المدينة. وعندما طالبته مجموعة من أبناء الصحابة بمبايعة ابن الزبير، رفض ذلك لأنه كان قد بايع يزيد وأخذ جائزته، وعلل لهم مبايعته ليزيد بقوله: لقد بايعت يزيد خوفًا منه على نفسي، وولدي، وإبقاء على من بقي من أهل بيتي لأني رأيت أخي الحسين قتل، فلم آمن يزيد على نفسي وقد رأيت أخي الحسن بايع معاوية من قبل وأخذ جائزته، والحسن كان أفضل مني، فإن بايعت يزيدَ كان لي أسوة بأخي.[٤]

وأقام ابن الحنفية بالمدينة حتى وقعة الحرة(٦٣هـ/ ٦٨٢م) حيث رحل إلى مكة فأقام مع ابن عباس[٥]، وعندما توفي يزيد بن معاوية، وبايع ابن الزبير لنفسه، ودعا الناس إليه، دعا ابن عباس ومحمد بن الحنفية إلى البيعة له، إلا أنهما رفضا

---

[١] ابن أعثم: الفتوح، ج٥، ص ٣٠؛ وجيه ذوقان: ولاية العهد، ص ١٠٥ والتى تليها.

[٢] ابن أعثم: المصدر السابق والجزء، ص ٢٥٨.

[٣]ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٣٣.

[٤] ابن كثير: المصدر السابق والجزء والصفحة.

[٥] المسعودي: مروج، ج٣، ص ٨٥.

ذلك حتى تجتمع له البلاد[١]؛ مما أثر في علاقتهما بابن الزبير الذي اتبع معهم اللين حينًا والشدة أحيانًا أخرى، حيث أساء جوارهم وحصرهم وآذاهم وعاب محمد بن الحنفية، وأظهر شتمه وأمره وبني هاشم أن يلزموا شعبهم في مكة، وجعل عليهم الرقباء وهددهم بحرقهم إن لم يبايعوا[٢] وهي روايات من الممكن أن يكون مشكوك بها.

ويمكن أيضًا رصد مواقف عبد الله بن عمر بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان، بمبايعته ليزيد بن معاوية؛ وذلك حرصًا على وحدة الأمة وخوفًا من الفتنة والفرقة[٣]، كما أشار على الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير بمبايعة يزيد ونهاهما عن مخالفته، وحسب بعض النصوص "أن ابن عمر لم يكن في المدينة حين ورد نعي معاوية وبيعة يزيد على الوليد بن عتبة بن أبي سفيان(ت٦٤هـ-٦٨٤م) وأن ابن الزبير والحسين لما دعيا إلى البيعة ليزيد، أبيا وخرجا من ليلتها إلى مكة ولقيهما ابن عباس وابن عمر، فسألاهما ما وراءكما؟ قالا: موت معاوية والبيعة ليزيد، فقال لهما ابن عمر: اتقيا الله ولا تفارقا جماعة المسلمين، وأما ابن عمر فقد أقام أيامًا، فانتظر حتى جاءت البيعة من البلدان، فتقدم إلى الوليد بن عتبة فبايعه[٤] وقد قال حين بويع يزيد بن معاوية: "إن كان خيرًا رضينا وإن كان بلاء صبرنا"[٥].

---

[١]ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٢٥٣.

[٢]ابن كثير: البداية، ج٨، ص ٢٣٨؛ وجيه ذوقان: ولاية العهد، ص ١٠٦.

[٣] الطبري: تاريخ، ج٥، ص ٣٤٣.

[٤]ابن كثير: البدية، ج٨، ص ١٦٣؛ حسين عطوان: الفقهاء والخلافة فى العصر الأموى، ص٣٣.

[٥] حسين عطوان: المرجع السابق والصفحة.

واستمر ابن عمر ينصح الحسين بن علي بمبايعة يزيد بن معاوية، وأن يدخل في صلح معه كما دخل بقية الناس، وأن يصبر عليه كما صبر على معاوية من قبل إلى أن يحكم الله بينه وبينهم[١].

وأخذ ابن عمر علي الحسين مسيره إلى الكوفة وثورته على يزيد بن معاوية ومفارقته للجماعة، خصوصًا أنه رأى ما حدث مع أبيه وأخيه وكيف تم خذلانهم، وكان يقول: ينبغي للحسين أن لا يتحرك ما عاش وأن يدخل فيما دخل فيه الناس، فإن الجماعة خير"[٢].

وعندما أزمع أهل المدينة على خلع يزيد بن معاوية وحربه نصح لهم ابن عمر بالرجوع عن ذلك واعتزلهم، وأمر ولده وأهله أن يقيموا على بيعته، ولا يتابعوا أهل المدينة على خلعه[٣] وكان ابن عمر قد جمع أولاده وقال لهم: إنا بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله(ﷺ)، وإني سمعت رسول الله(ﷺ) يقول: "إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقول: "هذه غدرة فلان".

ويذكر ابن كثير أن عبد الله بن عمر بن الخطاب كان ممن لم ينقض العهد، وأنه لم يبايع أحدًا بعد بيعته ليزيد. وعندما توفي يزيد امتنع ابن عمر عن بيعة ابن الزبير[٤]، ودعاه إلى عدم مخالفة الأمة وإثارة الفرقة،[٥] ودعا الناس إلى عدم الانضمام إليه أو القتال معه، وأمرهم بالطاعة والابتعاد عن الفتنة، ويروى عنه أنه قال: "لا أقاتل في الفتنة وأصلي وراء من غلب"[٦].

---

[١] ابن أعثم: الفتوح، ج٥، ص ٣٨؛ وجيه ذوقان: ولاية العهد، ص ١٠٤.

[٢] ابن كثير: البداية، ج٨، ص ١٦٣.

[٣]ابن سعد: الطبقات، ج٤، ص ١٣ ٩٦.

[٤]ابن سعد: المصدر السابق، ص ١٧١.

[٥]ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٣٥٧.

[٦]ابن سعد: الطبقات، ج٤، ص ١٤٩؛ وجيه ذوقان: ولاية العهد، ص ١٠٥.

أما عن سعيد بن المسيب فكانت له مواقف سياسية واضحة، ففي حين عاب ابن المسيب على معاوية بن أبي سفيان استحداثه نظام ولاية العهد، وتحويل الخلافة إلى ملك إلا أنه بعد وفاة معاوية بايع يزيد بالخلافة، ودخل في طاعته؛ وذلك حفاظًا على الجماعة، ورفض أن ينقض بيعته ليزيد عندما ثار أهل المدينة عليه، حيث لزم المسجد ولم يفارقه، وكان يقول: "ما رأيت خيرًا من الجماعة"، هذا وقد رفض سعيد بن المسيب أن يبايع عبد الله بن الزبير، إلا إذا اتفقت عليه الجماعة، وبايعت له الأمة؛ وهذا ما جعل عامل ابن الزبير على المدينة يضربه ستين سوطًا لرفضه ذلك[١]، وقد أسهم هذا الأمر بعزل عامل ابن الزبير عن المدينة[٢].

ودخل سعيد بن المسيب في طاعة يزيد بن معاوية وأعطاه بيعته، وود لو أن الحسين بن على صبر على يزيد بن معاوية، وبقي في المدينة، ولم يذهب إلى الكوفة، إذْ كان يقول: "لو أن حسينًا لم يخرج كان خيرًا له"([٣])، وأبى أن ينقض بيعته ليزيد، وتنحى عن أهل المدينة، ولم يشترك معهم في الثورة عليه، ولزم مسجد المدينة، ولم يفارقه، قال صاحب الإمامة والسياسة[٤]: "كان سعيد بن المسيب رحمه الله لم يبرح من المسجد، ولم يكن يخرج إلا من الليل إلى الليل، وكان يسمع إذا جاء وقت الأذان أذانًا، فيخرج من قبل القبر الشريف، حتى أمن الناس. وكان سعيد يقول: "ما رأيت خيرًا من الجماعة"[٥].

ونصح له بعض الناس أن يختفي في المدينة، أو يرتحل إلى البادية، حين وجه مروان بن الحكم جيشًا من فلسطين مع حبيش بن دلجة القيني لمحاربة عبد الله

---

(١) الطبري: مصدر سابق، ج٦، ص ٤١٦.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٩٣؛ وجيه ذوقان: ولاية العهد، ص ١٠١.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٦٣.

(٤) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج١، ص ٢١٤.

٥ حسين عطوان: الفقهاء والخلافة، ص٤٢.

بن الزبير، فلم يستجب لنصحه؛ لأنه كان يريد أن يبقى مع الجماعة، قال البلاذري[١]: "بلغ أهل المدينة خبر جيش بن دلجة، فتغيب نفر من الصالحين، وقيل لسعيد بن المسيب: لو تغيبت أو أتيت البادية! فقال: فأين فضل الجماعة؟ والله لا رآني الله والناس أخوف عندي منه"[٢].

عصر مروان بن الحكم:

كان الفقهاء من أهل الأمصار لا يترددون أن يشيروا على ولاتهم، بل إن بعض الولاة سألوهم أن يشيروا عليهم، وممن فعل ذلك منهم مروان بن الحكم، فإنه لما ولي المدينة لمعاوية بن أبي سفيان، لم يكن يقطع أمرًا إلا برأي من بقي فيها من فقهاء الصحابة، قال ابن سعد "وكان مروان في ولايته على المدينة يجمع أصحاب رسول الله(ﷺ)، يستشيرهم، ويعمل بما يجمعون له عليه"[٣]، وقال ابن كثير "لما كان نائبًا بالمدينة كان إذا وقعت معضلة جمع من عنده من الصحابة، فاستشارهم فيها"[٤].

الموقف من ثورة عبد الله بن الزبير:

عمل عبد الله بن عباس على تثبيط الناس عن بيعة عبد الله بن الزبير أو نصرته، ويروي البلاذري أن رجلًا قال لابن عباس: إني بايعت ابن الزبير فأعطاني وحملني على فرس أفأقاتل معه؟ قال: لا تقاتل معه ورد عليه ما أعطاك واشترِ بغلًا أو بغلين

---

(١) البلاذرى: أنساب الأشراف، القاهرة، د.ت، ج٥، ص١٥١.

٢ حسين عطوان: الفقهاء والخلافة، ص٣٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى،ج ٥، ص ٤٣؛ حسين عطوان: الفقهاء والخلافة، ص٥٥.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ٢٥٨.

وغلامًا، واغزُ المشركين فإن قتلت على ذلك كنت شهيدًا إن شاء الله، قال فرددت على ابن الزبير مع ما أخذت منه[١].

وظل ابن العباس يأبى أن يبايع لابن الزبير إلى آخر حياته، ومات قبل أن يغلب عبد الملك بن مروان على العراق والحجاز، وتجمتع عليه الأمة، ولكنه وأوصى ابنه على بن عبد الله بن العباس أن يأتي الشام، ويتنحى عن سلطان ابن الزبير إلى سلطان عبد الملك بن مروان، وقال له: "الحق بابن عمك عبد الملك، فإنه أقرب وأخلق للإمارة، ودع ابن الزبير، فإني رأيته لا يعرف صديقه من عدوه، ومن يكن كذلك لم يتم أمره، ولم يصفُ له"[٢].

أما محمد بن الحنفية فقد أقام بالمدينة، فقد دُعِيَ هو ومحمد بن الحنفية إلى البيعة له، فأبيا يبايعان لابن الزبير، وقالا: حتى تجتمع لك البلاد، ويتسق لك الناس. فأقاما على ذلك ما أقاما، فمرة يكاشرهما، ومرة يلين لهما، ومرة يباديهما. ثم غلظ عليهما، فوقع بينهم كلام وشر، فلم يزل الأمر يغلظ، حتى خافا منه خوفًا شديدًا، ومعهما النساء والذرية، فأساء جوارهم، وحصرهم وآذاهم، وقصد لمحمد بن الحنفية فأظهر شتمه وعيبه، وأمره وبني هاشم أن يلزموا شعبهم في مكة، وجعل عليهم الرقباء، ومما قال لهم: والله لتبايعن، أو لأحرقنكم بالنار؛ فخافوا على أنفسهم.[٣].

ولم يزل ابن الحنفية يرفض أن يبايع لابن الزبير حتى قتله الحجاج بن يوسف، فلما قتله أرسل ابن الحنفية إلى عبد الملك بن مروان يعرض عليه أن يبايع

---

[١] البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٩٦؛ حسين عطوان: الفقهاء والخلافة، ص٤٠.

[٢] البلاذري: المصدر السابق،ج ٣، ص ٥٣؛ حسين عطوان: المرجع السابق، ص٤٧.

[٣] ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٥، ص١٠٠.

له إذا أعطاه الأمان، فأمنه عبد الملك، فبايع له، وقدم عليه الشام مع الحجاج، فرحب به عبد الملك، وأجلسه معه على سريره، وأحسن جائزته[١].

وتوقف ابن عمر عن بيعة ابن الزبير بعد موت يزيد بن معاوية[٢]، وكفه عن مخالفة الأمة، وإثارة الفرقة، وأخذ يخذل الناس عن الانضمام إليه، والقتال معه، ويدعوهم إلى الطاعة، والابتعاد عن الفتنة.[٣] "كان ابن عمر يقول: لا أقاتل في الفتنة، وأصلي وراء من غلب"، وروي: "أن ابن عمر كان في زمان الفتنة لا يأتي أمير إلا صلى خلفه، وأدى إليه زكاة ماله"[٤].

ورفض سعيد بن المسيب أن يبايع لعبد الله بن الزبير إلا إذا اتفقت عليه الجماعة، وبايعت له الأمة، "استعمل عبد الله بن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزهري على المدينة، فدعا الناس إلى البيعة لابن الزبير، فقال سعيد بن المسيب: لا، حتى يجتمع الناس، فضربه ستين سوطًا. فبلغ ذلك ابن الزبير، فكتب إلى جابر يلومه ويقول: ما لنا ولسعيد، دعه".[٥]

وكذا الحسن البصري، فإنه لما أبى عبد الله بن الزبير أن يبابع لعبد الملك بن مروان، نصح له الحسن البصري أن يتجلد ويصطبر، وأن يسلم بالقدر، "وأن الحسن كتب إلى ابن الزبير: إن لأهل الخير علامات يعرفون بها، ويعرفونها من أنفسهم، فمنها الصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، وإنما الإمام سوق، فما نفق فيها حمل إليها، فانظر أي سوق سوقك"[٦].

---

[١] ابن أعثم: الفتوح، ج٦، ص ٢٨٧؛ حسين عطوان: الفقهاء والخلافة، ص٣٦.

[٢] ابن سعد:الطبقات الكبرى،ج ٤، ص ١٧١.

[٣] ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٨، ص٣٤١؛ حسين عطوان: الفقهاء والخلافة، ص٤٥.

[٤] ابن سعد:الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ١٤٩؛ حسين عطوان: المرجع السابق، ص٥٥.

[٥] الطبرى:تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص ٤١٦؛ حسين عطوان: المرجع السابق، ص٥٦.

[٦] البلاذرى:أنساب الأشراف،ج ٥، ص ١٩٦؛ حسين عطوان: نفسه، ص٤٦.

عبد الملك بن مروان:

عندما بسط عبد الملك بن مروان سلطانه على جميع أمصار الدولة وأجمعت عليه الأمة، بايع له ابن عمر ودخل في طاعته كما دخل بقية المسلمين[١]، وفي هذا الإطار أعرض الحسن البصري عن الانضمام إلى ثورة عبدالرحمن بن الأشعث، وامتناعه عن خلع عبد الملك بن مراون، والحجاج بن يوسف مع اعترافه بأنه كان فاجرًا وفاسقًا[٢]، ونصحه القراء الذين خرجوا مع ابن الأشعث بالكف عن الثورة وإصدار حكمه عليهم بأنهم أهل فتنة[٣]، وعندما سئل الحسن البصري عن قتال الحجاج قال: "أرى أن لا تقاتلوه فإنها إن تكن عقوبة من الله فما أنتم برادي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله"[٤] وفي هذا دعوة إلى السكينة والتضرع إلى الله.[٥]

وعلى الرغم من أن سعيد بن المسيب بايع عبد الملك بن مروان بعد القضاء على ابن الزبير، وبعد أن أجمع الناس على عبد الملك[٦]، إلا أنه رفض طلب عبد الملك بن مروان بأخذ البيعة لولديه(الوليد وسليمان) وجعلهما وليي عهده[٧]، وقد شكلت هذه الحادثة بداية لما عرف بمحنة سعيد بن المسيب.

وقد عزى ابن المسيب رفضه هذه البيعة لعدة أمور منها: عدم وجود نص شرعي يستند عليه، وحتى لا تكون هذه البيعة حجة عليه يوم القيامة، خصوصًا بعد

---

[١] ابن سعد: الطبقات، ص١٥٢؛ حسين عطوان: نفسه، ص٦٥.

[٢] ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص ٧٠.

[٣]ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص ١٣٥.

[٤] ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص ١٦٤

٥ وجيه ذوقان: ولاية العهد، ص ١٠٩ والتى تليها.

[٦] الطبري: تاريخ، ج٦، ص ٤١٥.

[٧] ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص ٣٧٧.

ما قام به عبد الملك من قتل عمرو بن سعيد وإبعاد خالد بن يزيد عن ولاية العهد من أجل تبرير البيعة لولديه، كما سوغ رفضه بأن عبد الملك ما زال على قيد الحياة، وأنه لا يبايع لأولاده ما دام عبد الملك حيًّا، واحتج لموقفه هذا بما يروى عن رسول الله(ﷺ) بأنه حرم البيعة لخليفتين في وقت واحد، وأمر بالوفاء لأولهما وضرب عنق الثاني.[١]

وكان ابن المسيب قد رفض طلب عبد الملك بتزويج ابنته إلى الوليد بن عبد الملك حين استخلفه وولاه العهد[٢]، وكان رفض ابن المسيب لذلك ناتجًا عن ورعه ومعارضته لسياسة الأمويين، فأمر عبد الملك بتأديبه حيث ضرب مائة سوط، وصب عليه الماء في يوم بارد ومنع الناس من مجالسته[٣].

ومن الفقهاء من عمل في ديوان الرسائل، مثل قبيصة بن ذؤيب الخزاعي الدمشقي، وروح بن زنباع الجذامي، فإنهما كانا يكتبان لعبد الملك بن مروان[٤]، ومن الفقهاء من كان له مكانة خاصة عند بني أمية وعمالهم، وكان يعمل كالمستشار لهم، مثل روح بن زنباع الجذامي، فقد "كان عبد الملك بن مروان يستشيره في أموره"، وكان له كالوزير لا يكاد يفارقه. وكان عبد الملك معجبًا به إعجابًا شديدًا، فكان يقول: "جمع أبو زرعة طاعة أهل الشام، ودهاء أهل العراق، وفقه أهل الحجاز".[٥]

---

١ وجيه ذوقان: ولاية العهد، ص ١٠٢

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص ١٢٦.

(٣) وجيه ذوقان: ولاية العهد، ص١٠٣ .

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩، ص ٥٣.

(٥) ابن كثير:البداية والنهاية في التاريخ، ج٩، ص ٥٣؛ حسين عطوان: الفقهاء والخلافة، ص٣٦.

وكان قبيصة بن ذؤيب الخزاعي الدمشقي من ثقات عبد الملك بن مروان، وأهل مشورته، وكانت له منزلة كبيرة عنده لعلمه وأمانته، فإنه كان رفيقه في الدراسة بالمدينة، وكان نظيره في المعرفة بالفقه[١].

كما تقرب الشعبي من عبد الملك فكان له نديمًا وسميرًا ومربيًا لأولاده[٢]، وقد استخدمه عبد الملك في أهم سفارة تهم الدولة الأموية، وهي محاولة إقناع عبد العزيز بن مروان التنازل عن ولاية العهد لابن أخيه[٣]، فكانت سفارته من أهم السفارات، ومهمته من أخطر المهمات التي تمس صميم نظام الحكم، وقد نجح الشعبي في هذه السفارة[٤].

ويُعد الفقيه عبد الله بن محيريز الجمحي من أبرز علماء الشام وعبادهم[٥]، تمتع بمكانة مميزة بين أهل الشام عامة، وعند بني أمية خاصة[٦]، حيث قربه الأمويون منهم لفضله، ومكانته الدينية وتوطدت علاقته ببني أمية، وبمؤسسة الحكم منذ أيام عبد الملك بن مروان، حيث بايع لخلفائهم، وأقر بخلافتهم، واعتزل الفتن، وكان لا يترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ولا يذكر شيئًا من خصاله المحمودة[٧].

---

[١] السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٢١٦؛ حسين عطوان: الفقهاء والخلافة، ص ٤٠.

[٢] ابن عبدربه: العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وآخرون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ج١، ص٢٧٤ والتى تليها.

[٣] اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر بيروت، د. ت، ج٢، ص ٢٨٠.

[٤] اليعقوبي: المصدر السابق، ص٢٨٠.

[٥] ابن كثير: البداية، ج٩، ص ١٨٥؛ وجيه ذوقان: ولاية العهد، ص ١١٤.

[٦] الأصفهاني: حلية، ج٥، ص ١٤٠.

[٧] ابن كثير: البداية، ج٩، ص ١٨٦.

ونظرًا لمكانة ابن محيريز عند عبد الملك بن مروان، فقد عمل ناصحًا له[١]، وقد تعددت أساليب ابن محيريز في نصح عبد الملك فأحيانًا كان يتلطف إليه، ويعظه بالحسنى، قال رجاء بن حيوة: كان ابن محيريز يجيء إلى عبد الملك بصحيفة فيها نصيحة يقرئه ما فيها، فإذا فرغ منها أخذ الصحيفة[٢] وأحيانًا كان يشتد عليه ويجهر بذمة، منكرًا استباحته للمحارم وتخاذله عن نشر الإسلام، وانتهاك جنده للكعبة، وقتله خصومه، وانشغاله عن حرب الروم بتثبيت سلطانه[٣].

أما محمد بن شهاب الزهري فقد ارتبط بعلاقات مع الأمويين بعد عام(٨٢هـ) حيث قرب منهم، فمنحه عبد الملك بن مروان الأموال، وأمره بالتفرغ للدراسة[٤] وعينه سليمان بن عبد الملك مستشارًا له في بعض أمور الدولة، كما أصبح سميرًا للخليفة عمر بن عبد العزيز، واستقصاه الخليفة يزيد بن عبد الملك[٥].

تمتع رجاء بن حيوة الكندي بمكانة مميزة عند جميع خلفاء بني أمية الذين عاصرهم، فبايع لهم ولأولياء عهدهم وارتبط بعلاقات جيدة مع عبد الملك بن مروان[٦].

الوليد بن عبد الملك:

كان الفقيه ابن محيريز الوحيد بالشام الذي يظهر عيب الحجاج بن يوسف؛ وهذا أدى إلى لومه من الوليد بن عبد الملك، حيث قال له لتنتهين أو لأبعثن بك إلى

---

[١] وجيه ذوقان: ولاية الهد، ص ١١٤ ١١٥.

(٢) الأصفهاني: حلية، ج٥، ص ١٤٤.

[٣] ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص ٤٧٧.

[٤]ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص ١٧٨.

[٥]ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص ١٧٨؛ وجيه ذوقان: ولاية العهد، ص ١١٨.

[٦]ابن خلكان: وفيات، ج٢، ص ٣٠٢؛ وجيه ذوقان: ولاية العهد، ص ١١٧.

الحجاج[١]، واستمر ابن محيريز يدعو إلى الأمر بالمعروف، واعتزال الفتن، وكان يقول: "إذا رأيت خيرًا فاحمد الله، وإذا رأيت منكرًا فانزل بالأرض وسل الله أن يخفف البلاء عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم[٢].

ومن الفقهاء من تولى الشرطة، مثل خالد بن معدان الكلاعي الحمصي، وكذا خالد بن اللجلاج العامري الدمشقي الفقيه العابد[٣]، على شرطة الوليد بن عبد الملك[٤].

سليمان بن عبد الملك:

قرب سليمان بن عبد الملك رجاء بن حيوة الكندي، وجعله مستشارًا له[٥]، وأصبح لا يقطع أكثر الأمور إلا برأيه، فارتفعت منزلته عند سليمان بحيث أصبح لا يثق بأحد أو يستريح إليه كما يثق برجاء بن حيوة، ونظرًا للعلاقة الوثيقة التي ربطت الاثنين، ولقرب رجاء الكندي من مؤسسة الحكم، فقد أشار على سليمان بن عبد الملك باستخلاف عمر بن عبد العزيز[٦].

وسأل سليمان بن عبد الملك أبا سلمة حازم بن دينار المخزومي المدني أن يصحبه ويتوجه معه إلى دمشق، ليكون من خاصته وأهل مشورته، فلم يقبل، وقال: "أعوذ بالله من ذلك! قال سليمان: ولم يا أبا حازم؟ قال: أخاف أن أركن إلى الذين ظلموا، فيذيقني الله ضعف الممات! قال سليمان: فتزورنا؟ قال أبو حازم: إنا عهدنا

---

[١]لأصفهاني: حلية الأولياء، ج٥، ص ١٤٢.

[٢] الأصفهاني: حلية الأولياء، ١٤٣.

[٣] ابن حجر:تهذيب التهذيب، ج٣، ص ١١٥.

[٤] تاريخ خليفة بن خياط، دار طيبة للنشر، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٨٥،ج٢، ص٥٧٨؛ حسين عطوان: الفقهاء والخلافة، ص٤٤.

[٥] اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص ٢٩٩، ٣٠٨.

[٦]ابن الجوزي: سيرة، ص ١٣٩؛ وجيه ذوقان: ولاية العهد، ص ١١٧.

الملوك يأتون العلماء، ولم يكن العلماء يأتون الملوك، فصار في ذلك صلاح الفريقين، ثم صرنا الآن في زمان صار العلماء يأتون الملوك، والملوك تقعد عن العلماء، فصار في ذلك فساد الفريقين جميعًا"[١].

وقدم سليمان بن عبد الملك الفقهاء، وأجلهم([٢])، وكان يستشيرهم، ويقطع أكثر الأمور بآرائهم[٣]، وقد غلب عليه منهم رجاء بن حيوة الكندي[٤] "فكان من أعبد أهل زمانه، وكان مرضيًا حكيمًا، ذا أناة ووقار، وكان الخلفاء يعرفونه بفضله، فيتخذونه وزيرًا ومستشارًا، وقيمًا على عمالهم وأولادهم، وكان له من الخاصة والمنزلة عند سليمان بن عبد الملك ما ليس لأحد، يثق به، ويستريح إليه". [٥]

عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ):

عندما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة استمرت العلاقة الوثيقة بينه وبين رجاء بن حيوة الكندي، وأصبح الكندي أقرب الفقهاء إلى عمر بن عبد العزيز، الذي عينه قيمًا على عماله[٦] كما عمل رجاء بن حيوة ناصحًا للخلفاء الأمويين الذين عاصرهم؛ وذلك حفاظًا على العمل بالكتاب والسنة. [٧]

وفي الحقيقة فإن الخليفة عمر بن عبد العزيز قد قام بجمع السنة وتدوينها ونشرها ١٠١هـ/٧١٩م، وقد كان دافعه إلى ذلك ظهور الكذابين في الحديث، وتأتي أهمية

---

[١] ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص ٤٢٣؛ حسين عطوان: الفقهاء والخلافة، ص.

[٢] ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٢٢.

[٣] المسعودي: التنبيه والإشراف، ص: ٢٧٥.

[٤] اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢،ص٢٩٩.

[٥] حسين عطوان: الفقهاء والخلافة، ص٥٠

[٦] ابن الجوزي: سيرة، ص ١٣٩.

[٧] وجيه ذوقان: ولاية العهد، ص ١١٨.

السنة "الحديث"للفقه من أنها مكملة للتشريع الإسلامي ببيانها للكتاب[١]، وكان عمر بن عبد العزيز حريصًا على بعث نعيم؛ ليعلم أهلها السنن[٢]، وهو كان يعمل قبل ذلك فقيهًا لأهل المدينة، ومولى لعبد الله بن عمر بن الخطاب وكان أصله من أصفهان[٣].

ومن الفقهاء من تقلد بيت المال والخراج، مثل ميمون بن مهران الجزري، "كان ميمون واليًا لعمر بن عبد العزيز على خراج الجزيرة، وابنه عمرو بن ميمون على الديوان...، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز يستعفيه من الخراج، فكتب إليه عمر: إنما هو درهم تأخذه من حقه، فما استعفاؤك من هذا؟ فلم يزل على الخراج أيام عمر بن عبد العزيز، حتى مات عمر.[٤]

وفي الحقيقة فقد كان عمر بن عبد العزيز ذا شخصية مؤثرة وملهمة للروايات والكتابات التاريخية فوصفه البعض بأنه خامس الخلفاء الراشدين–جوازًا– والنصوص التالية تبرز أهمية دوره، فمثلًا أقبل سليمان بن عبد الملك إلى جيشه ومعه عمر بن عبد العزيز، وفي ذلك المعسكر: الخيول والجمال والبغال والأثقال والرجال، فقال سليمان: ما تقول يا عمر في هذا؟ فقال: أرى دنيا يأكل بعضها بعضًا، وأنت المسؤول عن ذلك كله، فلما اقتربا من المعسكر إذا غراب قد أخذ لقمة في فيه من فسطاط سليمان وهو طائر بها، ونعب نعبةً، فقال له سليمان: ما هذا يا عمر؟ فقال: لا أدري. فقال: ما ظنك أنه يقول؟ قال عمر: كأنه يقول: من أين جاءت وأين يُذهَبُ بها؟ فقال له سليمان: ما أعجبك؟ فقال: عمر: أعجب ممن عرف اللّه فعصاه، ومن

[١] محمد الخضري: تاريخ التشريع الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص١٤٠.

[٢] ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص ١٥٠.

[٣] ابن النديم: الفهرست، تحقيق جوستاف فلوجل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٦، ص ٤٨.

[٤] ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٤٧٨؛ حسين عطوان: الفقهاء والخلافة، ص٥٥.

عرف الشيطان فأطاعه، ومن عرف الدنيا فركن إليها[١].

وحجّ سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز فأصابهم برق ورعد، حتى كادت أن تنخلع قلوبهم، فنظر سليمان إلى عمر وهو يضحك، فقال سليمان: يا أبا حفص، هل رأيت مثل هذه الليلة قط أو سمعت بها؟ فقال: يا أمير المؤمنين، هذا صوت رحمة اللَّه، فكيف لو سمعت صوت عذاب اللَّه؟ فقال: هذه المائة ألف درهم، فتصدق بها. فقال: أو خير من ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: وما هو؟ قال: قوم صحبوك في مظالم لهم لم يصلوا إليك، فجلس سليمان فرد المظالم[٢].

ومن أعظم مواقف الحكمة مع سليمان بن عبد الملك أن سليمان قال له: يا أبا حفص، إنا قد ولينا ما ترى، ولم يكن لنا بتدبيره علم، فما رأيت من مصلحة العامة فمر به، فكان من ذلك أن عمر أمر بعزل عمال الحجاج، وأقيمت الصلاة في أوقاتها بعدما كانت أُميتت عن وقتها، مع أمور جليلة كان يسمع من عمر فيها، فقد قيل: إن سليمان حج فرأى الخلائق بالموقف فقال لعمر: أما ترى هذا الخلق الذي لا يُحصي عددهم إلا اللَّه؟ قال: هؤلاء اليوم رعيتك، وهم غدًا خصماؤك، فبكى سليمان بكاءً شديدًا[٣].

بعد أن مات معاوية بن أبي سفيان سنة ستين للْهجرة النبوية، بدأ الظلم، واتسع الخرق والخلاف بين العلماء والخلفاء، فصار بعض الناس في وادٍ، وبعض حكامهم في وادٍ آخر، ثم ازدادت الأحوال سوءًا بتسلم بعض الولاة الظلمة الحكم أمثال الحجاج، وصاروا يجمعون الأموال وينفقونها في غير حلها بلا حساب ولا نظام، وقد كان الشاعر يدخل على الخليفة أو الوالي فيمدحه، فيكيل له بلا حساب، وقد كان

---

(١) ابن الجوزى: مناقب عمر، ص٥٢؛ سعيد القحطانى: موقف التابعين وأتباعهم فى الدعوة الى الله، الرياض، ١٤٢٥، ص ١١ والتى تليها.

(٢) ابن الجوزى: مناقب عمر، ص٥٢، ٥٣.

(٣) ابن الجوزى: المصدر السابق، ص٥٣.

سليمان بن عبد الملك أمثل الخلفاء[١].

وكان دخله قبل الخلافة أربعين ألف دينار، فترك ذلك كله إلا أربعمائة دينار في كل سنة، ونظر إلى ما في يديه من أرض أو متاع فخرج منه، حتى إنه رد فصّ خاتم كان في يده إلى بيت المال، وقال: هذا مما أعطانيه الوليد بن عبد الملك من غير حقه[٢].

بعد أن بدأ بنفسه بدأ بأهله، فسأل زوجته فاطمة بنت عبد الملك عن الجوهر الذي عندها، من أين صار إليها؟ فقالت: أعطانيه أمير المؤمنين، فقال: إما أن ترديه إلى بيت المال، وإما أن تأذنيني في فراقك، فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت، قالت: لا، بل أختارك على أضعافه لو كان لي، فوضعته في بيت المال[٣].

بعد أن أصلح عمر نفسه وأهله، بدأ بإصلاح أوضاع بني أمية، فأخذ ما بأيديهم من المظالم وردها إلى أهلها، وإلى بيت المال إن لم يكن لها أهل، وسمى أموالهم أموال مظالم، وأمر مناديه أن يُنادي في الناس: من كانت له مظلمة فليرفعها، وجاء كل من كانت له مظلمة فجعل يرد المظالم مظلمة مظلمة[٤]، وأخذ جميع الأموال التي أخذها بنو مروان بغير استحقاق، فوضعها في بيت مال المسلمين[٥].

كما كتب إلى الولاة على الأمصار الإسلامية يأمرهم بطاعة اللَّه، وينهاهم عن معصيته، ويخوفهم من عقابه، ويرغبهم في ثوابه، ويزهدهم في الدنيا، ويضرب لهم

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٨، ص ١٤٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص٣٤١-٣٤٤.

(٣) ابن سعد:الطبقات، ج٥، ص٣٩٣.

(٤) ابن الجوزى: مناقب عمر، ص١٢٥-١٢٧.

(٥) ابن الجوزى: المصدر السابق، ص١٣٣-١٤١.

الأمثال بمن مضى ممن كان قبلهم من الخلفاء والولاة، وأنهم قد ذهبوا إلى ما قدموا من عمل، فمنهم الرابح، ومنهم الخاسر، وأمرهم بالعدل مع الرعية، ونهاهم عن الظلم، وأمرهم برد جميع المظالم إلى أهلها، وعزل بعضهم عن الولاية وولّى من هو أصلح منه، واستدعى بعضهم إلى الحضور لديه ليحاسبه على جوره وظلمه، وحذر الولاة من أخذ الرشوة والهدية من الرعية[١]، وأمر الولاة بوضع الجزية عمن أسلم من اليهود والنصارى حيث كان بنو أمية لا يضعون الجزية عمن أسلم؛ فأسلم بذلك خلق كثير، ومن هؤلاء أهل خراسان، فقد أسلم منها أربعة آلاف في وقت قصير بسبب هذه الحكمة العظيمة[٢].

ومن أعظم مواقفه الحكيمة في إصلاح الأوضاع في الدولة الأموية ما أحياه في النفوس من خوف اللّه ومراقبته، وغرس ذلك في نفوس الناس، ومن ذلك أنه في يوم الجمعة يخطب الناس، فبكى يومًا، وبكى الناس معه حتى ارتج المسجد بالبكاء، وصار لحيطانه صوت بالبكاء[٣].

هذا وقد فقّه الناس في دين اللّه، وغرس في قلوبهم حب الكتاب والسنة، وكان يرسل المرشدين إلى البادية ليُفقِّهوا الناس في الدين[٤]، لم يكتفِ عمر بن عبد العزيز بالخطوات الحكيمة السابقة في إصلاح أوضاع المسلمين في الدولة الأموية، بل اهتم بأمور غير المسلمين، فأرسل إلى أفريقيا مجموعة من الدعاة، فأسلم على أيديهم أمم هائلة من البربر وغيرهم.[٥]

---

(١) ابن الجوزى: مناقب عمر ،ص ١٣٣-١٤١.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص٣٤١-٣٤٤.

(٣) ابن الجوزى: سيرة ومناقب عمر، ص٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٥.

(٤) ابن الجوزى: المصدر السابق، ص٩٢.

[٥] سعيد القحطانى: موقف التابعين وأتباعهم فى الدعوة إلى الله، صفحات متعددة.

يزيد بن عبد الملك:

تضامن العديد من الفقهاء مع عصر يزيد بن عبد الملك فقد عارض الحسن البصري خروج يزيد بن المهلب الأزدي على يزيد بن عبد الملك، وتخذيله الناس عن مؤازرته، واتهامه له بأنه صاحب فتنة؟. لا يستقيم البدء بهذا الاقتباس مباشرة"حدثني معاذ بن سعد: أن يزيد لما استجمع له البصرة، قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه، ثم أخبرهم أنه يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه(ﷺ)، ويحث على الجهاد، ويزعم أن جهاد أهل الشام أعظم ثوابًا من جهاد الترك والديلم! فدخلت أنا والحسن البصري، وهو واضع يده على عاتق، وهو يقول : انظر هل ترى وجه رجل تعرفه؟ قلت: لا والله، ما أرى وجه رجل أعرفه، قال: فهؤلاء والله الغثاء! فمضينا حتى دنونا من المنبر، فسمعته يذكر الله وسنة نبيه(ﷺ)، ثم رفع صوته، فقال: والله لقد رأيناك واليًا ومولى عليك، فما ينبغي لك ذلك. فأخذناه بيده وفمه وأجلسناه، فوالله ما نشك أنه سمعه، ولكنه لم يلتفت إليه، ومضى في خطبته. ثم إنا خرجنا إلى باب المسجد، فإذا على باب المسجد النضر بن أنس بن مالك يقول: يا عباد الله، ما تنقمون من أن تجيبوا إلى كتاب الله وسنة نبيه(ﷺ)؟ فوالله ما رأينا ذلك ولا رأيتموه منذ ولدتم إلا هذه الأيام من إمارة عمر بن عبد العزيز! فقال الحسن: سبحان الله! وهذا النضر بن أنس قد شهد أيضًا![(١)]

واستخلف يزيد بن عبد الملك ميمون بن مروان الجزري، فكان ميمون واليه على الخراج أشهرًا، وقد كان ميمون ولي قبل ذلك بيت المال بحران لمحمد بن مروان".[٢]

---

(١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص ٥٨٧.

٢ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٤٧٨

هشام بن عبد الملك:

قرب هشام بن عبد الملك محمد بن شهاب الزهري، وجعله مؤدبًا لأولاده، وقد قام الزهري بهذا العمل نظرًا لما كان يتوقعه لهم، أو لبعضهم من ولاية أمور الأمة وقيادتها. كما كلف بمهمة تدوين حديث الرسول(ﷺ) لحفظه من الضياع والتزوير، وقيل إن الذي كلفه بذلك هو عمر بن عبد العزيز[١].

وكان الزهري يقدح بالوليد في مجالس هشام ويعيبه ويقول: "لا يحل الله إلا خلعه"[٢]، وعلى هذا فإن هشامًا كان في وضع لا يحسد عليه، فهو لا يستطيع أن يعزل الوليد نظرًا للعقد الذي عقده له، ولا يسوءه ما يصنع الزهري رجاء أن يؤلب الناس عليه، خصوصًا أن ما أشار به الزهري على هشام كان من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بوصفه عالمًا من علماء الأمة الذين يقع عليهم عبء القيام بمثل هذا الأمر؛ وذلك لعلاقته بمصلحة الأمة ومستقبلها.[٣]

وقد تسببت مواقف الزهري هذه في غضب الوليد بن يزيد على الإمام الزهري، وعدائه الشديد والواضح له، فقد كان الوليد يتلهف لو قبض على الزهري ليقتله، إلا أن الزهري توفي قبل وفاة هشام بن عبد الملك، دون أن يظفر به الوليد.[٤]

مروان بن محمد:

برز نجم عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي الدمشقي في تلك الأثناء، وكان إمام أهل الشام في زمانه، حرم قتل بني أمية ومصادرتهم، وأنكر على عبد الله بن علي غدره بهم، وسفكه لدمائهم، وأبى أن يعترف بحق بني العباس في الخلافة! قال

---

[١] وجيه ذوقان: ولاية العهد، ص ١١٨.

[٢] ابن سعد: الطبقات، ج٣، ص ١٧٣.

[٣]. وجيه ذوقان: ولاية العهد، ص ١١٩

٤. وجيه ذوقان: المرجع السابق، ص ١٢٠

ابن أبي حاتم الرازي: قال الأوزاعي: "أدخلت على عبد الله بن علي، وأصحاب الخشب وقوفًا، فأجلست على كرسي فقال لي: ما تقول في دماء بني أمية؟ فأخذت في حديث غيره، فقال لي: ارجع، ويلك! دمائهم؟ قلت: ما تحل لك! قال: لم؟ ويلك! قلت: لأن رسول الله(ﷺ)، بعث محمد بن سلمة الأنصاري، وأمره أن يقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها، عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله. فقال: ويلك! أليست لنا الخلافة وراثة من رسول الله(ﷺ)، قاتل عليها علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) بصفين؟ قلت: لو كانت الخلافة من رسول الله(ﷺ)؛ إذن ما رضي علي بالحكمين! فقال لي: اخرج، ويلك! فما ظننت أني أحمل إلا ميتا".[١]

ودافع الأوزاعي عن حق بني أمية في الخلافة والحكم، وبغض النظر عن مبدأ الحكم الوراثي الذي جاء به الأمويون، ويظهر ذلك من خلال موقفه عندما استدعاه عبد الله بن علي عم السفاح، عندما قدم الشام وسأله عن رأيه في دماء بني أمية، فرد عليه الأوزاعي وذكره بما كان بينه وبين بني أمية من عهود وكيف كان عليه أن يفي بهذه العهود، ثم بين له أن دماء بني أمية حرام عليه، وأن ادعاء عبد الله بن علي بأن رسول الله(ﷺ) قد أوصى لعلي من بعده هو ادعاء باطل؛ لأنه لو كان رسول الله(ﷺ) أوصى لعلي، لما حكم الحكمين؛ وهذا أدى إلى غضب عبد الله بن علي، الذي حاول أن يأخذ من الأوزاعي فتوى بشرعية حكم العباسيين، إلا أنه فشل في ذلك وأمر بإخراج الأوزاعي من عنده[٢].

ونظرًا للمكانة العالية التي تمتع بها الأوزاعي بين أهل الشام، فقد رأى البعض بأنه يصلح للخلافة[٣]، واعتبر آخرون بأن أمره في الشام أعز من أمر السلطان[١].

---

[١] ابن كثير: البداية النهاية، ج ١٠، ص ١١٧؛ حسين عطوان: الفقهاء والخلافة، ص٧٠.

[٢] الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص ١٨٠ والتى تليها.

[٣]الذهبي: المصدر السابق والجزء، ص ١٧٩.

وبالرغم من مكانة الأوزاعي العالية عند الأمويين، إلا أنه رفض أن يتولى القضاء لهم[٢]. وسوغ ذلك بأنه يريد أن يتفرغ للعبادة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يقول: "ويل للمتفقهين لغير العبادة، والمستحلين الحرمات بالشبهات"[٣].

الحجاج بن يوسف كأحد أبرز رجال السلطة الأموية:

كان الحجاج بن يوسف ذا دور محوري في العلاقة مع الفقهاء، فمثلًا لما قارب الحسن البصري الستين، وصار شيخًا كبيرًا، وفقيهًا مذكورًا، وإمامًا مشهورًا، جعل يجهر بمخالفته للخارجين على بني أمية، وينسبهم إلى الفرقة والضلالة، وينهى الناس عن الاغترار بهم، والقتال معهم، ويحضهم على الطاعة، والاعتصام بحبل الجماعة، وهل أدل على ذلك من إعراضه عن الانضمام إلى ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي، وامتناعه عن خلع الحجاج بن يوسف، وعبد الملك بن مروان، ونصحه للقراء الذين خرجوا مع ابن الأشعث بالكف عن الثورة، وحكمه عليهم أنهم أهل فتنة؟ قال ابن أعثم الكوفي، "اجتمعت القراء الذين في عسكر ابن الأشعث إلى الحسن بن يسار البصري، والحسن يومئذ مقيم بالمفتح، فقالوا: يا أبا سعيد، هات ما عندك، وتكلم بما ترى! فقال الحسن: إني أرى أنها فتنة، فرحم الله عبدًا اتقى ربه، ونظر ليوم معاده"![٤]

كما أرسل الحجاج سعيد بن جبير إلى ابن الأشعث، وسأله أن ينهاه عن المعصية ومفارقة الجماعة، ولكن أصحاب ابن الأشعث حرضوه على الحجاج،

---

[١] الزركلي: الأعلام، بيروت– لبنان، د.ت، ج٤، ص ٧٤.

[٢] الزركلي: المرجع السابق، ج٤، ص ٩٤.

[٣] ابن العماد: شذرات الذهب، ج١، ص ٢٤٢؛ وجيه ذوقان: ولاية العهد، ص ١١٥

[٤] ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص ١٣٥؛ حسين عطوان: الفقهاء والخلافة، ص٤٤.

وألحوا عليه أن ينضم إليهم، فاستجاب لهم وحارب معهم عن غير رضًا منه، قال صاحب الإمامة والسياسة: "قدم عليهم سعيد بن جبير، فقالوا له: إنا قد حسبنا أنفسنا عليك، فما الرأي؟ قال: الرأي أن تكفوا عما تريدون، فإن الخلع فيه الفتنة، والفتنة فيها سفك الدماء، واستباحة الحرم، وذهاب الدين والدنيا! فقالوا: إنه الحجاج، وقد فعل ما فعل، فذكروا أشياء، ولم يزالوا به حتى سار معهم، وهو كاره"[١].

ولما قبض على سعيد، وسيق إلى الحجاج، ذكر له أنه أُجبر على الخروج، وأنه يتمسك بالجماعة، وينكر الفتنة، قال صاحب الإمامة والسياسة: قال له الحجاج: "أنا أحب إلى الله منك! قال سعيد: لا يقدم أحد على ربه حتى يعرف منزلته منه، والله بالغيب أعلم. قال الحجاج: كيف لا أقدم على ربي في مقامي هذا، وأنا مع إمام الجماعة، وأنت مع إمام الفرقة والفتنة؟ قال سعيد: ما أنا بخارج عن الجماعة، ولا أنا براضٍ عن الفتنة، ولكن قضاء الرب نافذ لا مرد له"[٢].

وتتفق جميع الروايات على أن سعيدًا أخبر الحجاج حين أتى به إليه أنه أكره على الخروج إكراهًا، فلم يقبل قوله، وأمر بقتله، لما انهزم أهل دير الجماجم، لحق سعيد بن جبير بمكة، فأخذه خالد بن عبد الله فحمله إلى الحجاج،...، فقال له: ألم أقدم العراق فأكرمتك؟ وذكر أشياء صنعها به. قال: بلى، قال: فما أخرجك علي؟ قال: كانت لابن الأشعث بيعة في عنق، وعزم علي. فغضب الحجاج، وقال: رأيت لعدو الله عزمة لم ترها لله ولا لأمير المؤمنين ولا لي! والله لا أرفع قدمي حتى أقتلك، وأعجلك إلى النار! فقام مسلم الأعور...، فضرب عنقه".[٣]

---

[١] ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج٢، ص٣٢؛ حسين عطوان: الفقهاء والخلافة، ص٤٥.

[٢] ابن قتيبة: المصدر السابق والجزء، ص ٥٣؛ حسين عطوان: المرجع السابق، ص٥٢.

[٣] ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٢٦٥؛ حسين عطوان: نفسه، ص٤٠.

وكانت لعامر بن شراحيل مكانة رفيعة عند الحجاج بن يوسف، ولكن قراء أهل الكوفة حملوه على الخروج عليه مع ابن الأشعث، قال الشعبي:(ولم أرَ عنده إلا أحسن منزلة، حتى كان عبد الرحمن بن الأشعث، فأتاني قراء أهل الكوفة، فقالوا: يا أبا عمرو، إنك زعيم القوم، فلم يزالوا بي حتى خرجت معهم، فقمت بين الصفين أذكر الحجاج وأعيبه بأشياء قد علمتها".[(١)]

فلما هزم ابن الأشعث وجيء بالشعبي إلى الحجاج، أو جاءه بنفسه راجيًا أن يغفر له، ويعفو عنه، أعلن ندمه على مخالفته ومحاربته، واعترف بجرمه وخطيئته، واتهم أصحاب ابن الأشعث بالمعصية والضلالة، فرضي بذلك منه، وصفح عنه.[٢]

ولما كثر تذمر أهل العراق من الحجاج بن يوسف، وأرادوا الوثوب عليه، أشار عليهم الحسن البصري أن يوطنوا أنفسهم على احتمال الشدة، وأن يركنوا إلى الهدوء، ويبتهلوا إلى الله، "كان الحسن يقول: إنما هو نقمة، فلا تقابل نقمة الله بالسيف، وعليكم بالصبر والسكينة والتضرع".[(٣)]

وفي الإطار ذاته، يُعد سعيد بن جبير الكوفي من أبرز علماء العراق الذين سلموا بخلافة بني أمية في بدايتها، حيث بايع خلفاءهم الذين عاصرهم وأولياء عهدهم من بعدهم، كما ارتبط بعلاقات جيدة مع الحجاج بن يوسف عندما كان واليًا لعبد الملك بن مروان على العراق، وممثلًا للسلطة فيها حيث قربه منه، واستشاره في بعض الأمور[(٤)]، وعينه إمامًا، ثم ولاه القضاء بالرغم من أنه مولى، وكان لا يتولى القضاء إلا العربي، وجعله من سماره، وأغدق عليه الأموال لتوزيعها على أهل

[(١)] تهذيب تاريخ ابن عساكر،ج ٣، ص ١٥٢؛ حسين عطوان: الفقهاء والخلافة، ص٥٥.

[٢] حسين عطوان: المرجع السابق، ص٤٣.

[(٣)] ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٩، ص ١٣٥؛ حسين عطوان: نفسه، ص٩٩.

[(٤)] ابن كثير: البداية، ج٩، ص ٩٦.

الحاجة[١]، وقد عمل ابن جبير على صد أصحاب ابن الأشعث في أول أمرهم عن المضي في الخروج على الحجاج بن يوسف، وردعهم عن خلعه، وبصرهم بعواقب الانخراط في الفتنة، ويروى أنه قام بذلك بناء على طلب الحجاج، الذي أرسله إلى ابن الأشعث، وسأله أن ينهاه عن المعصية، ومفارقة الجماعة، إلا أن أصحاب ابن الأشعث حرضوه على الحجاج وألحوا عليه أن ينضم إليهم. فاستجاب لهم وحارب معهم، وقد صرح ابن جبير بعيوب عبد الملك وذكر شروره وشرور قومه، ومساوئ حكمهم، وحرض على قتالهم[٢]، وقال في وقعة دير الجماجم: قاتلوهم على جورهم في الحكم وخروجهم من الدين، وتجبرهم على عباد الله، وإماتتهم الصلاة، واستذلالهم المسلمين[٣].

كما أعلن أنه ثار على الحجاج لأنه انسلخ من الإسلام، واتهمه بالكفر[٤]؛ وقد أدت هذه الأحداث إلى سوء علاقته ببني أمية، وبالسلطة الحاكمة، خصوصًا عبد الملك بن مروان، وواليه الحجاج بن يوسف، وشكلت بداية لما عرف بمحنة سعيد بن جبير الكوفي، فقد عنف ابن جبير بعد هزيمة ابن الأشعث وأرسل إلى الحجاج، وذكر له أنه أجبر على الخروج، وأنه يتمسك بالجماعة وينكر الفتنة[٥].

وعندما سأله الحجاج عن سبب خروجه عليه، وذمه لعبد الملك قال ابن جبير "لقد كانت لابن الأشعث بيعة في عنقي، وعزم علي، فغضب الحجاج، وقال رأيت لعدو الله عزمة لم ترها لله ولا لأمير المؤمنين[٦]، وكان السبب الذي أغضب الحجاج

---

[١] ابن خلكان: وفيات، ج٢، ص ٣٧٣.

[٢] ابن سعد: الطبقات، ج٦، ص ٢٦٥.

[٣] الطبري: تاريخ، ج٦، ص ٢٥٧؛ وجيه ذوقان: ولاية العهد، ص ١٠٧.

[٤] ابن كثير: البداية، ج٩، ص ١٣٦؛ وجيه ذوقان: المرجع السابق والصفحة.

[٥] الطبري: تاريخ، ج٦، ص ٤٨٩؛ وجيه ذوقان: نفسه والصفحة.

[٦] ابن خلكان: وفيات، ج٢، ص ٣٧٣.

من سعيد بن جبير، أنه كان قد أخذ بيعته لعبد الملك مرتين، مرة في مكة عندما قضى على ابن الزبير، ومرة في العراق حين كان واليًا على الكوفة، وأن سعيد بن جبير نكث بهاتين البيعتين لأمير المؤمنين وبايع لابن الأشعث لذلك أمر بضرب عنقه(١).

علماء الدين والمعارضة الناعمة مع السلطة الأموية[٢]

تحدثت بعض الروايات عن مواقف سعيد بن المسيب مع الحجاج بن يوسف الثقفي، فيروى **أن** الحجاج صلى مرة بجنب سعيد بن المسيب –قبل أن يولى شيئًا من أمور المسلمين– فجعل يرفع قبل الإمام، ويقع قبله في السجود، فلما سلم أخذ سعيد بطرف ردائه، وبقي يقول الذّكر بعد الصلاة، والحجاج ما زال ينازعه رداءه حتى قضى سعيد ذكره، ثم أقبل عليه يؤنبه ويؤدبه بالكلام، فلم يقل له الحجاج شيئًا حتى صار نائبًا على الحجاز، وعندما أتى المدينة نائبًا عليها، فلما دخل المسجد قصد مجلس سعيد بن المسيب حتى جلس بين يديه، فقال له: أنت صاحب الكلمات؟ فضرب سعيد صدره بيده وقال: نعم. قال: فجزاك اللَّه من معلم ومؤدب خيرًا، ما صليت بعدك صلاة إلا وأنا أذكر قولك، ثم قام ومضى(٣).

وفي مرة أخرى قيل لسعيد بن المسيب: ما شأن الحجاج لا يبعث إليك ولا يحركك ولا يؤذيك؟ قال: واللَّه ما أدري، إلا أنه دخل ذات يوم مع أبيه المسجد فصلى صلاة لا يتم ركوعها ولا سجودها، فأخذت كفًّا من حصى فحصبته بها. قال الحجاج: فما زلت أحسن الصلاة(٤).

---

(١) الطبري: تاريخ، ج٦، ص ٤٩٠؛ وجيه ذوقان: ولاية العهد، ص ١٠٧.

٢سعيد القحطانى: موقف التابعين وأتباعهم فى الدعوة إلى الله، ص ٥ والتى تليها

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص١١٩.

(٤) ابن سعد: الطبقات، ج٥، ص١٢٩.

كما كانت للحسن البصري مواقف سياسية مختلفة ومهمة، فكان لا يرى الخروج على الأئمة العُصاة من المسلمين، فقد جاء جماعة من المسلمين إلى الحسن البصري، يستفتونه في الخروج على الحجاج، فقالوا: يا أبا سعيد، ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام،... وفعل ما فعل؟ فقال الحسن: أرى أن لا تقاتلوه؛ فإنها إن تك عقوبة من اللَّه فما أنتم برادي عقوبة اللَّه بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم اللَّه وهو خير الحاكمين. وخرجوا من عند الحسن ولم يوافقوه، فخرجوا على الحجاج فقتلوا جميعًا[١]؛ ولهذا كان الحسن: يقول لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يفرج عنهم، ولكنهم يجزعون إلى السيف فيوكلون إليه، فواللَّه ما جاءوا بيوم خير قط[٢].

بعث الحجاج إلى الحسن مرة – وقد همّ به – فجاء الحسن إليه، فلما قام بين يديه قال: يا حجاج، كم بينك وبين آدم من أب؟ قال: كثير. قال: فأين هم؟ قال: ماتوا. فنكس الحجاج رأسه، وخرج الحسن[٣].

وفي سياق آخر فعندما ولي عمر بن هبيرة[٤] العراق أرسل إلى الحسن فقدم إليه، فقال له: إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك[٥] ينفذ كتبًا أعرف أن في إنفاذها الهلكة، واستفتاه: ماذا يصنع أمام هذه الكتب؟ فقال الحسن: يا عمر بن هبيرة، يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة اللَّه – تعالى – فظ غليظ، لا يعصي اللَّه ما أمره،

---

(١) ابن سعد:الطبقات، ج٧، ص١٦٣-١٦٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات،ج ٧، ص١٦٤.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص١٣٥.

(٤) هو عمر بن هبيرة بن معاوية بن بن سُكَين، الأمير أبو المثنى أمير العراقين، مات سنة ١٠٧هـ(الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٥٦٢).

(٥) هو يزيد بن عبد الملك بن مروان الخليفة، استخلف بعهد عقده له أخوه سليمان، بعد عمر بن عبد العزيز، ولد سنة ٧١هـ. وكانت خلافته أربعة أعوام، توفي سنة ١٠٥هـ(الذهبى: المصدر السابق، ج٥، ص١٥٠-١٥٢).

فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، يا عمر بن هبيرة إن تتقِ اللَّه يعصمك من يزيد بن عبد الملك، ولا يعصمك يزيد بن عبد الملك من اللَّه، يا عمر بن هبيرة لا تأمن أن ينظر اللَّه إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك نظرة مقت، فيغلق بها باب المغفرة دونك، يا عمر بن هبيرة لقد أدركت ناسًا من صدر هذه الأمة كانوا واللَّه على الدنيا وهي مقبلة أشدّ إدبارًا من إقبالكم عليها وهي مدبرة، يا عمر بن هبيرة إني أخوفك مقامًا خوفكه اللَّه – تعالى– فقال: ﴿**ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ**﴾[(١)] يا عمر بن هبيرة إن تك مع اللَّه في طاعته كفاك بائقة يزيد بن عبد الملك، وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي اللَّه وكلك اللَّه إليه، فبكى عمر بن هبيرة وقام بعبرته[(٢)].

دور العوامل السياسية في رسم ملامح التعامل بين الفقهاء والسلطة في العصر الأموي:

قامت السياسة بدور محوري في نشأة وتطور المذاهب الإسلامية، اعتقادًا وفقهًا، ويمكن أن نعتبر "أن معظم الفرق التي ظهرت في الإسلام يرجع أصلها في المقام الأول إلى أسباب سياسية تتصل بالسياسة، والتنازع على الحكم"[(٣)]؛ وبالتالي فإن الاختلاف في العقائد النظرية نشأ في علم الكلام بكيفية عرضية نتيجة

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٤.

(٢) حلية الأولياء، ج٢، ص١٤٩.

(٣) أحمد محمد: علم الكلام، ص ١٠؛ سيد أمير علي: روح الإسلام، ترجمة: أمين محمود الشريف، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦١، ج٢، ص ١٨١.

الاختلاف في الأمور السياسية، ومشاكلها العملية فهو بالفعل موقف كلامي، ولكنه كلام في السياسة، وفي الكبائر السياسية[١]

ومن ثم يمكن القول بأنه ليس جديدًا أن يتخذ الدين قناعًا للسياسة، وستارًا، ولا كان الإسلام يومًا استثناء لهذه القاعدة، فالإسلام في تاريخه المفعم يزخر هو الآخر بمثل هذه الظاهرة، وصحيح أن الإسلام لا يعرف كهنوتًا أو وسطية بابوية، أو وصاية رجال الدين، ولكن تاريخه من الناحية الأخرى لم يخلُ من قدر من تداخل الدين والدولة بصورة ما، بحيث عانى كثيرًا استغلال الدين لخدمة السياسة، أو تغطية أغراضها، ومن المعروف أن أغلب الفرق، والشيع والطوائف التي تكاثرت فجأة في صدر الإسلام، وما بعده ما بدأت أصلًا إلا كتحزبات وتحيزات سياسية، وصراعات على السلطة والحكم[٢].

وقد اقتحمت السياسة مجال الدين بوضوح ابتداء من الحرب بين علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) وبين أصحاب الجمل، وبين علي ومعاوية أدى إلى تفرق المسلمين أحزابًا وشيعًا، ووقوع صراع دموي، وراح المسلمون يكفرون بعضهم البعض، وجاء الكلام في الدين بعد هذه الخلافات السياسية ليصب في رؤى دينية متعددة ذات مغزى سياسي، فشيعة سيدنا علي يكفرون من خرجوا عليه وحاربوه، وحرموه من حقه في الخلافة، وجماعة معاوية يلعنون عليًّا في المساجد، والخوارج يقولون إن أصحاب الجمل كفروا بقتالهم عليًّا، وأن عليًّا كان على حق في قتال أصحاب الجمل، وفي قتال أصحاب معاوية بصفين إلى وقت التحكيم، ثم كفروا بالتحكيم، وأهل السنة يعتقدون بصحة إسلام الفريقين في حرب الجمل، وصفين، ويرون أن الذين قاتلوا

---

[١] عبد المجيد الصغير الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام: دار المنتخب، بيروت، ١٩٩٤، ص ٤٣.

[٢] جمال حمدان: العالم الإسلامي المعاصر، عالم الكتب، القاهرة، د.ت، ص ١٢٣.

عليًّا كانوا عصاة مخطئين، ولكن خطأهم لم يكن كفرًا ولا فسقًا وأما المرجئة فكانوا يؤمنون بحسن إسلام الفريقين، ويرجئون الحكم عليهم إلى يوم القيامة[١].

وبالتالي يمكن القول بأنه منذ الفتنة الكبرى حدث الاختلاف حول الإمامة، ومن أحق بها، واتخذ هذا الخلاف السياسي أبعادًا دينية فنشأت الشيعة، والخوارج، والمرجئة، واختلط الديني بالسياسي بشكل واضح، ولم تتخذ هذه الفرق والأحزاب لا الشكل السياسي البحت، ولا الديني الصرف، ويذهب أحمد أمين إلى أن هذه الأحزاب لم تتخذ الشكل السياسي البحت، بل اصطبغت بصيغة دينية قوية، وصار كل حزب سياسي فرقة دينية، وصار الذين يقتتلون دينيًّا، وبدلًا من أن يسمى الحزب اسمًا سياسيًّا يدل على المبدأ السياسي الذي يدعو إليه، يسمى اسمًا يدل على المذهب الديني: كشيعة وخوارج، ومرجئة، وبدل أن يتحاجوا بما ينتج عن أعمالهم من مصالح ومفاسد تحاجوا بالكفر والإيمان، والجنة والنار، فقد اختلف المسلمون وانقسموا أحزابًا، وهي في الواقع أحزاب سياسية، وقد يرى كل حزب أن الحق بجانبه، وأن خير الأمة باستخلاف من يدعو إليه، فحزب يرى عليًّا أولى الناس بأن يكون خليفة للمسلمين، وحزب يرى أن معاوية هو الذي يحقق الغرض، وحزب يرى أنه لا حاجة إلى خلافة[٢].

وحين استتب الأمر لبني أمية في حكم العالم الإسلامي، وقيام الدولة الأموية بالشوكة، والغلبة، كان من الضروري لهم توظيف العقيدة لصالح استمرار حكمهم، وتوارث هذا الحكم كان يتم تحت شعار الجبرية، وسيادة قدر الله فقد روي عن معاوية أنه قال في بعض خطبه: "لو لم يرني ربي أهلًا لهذا الأمر ما تركني وإياه، ولو كره

---

[١] وهدي جاد الله: المعتزلة، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص ٢٧.

[٢] أحمد أمين: ضحى الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت، ج٣، ص٥.

الله ما نحن فيه لغيره، وهذا صريح الجبر، وكان يقول أنا عامل من عمال الله أعطى ما أعطى الله، وأمنع من منعه الله"وهو ما سيتعرض له الباحث لاحقاً[١].

"بناء على عقيدة الجبر التي ترى أن الله حكم أزلًا أن تصل هذه الأسرة إلى الحكم، وأن ما يعملون ليس إلا أثرًا، أو نتيجة لقدر إلهي محكم وكان حسنًا جدًّا لهم أن تتأصل هذه الأفكار في الشعب، حتى كانوا يسمعون وهم راضون شعراءهم يمجدونهم بنعوت تجعل سيادتهم وسلطانهم قدرًا مقدرًا من الله، وأن القضاء الأزلي لا محيد عنه(...) وعقلية الرعية الهادئة المطيعة يجب أن تُعد أمير المؤمنين وما يجيء عنه من آلام قدرًا من الله، ولا يمكن لأحد أن يتهم ما يصدر عنه أو يشكو منه[٢].

ولكن بإيضاح مسألة تصفية بني أمية لدعاة الجبرية والقدرية على مدار تاريخ الدولة الأموية يكتشف أن الأبعاد ليست دينية خالصة، ولكنها مواقف سياسية بالدرجة الأولى، فيروي محمد بن أحمد التميمي(٣٣٣ه/ ٩٤٤م) في كتابه المِحن واقعة موت سعيد بن جبير، فيقول كان سعيد بن جبير مولى لبني والبة من بني أسد يكنى أبا عبد الله، وكان أسود، وكاتبًا لعبد الله بن عتبة، ثم كتب لأبي بردة، وهو على القضاء وبيت المال، فخرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس، فلما انهزم ابن الأشعث في دير الجماجم هرب سعيد إلى مكة، فأخذه خالد بن عبد الله القسري، وكان والي عبد الملك بن مروان على مكة، فبعث به إلى الحجاج(...) وقال الحجاج لسعيد اختر أي قتلة شئت قال: بل أنت فاختر لنفسك فإن القصاص أمامك، وقال له يا شقي بن كسير، ألم أقدم الكوفة وبها العرب فجعلتك إمامًا؟ قال:

---

[١] ابن المرتضي: المنية والأمل في شرح الملل والنحل، تحقيق محمد جواد مشهور، المؤسسة الثقافية، د.ت، ص٨٧.

[٢] جولد تسهير: العقيدة والشريعة، ص ٨٦، ٨٧.

بلى، ألم أولك القضاء فصاح الناس وقالوا: لا يصلح القضاء إلا لعربي، فاستقضيت أبا بردة وأمرته ألا يقطع أمرًا دونك؟ قال: بلى، قال أما جعلتك من سماري؟ قال: بلى، قال: أو ما أعطيتك من المال كذا وكذا تفرقة في ذوي الحاجة ولم أسألك عن شيء منه؟ قال: بلى، قال: فما أخرجك؟ قال : بيعة كانت لابن الأشعث في عنقي، فغضب الحجاج، وقال بيعة أمير المؤمنين قبل في عنقك والله لأقتلنك، وقتله الحجاج وهو ابن سبع وأربعين سنة"[١] وكان ذلك في عام(١٩٥هـ).

وكان سعيد بن جبير يدعو إلى الثورة على بني أمية، ويلوم الحسن البصري(١١٠هـ) لأنه كان يثبط الناس عن الخروج ويحثهم على القعود، ويحملهم على المسالمة والموادعة، وقال ابن سعد في طبقاته الكبرى كان سعيد بن جبير يقول يوم دير الجماجم، وهم يقاتلون: قاتلوهم على جورهم في الحكم، وخروجهم من الدين وتجبرهم على عبادة الله، وإماتتهم الصلاة، واستذلالهم المسلمين[٢].

والمتأمل في النصوص السابقة يلاحظ أن الدولة الأموية كانت تعرف عن سعيد بن جبير زهده، وورعه، وتقواه ولم تكن تستطيع أن تشكك في عقيدته، فكانت تستقطبه بالقضاء حينًا، ولكن ذلك لا يكون ليرجع الزاهد الورع عن الصمت عن مظالم بني أمية، فخرج مع ابن الأشعث ضد بني أمية، وكان ذلك كفيلًا بنهايته هذه، ويتضح من النص ما فعله الأمويون بالأجناس الأخرى من كراهية تولي الموالي للقضاء، حتى لو كانوا زهادًا، فاضطر الحجاج إلى إبدال سعيد بن جبير، بأبي بردة وإن كان قد نبهه ألا يأخذ أمرًا إلا بمشورة سعيد بن جبير.

---

[١] محمد بن أحمد بن تميم التميمي: المحن، تحقيق وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٦، ص ٢٢٦– ٢٢٧.

[٢] ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص ٢٦٣، نقلاً عن حسين عطوان الفرق الإسلامية في بلاد الشام، ص ٩٣.

ولقد قتل بنو أمية معظم من قالوا بالقدر مثل الجعد بن درهم الذي ظهر في زمن هشام بن عبد الملك(١٠٥٠- ١٢٥م)، فأخذه وأرسله إلى خالد بن عبد الله القسري أمير العراق يأمره بقتله، وفي الوقت نفسه كان المغيرة بن سعيد العجلي (١١٩هـ/ ٧٣٧م) يقول بخلق القرآن فسمع به خالد القسري وطلبه حتى ظفر به وقتله، وجهم بن صفوان(١٢٨هـ/ ٧٤٥م) مات مقتولًا، وكذلك قام الخلفاء بقتل القدرية مثل عمر المقصوص(٨٠هـ/ ٦٩٩م)، ومعبد الجهني (٨٠هـ/ ٦٩٩م)[١]. وإذا كان بنو أمية قد قتلوا معظم القدرية والجبرية بدعوى تجرئهم في مواقفهم العقائدية فإن"الجبرية كانت من الجماعات السياسية المناضلة، وكانوا ينددون باستئثار بني أمية بالحكم، ويرفضون نظريتهم في الخلافة ووراثة الملك، ويناهضون ممارساتهم المختلفة، ويشهرون بمفاسدهم المالية، ويرومون القضاء على سلطانهم، ويبتغون التطويح بدولتهم، وكان زعماء مرجئة الجبرية يقاتلون بني أمية كلما سنحت الفرصة لهم، ولم تنقطع ثوراتهم منذ أيام عبد الملك بن مروان إلى أيام مروان بن محمد بل اتصلت وتوالت[٢].

ويرجع أحد الباحثين مقتل جهم بن صفوان بأنه كان ذا أسباب سياسية، فقد كان جهم بن صفوان يناصر الحارث بن سريح الذي خرج على الدولة الأموية، وكان الحارث حريصًا على إقامة أحكام الكتاب والسنة، وجعل الأمر شورى، ورفض الانغماس في إمرة الظالمين، ورفض أعطيتهم، والعمل لهم[٣].

واتبع بنو أمية مع جهم بن صفوان طريقة التشكيك في عقائده فرماه هشام بن عبد الملك بالدهرية؛ ولهذا وجب قتله ويرى القاسمي "أن نبز هشام لجهم أنه من

---

[١] وهدي جاد الله: المعتزلة ص ٤٢.

[٢] حسين عطوان: الفرق الإسلامية في بلاد الشام، ص ٩٢.

[٣] جمال الدين القاسمي: تاريخ الجهمية والمعتزلة، مؤسسة الرسالة، د.ت، لبنان، ص ١٦.

الدهرية، إنما أراد به زيادة الإغراء بقتله ليكون حجة له، وتمويهًا على العامة، ومن لا يدري حقيقة الأمر في هدر دمه، فقد علمت أن الباعث على قتله أمر سياسي محض؛ لأن جهمًا كان خطيب الحارس، وقارئ كتبه في المجامع، والداعي إلى رأيه وإلى الخروج معه علي بني أمية وعمالهم لسوء سيرتهم، وقبح أعمالهم وشدة بغيهم[١]. ويرى القاسمي أن جهم بن صفوان كان له مناظراته مع السمنية في الدفاع عن الإسلام، ولا يمكن "لمن له أدنى مسحة من عقل أن يتهمه بالدهرية الذين لا يقرون بألوهية ولا نبوة، وجهم كان داعية للكتاب والسنة ناقمًا على من انحرف عنهما، مجتهدًا في أبواب من مسائل الصفات، فكيف يستحيل نبزه بالدهرية ومن هنا نعلم أن لا عبرة بنبز الأمراء والملوك من أن ينقم عليهم سيرتهم بالألقاب السوء، والتاريخ شاهد عدل"[٢].

والواقع أن فقهاء الشام والجزيرة الذين كانوا يحيطون بالخلفاء الأمويين كانوا يكفرون المرجئة الجبرية، ولا ندري هل خفي على الفقهاء مدى ثورة هؤلاء الجبرية على سياسة الدولة الأموية، أم كان كل ما يهم الفقهاء في ذلك الزمان هو الحرص على صورة العقيدة الصافية، فتتحدث كتب السلف عن أن قتل جهم بن صفوان وغيره قد تم بمباركة فقهاء عصره، فيقول ابن العز الحنفي والجهمية هم المنتسبون إلى جهم بن صفوان السمرقندي وهو الذي أظهر نفي الصفات، والتعطيل، وهو الذي أخذ ذلك عن الجهد بن درهم الذي ضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسط، فإنه خطب في الناس في يوم عيد الأضحى وقال: أيها الناس: ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم

---

[١] المرجع نفسه: ص١٧– ١٨.

[٢] المرجع نفسه، ص ١٨.

يكلم موسى تكليمًا تعالى الله عما يقول الجعد علوًّا كبيرًا! ثم نزل فذبحه وكان ذلك بعد استفتاء علماء زمانه وهم السلف الصالح رحمهم الله[١].

ومن ناحية أخرى فقد كان غيلان الدمشقي من القدرية الأوائل، وكان يثور على ظلم بني أمية وحين تولى عمر بن عبد العزيز الحكم دعا غيلان الدمشقي، وقال له عمر أعني على ما أنا فيه فقال غيلان: ولني بيع الخزائن، ورد المظالم فولاه، فكان يبيعها، وينادي عليها ويقول: تعالوا إلى متاع الخونة، تعالوا إلى متاع الظلمة، تعالوا إلى متاع من خلف الرسول في أمته بغير سنته، وسيرته، وكان فيما عليه جوارب خز بلغ ثمنها ألف درهم، وقد ائتكل بعضها، فقال غيلان من يعذرني ممن يزعم أن هؤلاء كانوا أئمة هدى، وهذا يأتكل والناس يموتون من الجوع.. فمر هشام بن عبد الملك فقال أرى هذا بعيني، ويعيب آبائي، والله إن ظفرت به لأقطعن يديه ورجليه، فلما ولي هشام خرج غيلان وصاحبه صالح إلى أرمينية فأرسل هشام في طلبها فجيء بهما، فحبسهما أيامًا ثم أخرجهما وقطع أيديهما وأرجلهما، وقال لغيلان كيف ترى ما صنع ربك بك؟ فالتفت غيلان فقال: لعن الله من فعل هذا، ومات صالح وصلى عليه غيلان ثم أقبل على الناس، وقال قاتلهم الله كم من حق أماتوه، فقيل لهشام قطعت يدي غيلان ورجليه، وأطلقت لسانه إنه قد أبكى الناس ونبههم على ما كانوا عنه غافلين، فأرسل عليه من قطع لسانه فمات رحمه الله"[٢]. وهذا النص يطرح مجموعة من التساؤلات المهمة، ومنها كيف يستعين الخليفة عمر بن عبد العزيز برجل يتهم بالزندقة والخروج على تعاليم الإسلام لكي يوزع المال الزائد عن حاجة بني أمية؟ لماذا سمح له عمر بن عبد العزيز أن يتهم بني جلدته بأنهم ظلمة وخونة ويتركه يوزع الأموال التي أخذوها ظلمًا، إن ثورة غيلان الدمشقي على ظلم بني أمية ورفضه للظلم هي التي دعت الخليفة هشام بن عبد الملك أن يقطع

---

[١] البخاري: خلق أفعال العباد، ص٦.

[٢] ابن المرتضي: المنية والأمل، ص ١٣٨

يديه ورجليه ثم لسانه بعد ذلك، فالأسباب كانت سياسية في المقام الأول وإن اتخذت أحيانًا بعض المبررات الدينية.

ويمكن القول إن اتباع بني أمية سياسة التصفية مع المتكلمين الأوائل قد أسهم إلى حد كبير في تحجيم ازدهار الخوض في علم الكلام، وتحجيم تقديم الموالي وأصحاب الأجناس المغايرة قراءات العقيدة الإسلامية تخالف ما جاء به الصحابة والتابعون؛ ولهذا يمكن القول بأن السياسة الأموية كانت لها دورها البارز في تصفية المعارضين لها سياسيًّا بدعوى الخوض في البدع والضلالات، فلم تزدهر حركة القدرية عند غيلان الدمشقي وأتباعه، ولم تزدهر حركة الجهمية كفرقة إسلامية تميل إلى الجبر، وتم تصفية جعد بن درهم وجهم بن صفوان ومعظم أقطاب الحركة الذين كانوا يقفون ضد الدولة الأموية.

الفصل الثالث

المؤسسات الرئيسة للعلوم الدينية والقائمين عليها

الفصل الثالث

المؤسسات الرئيسة للعلوم الدينية والقائمين عليها

المسجد:

ارتبط التعليم في القرون الثلاثة الأولى للهجرة بالمسجد ارتباطًا وثيقًا، فقد كان تلقي العلوم الدينية يتم فى المساجد بصفة أساسية، فلم تعرف المدارس إلا فى أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري(١)، فقد اعتاد الطلاب – قبل ظهور المدارس – على سماع الدروس في المساجد، هذا بالإضافة إلى الندوات والجلسات التي كانت تقام في بيوت الأمراء والوزراء(٢).

كان المسجد "معهدًا علميًّا، ومكانًا حربيًّا، وقاعة اجتماعية، ومنطلقا فكريًّا وسياسيًّا وجهاديًّا فلم يكن المسجد مكانًا للعبادة فحسب بل محكمة للتقاضي ومكانًا للدراسة، وتُعد المساجد بمثابة المعاهد التي يتلقى فيها الناس العلم في مختلف فنون المعرفة، وهو خاص بمرحلة ما فوق الكُتَّاب، أي بالطلبة المدركين لأهمية المسجد(من عمر عشر سنوات فما فوق). وهو أمر متعارف عليه في جميع البيئات التعليمية الإسلامية سواء في المشرق أم في المغرب، ويرتاد مجالس المساجد العلمية الراغبون في العلم والعلماء المسلمون من جميع أنحاء الدولة الإسلامية، وكان للمتعلم الحرية في أن يذهب إلى أي حلقة في المسجد وإلى أي شيخٍ يأنس له ولعلمه، هذا وقد كان التعليم في المساجد يتم على نظام الحلقات، فقد كان كل شيخ يستند إلى عمود من أعمدة المسجد ويتحلق حوله الطلاب على شكل

---

(1) المقريزي: المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٦٣.

(2) أحمد أمين: ظهور الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م، جـ١، ص ١٦٤.

دائرة. [1] وفي الواقع فقد كان المسجد هو المؤسسة الأولى والرئيسة في العلوم الدينية في العصر الأموي.

وربما يمكننا أن نلاحظ في هذا الإطار المساهمة الفعالة في بناء المساجد في العصر الأموي، كما أنه لم يكن غريبًا أن يسهم الأقباط في العمارة الدينية للدولة الإسلامية، فالأقباط عندما شعروا بالاطمئنان والراحة والعدالة أسهموا في ركب الحضارة الإسلامية فلم يكن غريبًا أن يشارك قبطي في عمارة مسجد وهذا فعلًا ما أثبتته وقائع التاريخ، فها هو الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك يكتب إلى عامله على المدينة وهو عمر بن عبد العزيز وأمره بإعادة بناء المسجد النبوي وبعث إليه بمال وفسيفساء ورخام وثمانين صانعًا من القبط والرومان من أهل الشام ومصر سنة ٨٧هـ، وكل ذلك في الواقع كان تقديرًا لمهارة المصريين في البناء وقت العمارة، فبناه وزاد فيه ومن ثم كان الاعتماد على جهودهم في هذا الميدان في مصر وخارج مصر[٢] وكذلك شارك الأقباط في عمارة المسجد الأموي في دمشق وذلك حسب كتاب قرة بن شريك والي مصر إلى والي كورة أشقوة يطلب – معماريين وعمالًا للعمل في المسجد الأموي بدمشق لمدة ستة أشهر فيطلب ٤٠ عاملًا من العمال المهرة وكذلك يحدد أجورهم ووسائل إعاشتهم[٣] ولقد أعجب بهذا المسجد كل من زاره

---

[1]. سمية الوافى: التعليم فى الشام فى العصر الأموى، ص ٦٩ والتى تليها

[٢] البلاذري: فتوح البلدان، ص٧؛ ابن رسته: الأعلاق النفسية، ليدن، ١٨٩١، ص٦٩؛ ترتون: أهل الذمة في الإسلام، ترجمة حسن حبشي، الهيئة العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤، ص٢٠٤؛ سيدة الكاشف: الوليد بن عبدالملك، ص١٩٥؛ سيدة الكاشف: مصر في عصر الولاة، ص١٥٣؛ سيدة الكاشف: عبد العزيز بن مروان، ص١٧٤؛ فاطمة عامر: تاريخ أهل الذمة، ج٢، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩، ص١١٢ والتي تليها.

[٣] سيدة الكاشف: الوليد، ص١٩٧؛ سيدة الكاشف: عبدالعزيز، ص١٧٤؛ سيدة الكاشف: مصر في عصر الولاة: ص٢٠٣.

من مشرق ومغرب حتى قيل إن رجلًا روميًّا قد زار المسجد في عهد عمر بن عبد العزيز فخر مغشيًّا عليه فلما أفاق سألوه عما عرض له فقال كنا معشر أهل رومية نتحدث أن بقاء العرب قليل فلما رأيت ما بنوا علمت أن لهم مدة سيبلغونها فلذلك أصابني ما أصابني[١].

الجدير بالذكر أيضًا أن الأقباط قد شاركوا بفعالية في معمار المسجد الأقصى فها هو أيضًا قرة بن شريك يطلب ضمن أحد خطاباته أحد العمال ويحدد له أجرًا للعمل عامًا كاملًا في بيت المقدس وبعد ذلك أيضًا يحدد أجرة عمال آخرين يعملون في بناء جامع بيت المقدس[٢].

أما مسجد عمرو بن العاص في مصر فكان أيضًا من المساجد التي عمل الأقباط بها حيث تروي لنا المصادر أن أحد النجارين الأقباط ويدعى بقطر من أهل دندرة هو الذي ركب منبر مسجد عمرو بن العاص، وذلك المنبر الذي استمر في المسجد حتى زاد قرة بن شريك في الجامع ونصب منبرًا جديدًا سنة ٩٤ هـ/ ٧١٢م[٣]

ودائمًا ما كان والي مصر عبد العزيز بن مروان وغيره من الولاة يتعهدون جامع عمرو بن العاص بالزيادة والزخرفة والتحسينات ولم يشتغل العرب في أول الأمر بالصناعة في مصر وإنما قام ببناء العمارة الإسلامية فيها معماريون وبناءون

Creswell: Coptic influences on early muslim Architecture Extrait, Buletien de la societe d' Archologie copte, le Caire, 1939, p.p 30 – 31.

[١] سيدة الكاشف: الوليد، ص ١٩٩.

[٢] سيدة الكاشف: مصر في عصر الولاة، ص ١٥٣؛ سيدة الكاشف: الوليد، ص٢٠٣؛ فاطمة عامر: تاريخ أهل الذمة، ج٢، ص١١٢؛ Creswell: P. 31

[٣] المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٢٤٨؛ ترتون: أهل الذمة، ص٢٠٥؛ سيدة الكاشف: عبد العزيز، ص ١٨١، حسن علي حسن: أهل الذمة، ص٤٦.

من أهالي البلاد وصبغها الفاتحون بصبغة دينهم[١] وقد استمر تقدم العمارة وفن البناء في مصر تحت الحكم الأموي نتيجة لما أقيم من مبانٍ إسلامية إلى جانب ما قام به القبط من بناء الكنائس والأديرة الجديدة وتعمير القديم منها، وكل ذلك كان يقوم به بناءون مهندسون من القبط في الغالب، وربما شارك المسلمون في هذا الميدان بعد انتشارهم في القرى والمدن المصرية واختلاطهم بالمصريين واندماجهم معهم[٢]

كما كانت مصر تابعة للخلافة الإسلامية سياسيًّا أيضًا فقد أثرت وتأثرت بالخلافة من الناحية الفنية أيضًا[٣] وفي الحقيقية لقد أثبت العرب في عصر الدولة الأموية بنشاطهم العمراني أنهم من الشعوب المتحضرة العظمى فقد احترموا تراث الماضين واهتموا بالتعمير...، وقد أعجب المسلمون بالعمائر المسيحية بالشام وكان من الطبيعي أن يجاروا هذه الأبنية في الأبهة والفخامة والعظمة ويقيموا لأنفسهم قصورًا أو مساجد معتمدين في إنشائها على صناع الشام ومصر[٤] والحقيقة التي لا مراء فيها أن العمارة القبطية كانت متقدمة حين فتح العرب مصر، وقد نقل العرب من المعابد والكنائس القديمة كثيرًا من الأعمدة والتيجان استخدموها في مساجدهم وبيوتهم كما يتجلى من وجود الأعمدة القبطية في جامع عمرو[٥].

---

[١] سيدة الكاشف: عبدالعزيز بن مروان، ص ١٨٢.

[٢] فاطمة عامر: تاريخ أهل الذمة، ج٢، ص١٠٩.

[٣] سيدة الكاشف: مصر في عصر الولاة، ص١٥٣.

[٤] السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٧،ص٣٢٣.

[٥] المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٢٦؛ زكي محمد حسن: بعض التأثيرات القبطية في الفنون الإسلامية، مجلة جمعية الآثار القبطية، العدد الثالث، القاهرة، ١٩٣٧، ص٧ والتي تليها؛ سيدة الكاشف: مصر في عصر الولاة، ص١٥٢.

ولقد تحدث بعض المؤرخين حول تأثر المسجد في بعض عناصره المعمارية بالكنائس مثل المحراب الذي قد يظن البعض أنه متأثر بالحنية التي توجد في صدر الكنيسة وأن مآذن الجوامع الإسلامية مأخوذة عن أبراج الكنيسة، فضلًا عن زخرفة المباني بطبقة من الجص[١]

وفي الحقيقة فإن الدكتور السيد عبد العزيز سالم قد فند ذلك قائلًا "إن المئذنة فكرة إسلامية أصيلة وأما المنبر فتطور واضح من منبر مسجد الرسول(ﷺ) بالمدينة إذْ كان من طين بناء يتألف من عتبتين ثم اتخذ بعد ذلك من الخشب وتعددت درجاته، وأما المحراب فالقول باشتقاقه من الكنائس لا أساس له من الصحة إذْ تشابه حنيته مع حنية الكنيسة وإن اختلف نسبهما فإن ذلك لا ينهض دليلًا على الاشتقاق لأن وظيفته وهيئته تختلفان تمامًا عن حنية الكنائس، فالمحراب قد يأخذ شكل نصف دائرة أو مستطيل أو مثمن وقد يتوسط جدار القبلة وقد ينحرف عن منتصف هذا الجدار وقد يستغني عنه ويكتفي مكانه بلوحة تحدد موضعه وقد يتعدد في المسجد الواحد، وأما المقصورة فأقرب إلى ما تكون إلى الأثاث الملحق ببناء المسجد لأنه لا علاقة لها بتخطيطها ولا ينهض وجودها في المسجد وإن جاء متأخرًا على أنها اقتبست من مقاصير الكنائس، وحقيقة الأمر أنها بدعة اقتضتها الظروف لحماية الحكام من خطر التعرض للاغتيالات السياسية وذلك من أيام معاوية بن أبي سفيان ثم أصبحت تقليدًا اتبعه الخلفاء من بعده، ومع ذلك فالمقصورة لا تشكل عنصرًا مهمًّا من عناصر المسجد وإنما طبقت في عدد قليل من مساجد الإسلام[٢].

توظيف المنبر الديني في الصراع السياسي:

---

[١] سيدة الكاشف: مصر في عصر الولاة، ص ١٥٣؛ سيدة الكاشف عبدالعزيز بن مروان، ص ١٨٣؛ فاطمة عامر: تاريخ أهل الذمة، ج٢، ص ١٠٩ والتي تليها؛ Cresweil, P. 33.

[٢] تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٣٩ والتي تليها.

توفي المغيرة بن شعبة عام ٥١هـ/٦٧١م، وخلفه على الكوفة زياد بن أبيه والي البصرة، حيث جمع له معاوية ولايتي البصرة والكوفة[١]، وعند دخول زياد إلى الكوفة كان هناك أحد كبار المعارضين للدولة الأموية ويُدعى حجر بن عدي الكندي[٢]، ومهما يكن من أمر فإن زيادًا دخل المسجد وصعد المنبر وخطب خطبته التي سطرتها كتب التاريخ ولكن ما يعنينا فيها هو نهاية الخطبة، وهو الأمر الذي أصبح تقليدًا حيث إنه ذكر عثمان(رضي الله عنه) وأصحابه فترحم عليه وقرظهم، وذكر قتلة علي ولعنهم[٣]، وتذكر لنا بعض الروايات أن زيادًا كانت تربطه علاقة صداقة قديمة بحجر بن عدي وكان على علم بنشاط حجر وأصحابه من الشيعة أيضًا إبان ولاية المغيرة، فعندما جاء زياد استدعى حجرًا وقال له "لقد بلغني ما كنت تفعله بالمغيرة فيحتمله منك، وإني والله لا أحتملك على مثل ذلك أبدًا"[٤]، وإني كنت أنا وأبوك على أمر قد علمته – يقصد حبهم للإمام علي – ولكن ذلك قد تغير، وإني أنشدك الله أن تقطر لي من دمك قطرة فأستفرغه كله، وكانت التعليمات الموجهة من زياد لحجر واضحة كالتالي "املك عليك لسانك وليسعك منزلك"، ولكنه قال له أيضًا "وهذا سريري فهو مجلسك وحوائجك مقضية لدي فلك عندي في كل يوم حاجتان حاجة غدوة وحاجة عشية، وحذره قائلًا وإياك وهذه السفلة وهؤلاء السفهاء أن يستنزلوك عن رأيك، إني أحب التنكيل قبل التقدمة، ولا آخذ بغير حجة اللهم اشهد، فقال حجر: لن

---

[١] الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٣، ص ٢١٩؛ محمد فياض: نشأة التشيع، ص ٣١٨،٣٥٠.

[2] ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ٨، ص ٥٠.

[3] الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٣، ص ٢١٩

[٤] الأصفهاني: الأغاني، تصحيح: أحمد الشنقيطي، مطبعة التقدم بشارع محمد علي، قوبل على نسخة قديمة بالكتبخانة الخديوية، د. ت، جـ ١٦، ص٢.

يرى الأمير مني إلا ما يحب وقد نصح وأنا قابل نصيحته، ثم خرج من عنده فكان يتقيه ويهابه، وكان زياد يدينه ويكرمه ويفضله"[١].

وكيفما كان الأمر فقط نصب المعارضون حجرًا شيخًا وزعيمًا لهم فقالوا له "أنت شيخنا وأحق الناس بإنكار هذا الأمر"، فكانوا يجتمعون معه حتى يأخذوا ثلث المسجد أو نصفه، ويراهم الناس فتطورت اجتماعاتهم من اجتماعات سرية إلى اجتماعات علنية، ففي حين أنهم قبل ذلك كانوا يلعنون معاوية ويتبرأون منه، وينتقصون من زياد في سرية، أصبحت هذه الأمور على الملأ من الناس في المسجد[٢]. إلى أن حدثت المشكلة الكبرى، فقد وثب أصحاب حجر على عمرو بن حريث يشتمون ويكبرون حتى دنوا منه فرموه بالحجارة وشتموه حتى نزل سريعًا من على المنبر، واتجه إلى قصره[٣].

غير أن روايات أخرى تحدثنا بأن زيادًا عندما أتى الكوفة خطب في الناس وكان بينهم حجر وأصحابه فأرعد زياد وأبرق وتهددهم وأوضح أن الأمر جد خطير وقال "لست بشيء إن لم أمنع الكوفة من حجر وأصحابه فقد أمر به وزج في السجن[٤]، بعد أن انتهى زياد من القبض على المتهمين وتجميع الأدلة ضدهم بقي عليه تجهيز صحيفة الاتهام، وحيثيات القبض عليهم مشفوعة بشهادة الشهود، لذا فقد جمع زياد رؤساء الأرباع، وكان جمعه لهؤلاء الكبار ليشهدوا على حجر وأصحابه، وبالفعل شهد هؤلاء على أن حجرًا "جمع إليه الجموع، وأظهر شتم الخليفة ودعا إلى حرب أمير المؤمنين، وأظهر عذر أبي تراب والترحم عليه – يقصد علي بن أبي

---

[1] ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٢، ص ٢١٨.

[2] الطبري: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٢١٩.

[3] الأصفهاني: الأغاني، جـ ١٦، ص ٣.

[4] الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٣، ص ٢٢٤(

طالب(ﷺ) – والبراءة من عدوه وأهل حربه، وأن هؤلاء النفر الذين معه هم رؤساء أصحابه على مثل رأيه"(١) ومهما يكن من أمر فقد نظر زياد في شهادة الشهود وأحب أن يزيد عددهم عن ذلك فقال "إني لأحب أن يكونوا أكثر من أربعة فدعا الناس ليشهدوا"(٢)، وبالفعل كان الشهود على ذلك من أهل الكوفة كثيرين جدًّا حتى أن البعض عدهم بحوالي سبعين شاهدًا(٣).

وصاغ أبو بردة بن أبي موسى الأشعري الصيغة النهائية لوثيقة الاتهام "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبي موسى الأشعري لله رب العالمين شهد أن حجر بن عدي خلع الطاعة وفارق الجماعة ولعن الخليفة ودعا إلى الحرب والفتنة وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة وخلع أمير المؤمنين معاوية وكفر بالله كفرة صلعاء"، فقال زياد على مثل هذه الشهادة فاشهدوا "والله لأجهدن في قطع عنق الخائن، فشهد رؤساء الرباع الثلاثة الآخرون على مثل ذلك ثم دعا الناس فقال اشهدوا على مثل ما شهد عليه رؤساء الأرباع"(٤).

لم يبق على معاوية إلا أن يبت في أمر حجر وأصحابه وانتهى الأمر بمقتل حجر بن عدي هو وستة من أصحابه، وكفن المقتولون وصلى عليهم واستقبلوا بهم القبلة، ودفنوا كأشراف المسلمين، وكان ذلك عام ٥١هـ / ٦٧١ م(٥).

الكتّاب "الكتاتيب": [٦]

---

(1) الطبري: المصدر السابق والجزء، ص ٢٢٦.

(2) الأصفهاني: الأغاني، جـ ١٦، ص ٧

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٣، ص ٢٢٧

(4) الطبري: المصدر السابق، جـ ٣، ص ٢٢٦

(5) ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٢، ص ٢١٩، جـ ٦، ص ٢٢٠

6. سمية الوافى: التعليم فى الشام فى العصر الأموى، ص ٥٩ والتى تليها

لم يقتصر التعليم في مصر على الكبار فقط، بل إن الأطفال كانوا يتلقون تعليمًا أوليًّا، فقد كان هناك نوع من المدارس الأساسية – أو الكتاب – التي كانت تقوم بتعليم الأطفال الكتابة والقراءة[١]، خصوصًا وأن هذا النوع من التعليم كان معروفًا في العالم الإسلامي[٢]، فقد انتشرت الكتاتيب بعد الصدر الأول للإسلام، وأصبحت المكان المخصوص بتعليم الصبيان[٣].

هو مكان مخصص لتعليم الصِّبية القرآن الكريم ومبادئ الدين الحنيف ومبادئ القراءة والكتابة والحساب، وكان مكان الكُتَّاب يقع خارج المسجد لا في داخله؛ خوفاً من عبث الصِّبية بحرمة المسجد، لأن رواده كانوا من الصبية الذين تتراوح أعمارهم ما بين الخامسة والسادسة عند الالتحاق بها وكان يقوم بالتعليم بعض الذميين أحيانًا كثيرة، فلم يكن يجلس لتعليم القراءة والكتابة من المسلمين في صدر الإسلام إلا عدد قليل جدًا.

كما اختصت بعض الكتاتيب بتعليم القرآن الكريم وهذا النوع كان يلحق غالبا في المساجد،"إن المعلم في الكتاب القرآني كان يعلم اللغة والنحو إلى جانب القرآن، كمواد مساعدة على حفظ القرآن وهذه المواد تعد جزءًا مما كان يسمى آنذاك(الأدب).

وكان التعليم في الكتاتيب عن طريق التلقين فهو الأسلوب السائد آنذاك، أي أن يقول المعلّم شيئًا ويردد الطلاب وراءه ما يقوله بصوت عالٍ. ثم تطور الأمر إلى الكتابة على ألواح صغيرة يحضرها الطلبة معهم. "قال عبد ربه بن سليمان : كتبت لي أم الدرداء في لوحي فيما تعلّمني : "تعلّموا الحكمة صغارًا، تعملوا بها كبارًا "وَ"إنَّ لكل حاصِد ما زَرَع من خير أو شر "، كما كانوا يستخدمون الأشعار والحكم

---

[1] Hassan: Op. Cit, P. 250.

[2] الكندى: الولاة، ص ٥٠٨.

[٣] أحمد فؤاد الأهوانى: التربية فى الإسلام أو التعليم فى رأى التابعى، مطبعة عيسى الحلبى، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٥٨.

في الكتابة، وكان منهج التعليم في الكتاب يرتكز على "القرآن ومطالعته وتختار بعض آياته الكريمة لتكون مادة للتعليم، كما كان التلاميذ يتعلمون قواعد اللغة العربية وقصص الأنبياء وبخاصة أحاديث الرسول(ﷺ) وبعض الأحكام الدينية والشعر ومبادئ الحساب

كان التدريس في الكتاتيب على النحو الآتي:

أ- يدرس الصبيان القرآن الكريم من أول النهار في وقت مبكر حتى الضحى.

ب- يتعلمون الكتابة من الضحى إلى الظهر.

ج- ينصرف الصبيان إلى بيوتهم لتناول الغداء ويعودون بعد صلاة الظهر.

د- تدرس بقية العلوم كالنحو والعربية والشعر وأيام العرب والحساب، من بعد الظهر إلى آخر النهار.

وكان يوم الجمعة يوم راحة "فيوم الجمعة مُعظَّم عند المسلمين كما جرت به العادة"،وكذلك الحال بالنسبة للأعياد كعيد الفطر والأضحى ويكون تقدير أيام الراحة فيها يختلف من مكان لآخر ومن زمن لآخر حسب العرف، كما لم يكن هناك سن معينة لبدء التعليم"، وإنما كان الأمر متروكًا لتقدير آباء الصبيان، فإن وجدوا أن الطفل بدأ في التمييز والإدراك دفعوا به إلى الكُتَّاب، وأدى الكُتَّاب دورًا مهمًّا في نشر التعليم الأَولي في مشرق العالم الإسلامي ومغربه لانتشار الكتاتيب في القرى النائية كانتشارها في المدن الكبيرة. وساعد على ذلك بساطة مبنى الكُتّاب وسهولة تأسيسه،الذي لم يكن معقدًا بل تكفيه حجرة من منزل وبأثاث لا يتعدى حصيرًا يطرح على الأرض في الحجرة، ويجلس فوقه المعلم ويتحلق حوله الصبية الصغار يستمعون إليه. [١]

---

1 سمية الوافى: التعليم فى الشام فى العصر الأموى ص ٩٥ والتى تليها

كما كانت طريقة العلماء في التعليم هي الجلوس في المساجد في الغالب، أو في منازلهم أحيانًا إذْ لم تكن هناك مبانٍ مخصصة للمدارس،وكان طلاب العلم يأتونهم فيسألونهم كل ما يحتاجونه ويهتمون به، رغم أن المسلمين لم يعدوا المنازل مكانًا صالحًا للتعليم العام لافتقارها للسكون والراحة غير أن وطأة الحاجة دعت إلى قيام حلقات تعليمية بالمنازل الخاصة، من هذه المنازل: منزل العالمة الجليلة أم الدرداء، والعالم والفقيه الإمام الأوزاعي. [١]

البلاط الأموي كأحد أبرز مؤسسات دعم العلوم الدينية :

يمكننا الجزم أن مؤسسة البلاط الأموي كانت واحدة من أهم مؤسسات دعم العلوم الدينية، ودعم العلوم الدينية هنا لا يعنى فقط الدفع بكل ماهو ديني، بل وتوفير المناخ المناسب لذلك، والأدوات المناسبة والدعم والتمويل، وفي الحقيقة فإن العلوم الدينية قد اقترنت في العصر الأموي بحركة التدوين، تلك الحركة التي نشطت كثيرًا في العصر الأموي(٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩ م)، فقد حفل عصرهم بالعديد من العلماء الذين أثروا عصرهم بالمؤلفات في مختلف المجالات تدوينًا وتأليفًا ونقلًا، فمنذ منتصف القرن الأول الهجري / السابع الميلادي بدأت حركة التأليف تزداد، فالمسعودي يقول(**إن معاوية** بن أبي سفيان أول خلفاء العصر الأموي كان ينام ثلث الليل،ثم يقوم فيقعد، فيحضر الدفاتر وفيها سير الصالحين والملوك وأخبارهم فيقرأ ذلك عليه غلمان له وكلوا بحفظها وقراءتها)[٢]، وربما يمكننا ملاحظة الدور المهم للنساخ فى هذا الإطار، حتى أن رجال الحكم الأموي اتخذوا موظفين مهمتهم النسخ

---

1 سمية الوافى: التعليم فى الشام فى العصر الأموى، ص٩١

2 المسعودي: مروج الذهب، ج٢، ص٥٢.

وعندما وفد عليه عبيد بن شرية الجرهمي، وقص عليه طرفًا من سير الأولين، أمر معاوية ناسخيه بنسخها [١].

وكان خالد بن أبي الهيجاء الذي كان مختصًّا بنسخ المصاحف، ناسخ الكتب في بلاط الخليفة الوليد بن عبد الملك(ت ٩٦هـ / ٧١٤ م) قد وصف بحسن خطه وجماله[٢]. ومن المؤكد أن هؤلاء كانوا موظفين رسميين في البلاط يتقاضون راتبًا عن عملهم، إضافة إلى الذين امتهنوا النسخ مقابل أجرة خارج البلاط، وقد اشتهر من بينهم مالك بن دينار البصري(ت١٣٠هـ / ٧٤٧ م)، الذي عرف بجودة خطه، فكان يكتب المصاحف بأجرة يعيش بها[٣]وفي الحقيقة فإن توسع حركة التدوين في هذه الفترة، أدى عمليًّا إلى كثرة الكتب لدرجة أن خلفاء بني أمية جعلوا لها خزائن خاصة[٤].

ومع أن حركة الترجمة بدأت مع عهد أول خليفة أموي، إلا أنها كانت بسيطة، لكنها نشطت على يد الأمير الأموي المعروف بحبه للعلم خالد بن يزيد بن معاوية(ت ٨٥هـ / ٧٠٤ م) الذي كان يسمى حكيم آل مروان[٥]. فقد أحب العلم كثيرًا واهتم اهتمامًا كبيرًا بنقل الكتب من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية حتى أن ابن النديم عدَّ النقل الذي ابتدأه خالد بن يزيد أول نقل في الإسلام من لغة إلى لغة، وقد ساعده على ذلك وجود مكتبة ضخمة ورثها عن جده معاوية بن أبي سفيان وهو ما أسس لجدل إسلامي مع الآخر.

---

1 ابن النديم: الفهرست، ص٨٩.

2 ابن النديم: المصدر السابق، ص٦.

3 ابن النديم: نفسه، ص١٦.

4 المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص٤١

5 ابن كثير: البداية والنهاية، ج٩، ص٦٠.

وتتابع بعد ذلك عدد من الخلفاء الأمويين الذين أعطوا للترجمة اهتمامًا كبيرًا وإن كان متفاوتًا من خليفة لآخر، وممن اشتهر بالترجمة في أواخر العصر الأموي عبد الله بن المقفع الذي يعد أحد أعمدة الترجمة من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية، حيث ترجم الكثير من الكتب وعلى رأسها كتاب كليلة ودمنة [١]، وبحلول القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ازدهرت عملية التدوين والتأليف والترجمة، فكثرت وشاعت ونالت اهتمام علية القوم وبسطائهم، وتجاوزت حدودها القديمة.

كما ساعد الأمويون على توفير الألواح الخشبية وهي من المواد المهمة المستخدمة في الكتابة عند العرب والمسلمين لا سيما في الفترات الأولى من عهد الدولة العربية الإسلامية حيث دونت عليها آيات القرآن الكريم، واللوح هو صحيفة عريضة من الخشب يكتب عليها[٢]، وأكثرها شيوعًا هي من الخشب المصبوغ بالسواد ثم تغطى بطبقة من الشمع ليسهل الكتابة عليها، وهي سهلة الحمل والمحو والتنظيف، إضافة إلى رخص ثمنها، بحيث استطاع العلماء والكتاب وحتى أطفال الكتاتيب والأحداث اقتناؤها واستخدامها[٣].

وعلى الرغم من أن الكتابة على الجلود كانت معروفة قبل الإسلام إلا أنها توسعت مع بداية العصر الراشدي حينما ابتدأ تدوين القرآن الكريم خوفًا عليه من الضياع [٤]، وفي هذه الفترة كانت للجلود أهمية في النشاط الفكري والتجاري. وكانت أكثر كتابة العرب المسلمين على جلود الإبل والغنم والماعز إضافة إلى جلود الحمار

---

1 ابن النديم: الفهرست، ص١١٨.

2 ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج١٣، ص٢٥٠.

3 المسعودي، مروج الذهب، ج٢،ص ٥٠.

٤ زيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوقي، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص٤٥

الوحشي والظباء وغيرها [١]. ومن الطبيعي أن العرب كانوا يعرفون عملية دبغ الجلود وصقلها قبل البدء في استخدامها للكتابة[٢]، لا سيما عند الكوفيين الذين أحدثوا طفرة نوعية في تجويد الجلود وتحسينها للكتابة عليها بالرغم من المحاولات التي سبقتها والتي اتسمت بعدم الإتقان، وكان هناك نوع متطور من الجلود يطلق عليه الرق وهو جلد رقيق أبيض يكتب عليه ويذكر أن القرآن الكريم أول كتاب يكتب على الرق من الجلود [٣]. ويجب الإشارة هنا إلى أن رقوق الغزلان كانت أجود من رقوق الحيوانات الأخرى كالعجول والبقر والغنم والماعز وغيرها،((لأنها تجمع بين الرقة والمتانة والنعومة والصفاء والبياض))[٤]. والملاحظ أن غلاء أثمان الرقوق وندرتها جعل استخدامها يقتصر على بعض مجالات محددة كنسخ القرآن الكريم والوثائق الرسمية والعقود[٥].

وفي العصر الأموي، تروي المصادر أن الخليفة الوليد بن عبد الملك أول من استخدم الصحف أي الطوامير في كتبه ومراسلاته[٦]. ومن الجدير بالإشارة هنا أن غلاء أثمان القراطيس جعل بعض الخلفاء الأمويين يوصون عمالهم بعدم الإسراف في استعماله لأن أثمانه تدفع من بيت مال المسلمين كالخليفة عمر بن عبد العزيز(٩٩ -١٠١هـ / ٧١٧-٧١٩ م)[٧].

---

1 ابن النديم: الفهرست، ص٢١

2 ابن النديم: المصدر السابق والصفحة.

3 ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٢٠٥

4 ابن منظور: المصدر السابق والجزء والصفحة.

5 ابن خلدون: المقدمة، ج١، ص٤٢١

6 الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٤٧

٧ البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، ط١، ج٨، بيروت ١٩٦٦، ص٢٢٥.

السماح بوجود حركة علمية خاصة بالعلوم الدينية لأقطاب المعارضة :

تميزت السياسات الأموية في بعض الأحيان بالمرونة والسماح للعلويين بالمشاركة في الحركة العلمية، فمثلًا كان محمد الباقر أحد أبرز القائمين على حركة العلوم الدينية، ولد محمد الباقر في المدينة عام ٥٧هـ / ٦٧٦ م[1]، وعبر لقبه عن توجهه في الحياة، حيث إن كلمة الباقر تعني أنه بقر العلم بقرًا ليستخرج أحشاءه كناية عن تبحره وغزارة علمه[٢]، وفي الحقيقة قد اتفقت المصادر المتاحة على اختلاف أيديولوجياتها بعلم محمد الباقر، فيصفه ابن الصباغ[٣] بأنه "باقر العلم وجامعه وشاهره ورافعه"، ويصفه النسائي بأنه "من فقهاء المدينة التابعين"[٤]، ويضع له صاحب مشاهير علماء الأمصار ترجمة وسط كبار العلماء والفقهاء[٥]، أما ابن كثير فينعته أنه "تابعي جليل كبير القدر أحد أعلام هذه الأمة علمًا وعملًا وسيادة وشرفًا"[٦].

وكذا جعفر الصادق فقد اهتم الإمام جعفر الصادق في المقام الأول بالعلم وكانت العلوم الدينية فقط هي محور حياته، فيصفه صاحب مشاهير علماء الأمصار بأنه "من سادات أهل البيت وعلماء أهل المدينة"[٧]، ويترجم له آخر بأنه من أغزر أهل

---

[١] ابن الصباغ: الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة، دار الأضواء، بيروت، د. ت، ص٢٠٠؛ محمد فياض: فرق الشيعة، ص٢١٦.

[2] ابن الصباغ: مصدر سابق، ص ٢٠٠

[3] نفسه، ص ١٩٩.

[4] تسمية فقهاء الأمصار، ص ١٢٧.

[٥] ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: فلايشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩م، ج١، ص٦٢.

[6] البداية والنهاية، ج٩، ص ٣٠٩

[7] ابن حبان: مشاهير، ج١، ص ١٢٧.

البيت علمًا[١]، ويصفه ثالث بأنه ذو علم غزير في الدين وأدب كامل في الحكمة وزهد بالغ في الدنيا وبُعد تام عن السلطة فكان يقول اتقِ السلطان"[٢] حتى أنه أراد أن يجعل شيعته بعيدين عن التمرد السياسي بل هواة علم ومعرفة فقط، فيعبر الشهرستاني عن ذلك قائلًا "بأنه قد أقام مدة يفيد المنتمين إليه ويفيض على الموالين له أسرار العلوم، ثم دخل العراق وأقام مدة ما تعرض للإمامة قط، ولا نازع أحدًا في الخلافة قط، ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط ومن تعالى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط"[٣]، فكان يتمتع بخلق رفيع وعلم غزير[٤]، فكانت له مدرسة فكرية لها آثار بعيدة وكانت صاحبة دور تثقيفي كبير[٥]، وكان يجلس للعامة والخاصة يأتيه الناس من الأقطار المختلفة يسألونه عن الحلال والحرام[٦]، ويصفه الشيخ الأزهري المصري محمد أبو زهرة قائلًا "إن الإمام جعفر الصادق رغب في السياسة بعوجائها ولوجائها ولأوائها، وانصرف إلى العلم يجد فيه السلوان والنور والعبرة والسمو عن مآرب هذه الدنيا، فمن علا إلى سمو المعرفة هانت كل مطامع الناس في نظره وخصوصًا أن هذه المطامع قد خالطتها المكاره، ورأى غيره واعتبر وقال وآمن بأنه من طلب الرئاسة هلك.."[٧].

.[1]الطاهر: تحفة الدهر، ص ١٤٨

.[2]ابن الصباغ: الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة، ص ٢١٢

[٣] الشهرستاني: الملل والنحل، تقديم وإعداد: د.عبداللطيف محمد العبد، مكتبة الأنجلو مصرية، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م، ص ١٧٠؛ محمد فياض: فرق الشيعة، ص ٢١٨.

[٤] أحمد الكاتب: تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، دار الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص ٣٩.

[5]المدرسي: الإمام جعفر الصادق، دار نشر المدرسي، طهران، د.ت، ص ٤.

[6]المسعودي: إثبات الوصية، ص ١٩٦

[7].المدرسي: جعفر الصادق، ص ٤٧٨؛ محمد فياض: فرق الشيعة، ص ٢٢٠

كما شاركت العناصر غير العربية مشاركة فعالة فى هذا الإطار وتحديدًا إبان خلافة الخليفة عمر بن عبد العزيز، وصارت لهم مكانة بارزة فى هذا الإطار، ويرجع نبوغ الموالي في العلم إلى إنه بتوالي الفتوحات الإسلامية، دخل الموالي من أمم كثيرة في الملة الإسلامية، وصار هناك عنصران في الدولة الإسلامية، العنصر العربي والعنصر الأعجمي، وكان أكثر حملة العلم في عصر الصحابة من العرب، لأن أكثر الصحابة كانوا عربًا، وقد استكثر الصحابة من الموالي في بيوتهم وفي أعمالهم، فإذا كان الصحابي عالمًا فمواليه أعوانه وتلاميذه في العلم، ومتى كان عندهم حسن استعداد نبغوا فيه بحكم مخالطتهم ولسادتهم مثل نافع مولى عبد الله بن عمر، والذي أخذ عنه علمه، ولما أخذ الصحابة يعلمون في الأمصار المفتوحة، اشترك العرب والعجم أيضًا في تلقي العلم عنهم حتى إذا كان عصر التابعين وتابعيهم، كان بعض حملة العلم عربًا وأكثرهم من الموالي أو أبناء الموالي[١].

ولعل نبوغ الموالي راجع بالفضل إلى الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز والذي أتاح لهم فرصة ذهبية لاستظهار مواهبهم وعلومهم، فكان يساوي بين رعاياه من عرب وموالٍ، ويعزى إليه الفضل في رد مظالم بني أمية[٢].

ومن أبرز الموالي العلماء الذين رفع أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز من أقدارهم في مصر، يزيد بن أبي حبيب الأزدي- حبيب بن قيس وقيل سويد- مولى بني عامر بن لؤي – وكنيته أبو رجاء المصري، وهو من أصل نوبي من دنقلة، وقد ولد بمصر سنة ٥٣هـ/ ٦٧٢م [٣].

---

[١] أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ١٨٣، ١٥٠؛ صفى علي: الحركة العلمية والأدبية، ص٢٠٧ والتى تليها.

[٢] السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٣٠.

[٣] السيوطي: حُسن المحاضرة، ج١، ص ١٤٥.

وكان يزيد حليمًا عاقلًا[١]، ويعد من الشخصيات العظيمة في التاريخ العلمي في العصر الأموي فكان المؤسس الأول للحركة الفقهية في مصر في العصر الأموي، وقام بتمهيد الطريق لمن جاء بعده من الفقهاء، وتدل ريادته على أنه قد جهد في أن يلفت الناس يومئذ إلى دراسة منظمة للفقه الإسلامي، في مختلف فروعه واختلاف أشكاله، ذلك لأن التعبير بالحلال والحرام كان يلخص ذلك ويدل عليه'أما الترغيب في الملاحم والفتن فهي القصص بما تحويه من روايات وقصص دينية وخلقية، فقد كانت رواية القصص تحتل مكانًا بارزًا في مجال العلوم الدينية وكان الكثير من القضاة يجمعون بين القضاء والقصص[٢].

ويبدو أن يزيد بن أبي حبيب كان له أثر في احتواء هذا اللون من "القصص"بما أصبغه عليه من مسائل الفقه لأن القصص كانت قد جذبت إليها أنظار العامة بما خشي عليه من انصياعهم إليها، وخصوصًا أنها تحوي الكثير من الأساطير، فكانت تدخل عليها الشوائب بمرور الوقت، فقد بلغ من سمو منزلة يزيد العلمية أنه صار مفتي أهل البلد، وكان أحد الثلاثة الذين جعل الخليفة عمر بن عبد العزيز إليهم الفتيا بمصر"[٣].

وكانت تلك الفتيا لرجلين من الموالي ورجل من العرب، فأما الموالي فهو جعفر بن ربيعة والموليان فيزيد بن أبي حبيب وعبد الله بن أبي جعفر فكأن العرب أنكروا ذلك فقال عمر بن عبد العزيز: ما ذنبي إذا كانت الموالي تسمو بأنفسها صعدًا وأنتم لا تسمون"[٤]،وقد كان ليزيد شأن عظيم في مجال الإفتاء فكان يستفتيه أبرز شخصيات مصر"قال سعيد بن عفير أن زياد بن عبد العزيز بن مروان أرسل

---

[١] الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥، ١٨٥؛ صفى علي: الحركة العلمية والأدبية، ص ٢٠٩.

[٢] المقريزي: الخطط، ج٤، ص ١٧.

[٣] السيوطي: حُسن المحاضرة، ج١، ص ٢٩٩.

[٤] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج١، ص ٢٣٨.

إلى يزيد بن أبي حبيب قائلًا: إنني لا أسألك عن شيء من العلم. فأرسل إليه: بل أنت فائتني فإن مجيئك إلي زين لك، ومجيئي إليك شين عليك"[١].

كما كان ليزيد بن أبي حبيب الفضل في تنشئة جيل من العلماء المصريين في العصر الأموي، الذين تولوا النهضة التشريعية فيما بعد، كان أشهرهم عبد الله بن لهيعة والليث بن سعد.. الذي كان يعترف بفضله قائلًا : يزيد عالمنا وسيدنا[٢].

أما المولى الآخر الذي كان له أثر مهم في الحياة الفقهية في مدينة الفسطاط في العصر الأموي فكان "عبيد الله بن أبي جعفر المصري، أبو بكر الفقيه(٦٠- ١٣٦هـ) قال ابن سعد عنه هو ثقة، فقيه زمانه"[٣].

سئل عنه تلميذه عمرو بن الحارث الأنصاري فقيل له أيهما تفضل يزيد بن أبي حبيب أو عبيد الله بن أبي جعفر، قال عمرو: لو جعلا في ميزان ما رجح هذا على هذا، وكان عبيد الله من مشهوري شيوخ المصريين. أهل العلم والخبرة والذكاء والفطنة والتفتيش والرحلة والطلب.."[٤] وكان عمرو بن الحارث الأنصاري المتوفى سنة ١٤٨هـ من أبرع تلاميذ يزيد بن حبيب وعبيد الله بن أبي جعفر فقد تتلمذ عليهما، وروى عنهما الكثير[٥] فقد كان محدثًا اشتهر بقوة الحفظ وكان من مجتهدي فقهاء مصر وكان الليث بن سعد وابن وهب من أبرز تلاميذه، كما يعد الأخير راويته"[٦].

---

[١] الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥، ص ١٨٥؛ صفى علي: الحركة العلمية والأدبية، ص ٢٠١.

[٢] السيوطي: حُسن المحاضرة، ج١، ص ٢٩٩؛ صفى علي: المرجع السابق، ص ٢١٠.

[٣] الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥، ص ١٨٥؛ صفى علي: نفسه والصفحة.

[٤] الكندي: فضائل مصر، ص ٢٠"

[٥] السيوطي: حُسن المحاضرة، ج١، ص ١٠٠.

[٦] السيوطي: المصدر السابق والجزء، ص ٣٠٠.

وفي سنة ثلاث وأربعين ومائة شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فصنف ابن جريح(المتوفي سنة ١٥٥هـ/٧٧١م) التصانيف بمكة وصنف سعيد بن أبي عروبة المتوفي سنة ١٥٦هـ/ ٧٧٢م وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة وصنف أبو حنيفة الفقه والرأي بالكوفة، وصنف الأوزاعي بالشام، وصنف معمر باليمن وصنف سفيان الثوري كتاب الجامع ثم بعد يسير صنف هشيم، وصنف الليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة، ثم ابن المبارك والقاضي أبو يوسف يعقوب، وابن وهب، وكثر تبويب العلم وتدوينه وقبل هذا العصر كان سائر العلماء يتكلمون عن حفظهم ويروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة[١].

وكان ابن لهيعة(المتوفي سنة ١٧٤هـ) أول علماء الفسطاط مشاركة في حركة التدوين" فقد كان من الجماعين للعلم والرحالين فيه وكان يدون في الخرية التي بعنقه ما يسمعه أو يراه..."[٢]

القصاص الديني:

لم يكن هناك وجود لهذه الفئة أيام رسول الله(ﷺ) ولا زمن أبي بكر(رضي الله عنه) ولا عمر(رضي الله عنه)[٣] إلا أن ثمة رواية تذكر أن تميم الداري استأذن عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) أن يقص على الناس قائمًا فأذن له عمر(رضي الله عنه)[٤] وتحدثت روايات أخرى عن وجود القاص فى عصر على بن أبي طالب(رضي الله عنه)، فيروى أنه دخل المسجد فوجد قاصًّا

---

[١] السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٦١؛ صفى علي: الحركة العلمية والأدبية، ص ٢١١.

[٢] الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج١، ص ٣٢٨؛ صفى علي: المرجع السابق، ص ٢١٢.

([٣]) ابن الجوزي: القصاص والمذكرين، القاهرة، د.ت، ص٦٠؛ السيوطي: مهذب تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، تحقيق: محمد بن لطفي الصباغ، وقف الأنصار، طيبة الطيبة، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٩٩، ص٦٠؛ محمد فياض: التشيع الشعبى فى العراق، دار روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦، ص٤١٠

([٤]) ابن الجوزي: المصدر السابق، ص ١٧٧؛ السيوطي: المصدر السابق، ص ٦٠.

يقص فقال له ما اسمك فقال أبو يحيى فسأله قائلًا هل تعرف الناسخ من المنسوخ قال لا قال هلكت وأهلكت، أو حسب رواية أخرى أنه سأله هل تعرف مدني القرآن من مكيه فقال لا فرد عليه قائلًا هلكت وأهلكت"[١] ولقد اتفقت معظم الروايات أن القصص قد ارتبطت بعصر عثمان بن عفان(ﷺ) وتحديدًا في أيام الفتنة الكبرى، فعبرت هذه النصوص قائلة "كان القصص حين كانت الفتنة"[٢] وحسبما حلل أحد الباحثين الأمر أن ذلك يؤكد على أن ظروف وملابسات الفتنة التي شهدتها السنوات الأخيرة من خلافة عثمان(ﷺ) وما أعقبها من أحداث هي التي دفعت إلى ظهور هذه الفئة[٣] فارتبطت هذه الفئة بالصراع منذ عثمان(ﷺ) من ناحية وكذا الدعاية لمعاوية والأمويين من ناحية أخرى[٤] ولدينا ما يفيد أن أحد القصاص لمعاوية قال يومًا فى أحد مجالسه "إن معاوية ليس مخلوقًا لأنه كاتب الوحي والوحي ليس بمخلوق وكاتب الوحي من الوحي[٥].

وفي السياق ذاته، فقد ارتبط القصاصون ارتباطًا وثيقًا أيضًا بالخوارج في حديث لا يخرج عن جدلية السياسة والدين التي ارتبطت بها هذه الفئة دائمًا، ويبدو أن ذلك الارتباط بين الخوارج والقصاصين كان واضحًا حتى عبرت بعض النصوص عن ذلك غير مرة[٦] ذاكرين أنهم أكثروا في ذلك الأمر[٧].

---

(١) ابن تيمية: منهاج السنة، ج٨، ص ٢٦.

(٢) ابن الجوزي: القصاص والمذكرين، ص ١٧٩؛ السيوطي: تحذير الخواص، ص ٧١.

(٣) موفق نوري: العامة والسلطة في بغداد، دار الكتاب الثقافي، الأردن، ٢٠٠٥، ص١٤٩.

(٤) شمس الدين: واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، د.ت، ص ٢٣٩.

(٥) الوطواط: غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ٢٢٤.

(٦) ابن الجوزي: القصاص والمذكرين، ص ١٧٩؛ السيوطي: تحذير الخواص، ص ٧٢.

(٧) السيوطي: تحذير الخواص، ص ٨٣.

ويبدو أن ارتباط القصاص الديني بالسياسة وتحديدًا في إطارها المعارض قد دفع معاوية بن أبي سفيان بجعل مهنة القصاص مهنة رسمية يقوم هو شخصيًّا بتعيينه وكان ذلك القاص الرسمي "إذا سَلَّم من صلاة الصبح جلس وذكر الله عز وجل وحمده وصلى على النبي(ﷺ) ودعا للخليفة ولأهل بيته ولحشمه وجنوده ودعا على أهل حربه وعلى المشركين"[١] وفي حديث لا يخرج عن التوظيف السياسي للقاص الديني والاستقطاب الديني([٢]).

الأوقاف في العصر الأموي: [٣]

ازدهرت الأوقاف في العصر الأموي ازدهارًا عظيمًا، وذلك في مصر والشام وغيرهما من البلاد المفتوحة، وذلك بسبب كثرة الأموال التي تحصّل عليها المجاهدون من الفتوحات الإسلامية، وكان من ثمار ذلك، أن اتسعت مجالات الوقف في ذلك العصر. فلم يعد الوقف قاصرًا على جهات الفقراء والمساكين فقط بل تعدى ذلك إلى بناء دور العلم والإنفاق على طلاب العلم، وإنشاء المساجد والدور الخيرية، وقد أدى إقبال الناس على الوقف والاهتمام به، إلى إنشاء هيئات تتولى الإشراف عليه، وتتولى مصالحه، وقد كانت الأوقاف في بادىء الأمر تدار من قبل الواقفين، أو ممن يوكلون إليه إدارتها والقيام بمصالحها، إلا أن كثرة الأوقاف وتنوعها، استدعى أن تقوم بعض الأجهزة بالاهتمام بالأوقاف. [٤]

وقد كان القضاة في بغداد وغيرها من حواضر العالم الإسلامي يتولون الإشراف على الأوقاف بأنفسهم ويحاسبون المتولين عليها، فإذا رأوا منهم أي تقصير، أو تهاون في حفظ الأوقاف وصيانتها قاموا بتأديبهم والأخذ عليهم، وقد ولي قضاء

([١]) المقريزي: الخطط، ج٢، ص ٢٥٣.

([٢]) ابن الجوزي: القصاص والمذكرين، ص ١٦٩؛ محمد فياض: التشيع الشعبى، ص٤١١.

([3] أحمد بن صالح آل عبد السلام: تاريخ الوقف عن المسلمين وغيرهم، د.ت، ص٥٠

(4 .) أحمد بن صالح العبد السلام: المرجع السابق، ص ٣

مصر في زمن هشام بن عبد الملك (توبة بن نمر بن حومل الحضرمي) (ت١٢٠هـ)[١]، فقال: ما أرى موضع هذه الصدقات إلا إلى الفقراء والمساكين، فأرى أن أضع يدي عليها حفظًا لها من الثواء والتوارث.

ولم يمت حتى صار للأحباس ديوان مستقل عن بقية الدواوين، تحت إشراف القاضي، وهذا الفعل من توبة، أمر لا بد منه، فقد جاء في حيثياته أنه يخشى على الأوقاف من الالتواء والتوارث، فحفظها من الاغتيال، ويُعدُّ هذا الديوان أول تنظيم للأوقاف، ليس في مصر فحسب، بل في الدولة الإسلامية كافة. وصار من المتعارف عليه في ذلك العصر، أن يتولى القضاة النظر على الأوقاف‘ هذا وقد كان القاضي أبو الظاهر عبد الملك بن محمد الحزمي الأنصاري يتفقد الأحباس بنفسه كل ثلاثة أيام من كل شهر، ويأمر بترميمها وإصلاحها، وكنس ترابها، ومعه طائفة من عماله عليها، فإن رأى خللًا في شيء منها ضرب المتولي عليها عشر جلدات[٢].

---

[١] السيوطي: حُسن المحاضرة، ج٢، ص١٣٥.

[٢] الكندي: الولاة والقضاة، ص٣٨٣؛ أحمد بن صالح العبد السلام: تاريخ الوقف عن المسلمين وغيرهم، صفحات متعددة.

الفصل الرابع

دوافع اهتمام الأمويين بدعم ورعاية العلوم الدينية

الفصل الرابع

دوافع اهتمام الأمويين بدعم ورعاية العلوم الدينية

ظهور الأحزاب الدينية المعارضة وأثرها في دعم الأمويين للعلوم الدينية :

لم يكن دعم العلوم الدينية اختيارًا أو رفاهية من السلطة الأموية، ففي بعض الأحيان كان من الضروري تجييش فقهاء ومتكلمين جاهزين للدفاع الفكري والديني في ظل عصر ماج بظهور فرق دينية معارضة، لجأ بعضها للعنف ولجأ بعضها الآخر لتكفير السلطة، وهنا تحول دعم العلوم الدينية من الوازع الديني لوازع سياسي، وخصوصًا أن الدولة الأموية غيرت الكثير من المفاهيم السياسية، بدءًا من معاوية بن أبي سفيان الذي قام بتغيير جذري في شكل السلطة، وهنا كان لزامًا على الدولة أن تتسلح بجيش من الفقهاء والمتكلمين، كما تسلحت بجيش من المجاهدين والمقاتلين، وللوقوف على هذا الأمر بجلاء وجب رصد الخريطة الدينية للجماعات التي ظهرت إبان الحكم الأموي :

الخوارج :

هم جماعة من جيش علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)، خرجوا عليه بعد موقعة صفين، وهم أول حزب سياسي تكون فى تاريخ الإسلام بعد هذه الموقعة وذلك استنكارًا لقبوله التحكيم، فأطلق عليهم المحكمة على حد قولهم عملًا بقوله تعالى "إن الحكم إلا لله [١] "وسموا بالحرورية لنزولهم بقرية حروراء من أعمال الكوفة بعد اعتزالهم لسيدنا على عقب صفين، وكانوا يقومون بقتل كل من خالفهم فأصبحوا جماعة سياسية لها أميرها ومذهبها الديني الخاص بهم، فحاربهم علي بن أبي

---

[1]. يوسف: آية ٤٠

طالب(رضي الله عنه) في النهروان وانتصر عليهم إلا أنه لم يستطع القضاء عليهم نهائيًا، فانتقموا منه باغتياله سنة ٤٠هـ/٦٦٠م، كما سموا بالشراة عملًا بقوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }(التوبة:١١١)، فالمذهب الخارجي وإن بدأ تبلوره بعد التحكيم، فإن جذوره ترجع إلى وقت مبكر منذ بداية فتنة عثمان(رضي الله عنه) تهمة الخروج على التقاليد الإسلامية التي عرفت على أيام النبي(صلى الله عليه وسلم)، فرماه هو بالخروج عن الطاعة ومنها اشتق اسم الخوارج ".

كان أول ظهورهم بالبصرة إبان عملية التحكيم بين علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) ومعاوية بن أبي سفيان(رضي الله عنه) في أعقاب معركة صفين سنة ٣٧هـ/٦٥٧م، إذْ رفض نفر من جند علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) قبوله التحكيم، وهم الذين عرفوا فيما بعد باسم الخوارج فحاربهم علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) وانتصر عليهم فى معركة النهروان سنة ٣٨هـ/٦٥٨م، فلم ينج منهم إلا القلة القليلة [١] على رأسهم أبو بلال مرداس فتوجه هو ومن معه إلى البصرة [٢]، حيث أقام مع أبناء عمومته من قبيلة تميم وكانوا يشكلون جزءًا كبيرًا من سكانها آنذاك [٣]وأخذوا يدعون لمذهبهم سرًّا خوفًا من بطش الأمويين حتى كثرت جموعهم، وزاد أنصارهم([٤])، وبعد مقتل أبي بلال مرداس على أيدي الأمويين سنة ٦١هـ/٦٨٠م [٤]، فانضم أتباعه إلى عبد الله بن الزبير في مكة لمقاومة الجيش الأموي الذي أُرسل لقتاله ثم سرعان ما انصرفوا عن ابن الزبير إثر نشوب

---

١ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ص٢٩٠

٢ محمد عليان: نشأة الحركة الإباضية فى البصرة ومناقشة دعوى تأسيس جابر بن زيد، دار الهداية، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٩.

3. عوض خليفات: نشأة الحركة الإباضية، بدون دار نشر، عمان، ١٩٧٨، ص ٦٥

4 ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص١٨٣.

الخلاف سنة ٦٤هـ/٦٨٣م[١] ويرجع ذلك إلى أن الخوارج كانوا يرون أن عثمان بن عفان(ﷺ) كان على حق في السنوات الست الأولى من حكمه أما بعدها فقد اعتبروه مخالفًا وأحلوا سفك دمه وقتله، كما تبرؤوا من علي بن أبي طالب(ﷺ) لأنه حكّم الرجال في دين الله يوم صفين، وكفر الخوارج الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله(رضي الله عنهما)[٢].

وهكذا انقسم الخوارج إلى فريقين : فريق منهم فضل الإقامة فى الجزيرة العربية متخذًا من اليمامة مقرًّا له [٣]وعرفوا باسم النجدات وأما الفريق الآخر فقد عاد إلى البصرة نظرًا لاضطراب أحوال البلاد بعد وفاة الخليفة يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ/٦٨٣م وهرب عبيد الله بن زياد رغم سيطرته على الخوارج وأخذهم بالشدة والعنف حتى أنه كان يقتل كل من كان على رأيهم، فثار هذا الفريق وكسروا أبواب السجون، وأخرجوا أتباعهم فتصدى لهم أهل البصرة [٤] خوفًا على مدينتهم واختاروا جماعة منهم لقتال الخوارج [٥]مما جعل أكثرهم يفرون إلى الأهواز مبايعين نافع بن الأزرق زعيمًا لهم.ومع ذلك فقد عارض بعضهم الخروج مع ابن الأزرق محبذين البقاء في البصرة [٦]، على رأسهم عبد الله بن إباض المري التميمي وإليه انتسب الإباضية ورغم ذلك فإن المصادر الإباضية تنسب إليه دورًا ثانويًّا بالمقارنة بجابر

---

1 الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص٣٩٧.

.2 الدينورى: الأخبار الطوال، ص٢٠٣، المبرد: الكامل فى اللغة والأدب، جـ٣، ص ٢٠٢

3 الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص٣٩٨.

٤ عوض الشرقاوى: التاريخ السياسى والحضارى لإباضية جبل نفوسة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠٠٦، ص٤٢.

٥ عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسى للدولة العربية، التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الخلفاء الأمويين، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٨٢، جـ٢، ص١٤٠.

6. المبرد: الكامل، جـ٣، ص٢٠٦

بن زيد الذي تُعده الإباضية فقيههم وإمامهم الأول، ومؤسس المذهب الحقيقي[1] أما عن انتساب الإباضية إلى عبد الله بن إباض. لأنه كان المجاهد علنًا والمناضل في إظهار المذهب والرد على المخالفين فيما أحدثوه. فضلًا على أنه كان ينتمي إلى قبيلة تميم أكبر وأقوى قبائل البصرة آنذاك.أضف إلى ذلك أنه أبرز تلاميذ جابر بن زيد[2].

الخلافات الفقهية بين فروع الخوارج:

أما عن وجه الخلاف بين نافع بن الأزرق وأتباعه المعروفين بالأزارقة وبين الإباضية فيرى نافع بن الأزرق أن مخالفي الخوارج مشركون كفرة، وحرم الزواج منهم، والموارثة فيما بينهم، وهم عنده مثل: (كفار العرب وعباد الأوثان)، ودارهم دار حرب يجب الهجرة منها كما هاجر الرسول(ﷺ) عن مُشركي مكة، كما أنكروا رجم الزاني، وذلك حسب قولهم: "أن حد الرجم لم يذكر في القرآن"[3]، وأباحوا قتل أطفال المخالفين ونسائهم، وقد رأى ابن إباض فى نافع مخالفًا للقرآن والسنة الأمر الذي جعل ابن إباض يخالفه وينشق عنه نظرًا لآرائه المتطرفة، فآثر عبد الله بن إباض القعود على الخروج معه[4]، ولهذا أطلق عليهم اسم "القعدة "تحقيرًا لهم من وجهة نظرهم لأنهم قعدوا عن الجهاد فى سبيل الله ومحاربة الولاة الظالمين[5]، وبذلك أصبح

---

1. عوض الشرقاوى: الدور السياسى والحضارى لإباضية جبل نفوسة، ص ٤٢
2. عوض الشرقاوى: المرجع السابق، ص٤٣

٣ عامر النجار: فى مذاهب الإسلاميين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٩٣.

٤ محمد أرشيد: الخليج العربي فى العصور الإسلامية منذ فجر الإسلام حتى مطلع العصور الحديثة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٨٣، ص١٠٩.

5 عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الخلفاء الأمويين، ص١٤١.

الإباضية مشركين فى نظر الأزارقة [1]، ثم ما لبث أن انفصل عبد الله بن إباض عن عبد الله بن الصفار الذي انتسبت إليه فرقة من الخوارج عرفت باسم(الصفرية) نتيجة كتاب نافع بن الأزرق إليهما الذي بين فيه مبادئه السابقة، فلما قرأه عبد الله بن الصفار وضعه خلفه، ولم يقرأه على أصحابه خوفًا من الفرقة، إلا أن عبد الله بن إباض أخذه وقرأه فقال :(قاتله الله ! أي رأي رأى نافع فإن القوم كفار بالنعم والأحكام ؟ وليسوا مشركين، ولا تحل لنا إلا دماؤهم، وما سوى ذلك فهو علينا حرام)، فقال ابن الصفار "برئ الله منك فقد قصرت، وبرئ الله من ابن الأزرق فقد غلا "[2].

ففارقهم عبد الله بن إباض، وأنكر ما أظهروه من الشرك، وتزعم فرقة الإباضية المعتدلين[3]، الذين ابتعدوا عن فرق الخوارج من حيث الغلو في دينهم على مخالفيهم[4]. ففي الوقت الذي اتجه فيه غلاة الشيعة، إلى إعلان الثورة المسلحة وواصلوا انتفاضاتهم التي اتسمت بطابع العنف والقسوة، واصطدموا مع الجيوش الأموية في حروب عنيفة حتى استطاع الأمويون كسر شوكتهم والقضاء على كثير من قوتهم [5].

اتجه الإباضية إلى المسالمة والابتعاد عن الفتن والثورات والدعوة لمذهبهم في سرية وهدوء حتى تحين الفرصة لتقويض الحكم الأموي، وإقامة الإمامة الإباضية طبقاً لمبادئهم [6].وسميت هذه المرحلة بمرحلة الكتمان، وعملًا بمبدأ الكتمان آثر جابر

---

(1) البغدادي: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، مصر، د.ت، ص١٠١.

2 الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٣٩٩.

3. المبرد: الكامل، ج٣، ص٢٠١

4 حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، ج٣، ص٣٩٢.

5 صفاء عبد الفتاح: الحركة الإباضية فى المدينة المنورة، ص٢٤.

6 عوض خليفات: نشأة الحركة الإباضية، ص٧٤.

بن زيد إخفاء أمره وأسنده إلى تلميذه عبد الله بن إباض[١]، وبوفاة عبد الله بن إباض خلفه في رئاسة الدعوة أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، الذي يُعزى إليه الدور الكبير في تثبيت دعائم المذهب في جميع الجوانب سواء كانت دينية أو عسكرية أو غيرها، وهو الذي ترتب عليه ارتفاع شأن الدعوة الإباضية واشتداد ساعدها [٢].

ولم يقتصر دور أبي عبيدة مسلم على نشر المذهب داخل البصرة فحسب، بل انتشرت الدعوة إلى خارجها من خلال التنظيم والتخطيط السليم، لحملة العلم الذين كانوا يختارونهم من بين أهالي المناطق التي يوفدون إليها لنشر المذهب الإباضي[٣]، وذلك لمعرفتهم بأحوال الناس وعاداتهم وتقاليدهم وطرق معيشتهم ومستواهم الفكري والحضاري[٤]. وهو ما جعلهم قادرين على جذب عدد كبير من الأنصار والمؤيدين للمذهب توطئة لإظهاره[٥]، كذلك اهتم أبو عبيدة بالجانب المالي، حيث أقام بيت مال في البصرة، تجمع فيه الأموال عن طريق التبرعات حتى يستطيع دعم دعاته في مختلف الأمصار بالمال والرجال والسلاح ليكون عونًا لهم على الصمود وإظهار أمرهم[٦]، وأسند الإشراف عليه إلى أحد ثقاته أبي مودود حاجب الطائي الذي أناط إليه كافة المهام المالية والعسكرية [٧].

القدرية :

---

1 عوض خليفات: نشأة الحركة الإباضية، ص٩٢.

٢ عامر النجار: الإباضية ومدى صلتها بالخوارج، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، د.ت ص١٢٥.

3 محمود إسماعيل: الخوارج فى بلاد المغرب، دار رؤية، القاهرة، ٢٠١٠، ص٥٥.

4 عوض خليفات: المرجع السابق، ص١٠٨

5 أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، المغرب، د.ت، ص١٣.

6 صفاء عبد الفتاح: الحركة الإباضية فى المدينة المنورة، ص٢٦ – ٢٧.

7. عوض الشرقاوى: التاريخ السياسى والحضارى لإباضية جبل نفوسة، ص ٤٨

واجهت الدولة الأموية منذ لحظة التأسيس مخاضًا صعبًا وتحديدًا مع معاوية بن أبي سفيان بعد أخذه الخلافة والبيعة بقوة السيف مشكلة تثبيت إمارته، فلجأ إلى مبدأ الجبر لتحقيق هذه الشرعية[١]، وأخذ يشيع أن توليه الخلافة تم بناء على إرادة الله ومشيئته التي قدرت منذ الأزل[٢]، وتبنى الأمويون فكرة الجبر هذه، وأكدوا أنهم خلفاء الله ونوابه على خلقه، وأن الله اصطفاهم من بين خلقه لخلافته والإشراف على أمور عباده ودينه[٣]، وبالتالي فإن الأمة ملزمة بطاعتهم طاعة تامة حتى لو كان في بعض ما يأمرون مخالفة للشريعة الإسلامية[٤]، ومن أهدافهم كذلك أن يعتقد الناس حركة التاريخ تتم بمشيئة الله وقدره أي لا دور للإنسان فيها[٥]، وبذلك يبقون خارج المساءلة من الأمة وأن الله هو الذي يحاسب الجميع يوم القيامة[٦].

ودعم الأمويون موقفهم هذا عبر الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ومنها قوله تعالى:(فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ)[٧] وقوله تعالى: (وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْ)[٨]، وقوله تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ)[٩]

---

[1] حسن محمد حسن دراوشة: مروان بن محمد دراسة تاريخية فى أبعاد الصراع على الحكم، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠١٧، ص ٧٨.

[2]. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص ٢١٧

[٣] الطبري، تاريخ، ج٧، ص ٢٢٠.

[٤] حسن دراوشة: مروان بن محمد، ص ٧٨.

[٥] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص ٢١٧.

[٦] البلاذري: أنساب، ج٥، ص ٣٢١.

[٧] سورة الأنعام، آية ١٢٥.

[٨] سورة الأنعام، آية ١٠٧.

[٩] سورة القمر، آية ٤٩.

وربط هذه الآيات بآيات تحث على إطاعة ولاة الأمر (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ)[١]، وقوله صلى الله عليه وسلم : "اسمع وأطع ولو ولى عبد حبشي كأن رأسه زبيبة، وفي مقابل ذلك وجد تيار معارض لهذا الاتجاه حمل أفكار حرية الإنسان في اختيار أفعاله، وأن بني أمية إنما نسبوا كل ما يفعلون إلى الله من أجل ظلم العباد وعمل كل ما يحلو لهم بشكل شرعي ومسوغ وأن الله منهم براء وأصبح رواد هذا الفكر يزدادون، وأصبح يطلق على معتنقي هذا الفكر "القدرية "[٢]

وبذل القدريون جهودًا كبيرة في الدعوة لآرائهم وطروحاتهم وكلما زاد تأكيد الخلفاء الأمويين على الجبر، زادت تأكيدات القدرية على الحرية الإنسانية، إلا أن القدرية انتشرت بشكل كبير على يد معبد الجهني، غيلان الدمشقي، وكانت طروحات القدرية واعتناق الناس لآرائهم أكبر خطر واجه الدولة الأموية وهدد كيانها، وذلك بسبب تحريضها الأمة على المبدأ الذي قامت عليه الدولة الأموية[٣]، أما الخلفاء الأمويون فقاموا باستئصال معتنقي هذا المذهب[٤] إضافة إلى مقاومتها ومجابهتها فكريًا، عبر التدليل بالأحاديث على كفر القدرية وتنبؤ الرسول بهم، واتهامهم بالمجوسية لكل أمة مجوس وإن مجوس أمتي القدرية، فإذا مرضوا فلا تعودوهم وإذا ماتوا فلا تصلوا عليهم وتشبيههم بالمجوس إشارة إلى عدم إيمانهم بالله وكفرهم بقضاء الله وقدره' كما اتهمت القدرية بأخذ آرائها عن النصرانية من قول

---

[١] سورة النساء، آية ٥٩.

[٢] الشهرستاني: الملل، ج١، ص ٤٣.

[٣] حسن دراوشة: مروان بن محمد، ص ٨٠.

[٤] الطبري: تاريخ، ج٧، ص ٢٣٢.

الرسول هم نصارى هذه الأمة[١]، وعلى الرغم من هذه الحرب على القدرية إلا أنها استطاعت الانتشار بشكل كبير في بلاد الشام وكان هذا أكثر ما يؤرق الخلفاء الأمويين[٢]، وكانت اليمانية من أكثر القبائل التي اعتنقت القدرية[٣] فقد انتشرت القدرية في تدمر وآرك، وبعلبك وداريا وكفر سوسية، كما انتشرت في حمص ودمشق، إلا أن حملات الخلفاء والأمويين على القدرية وقتلهم في معظم الأوقات جعلهم يكتمون مذهبهم في كثير من الأحيان[٤]

وبقيت القدرية على ما هي عليه من كتمان أمرها إلى أن جاءت الفرصة المناسبة للوصول إلى الحكم عبر رجل أموي اعتنق عقيدتهم ألا وهو يزيد بن الوليد[٥] وقامت القدرية بدور بارز في التمكين للحركة، وضمان نجاحها، فقد كان كل رسل يزيد إلى المخالفين له من رجالات القدرية[٦]، إلا أن هذه الفرصة لم تمهلهم طويلًا فسرعان ما انتفض مروان بن محمد من أجل القضاء عليهم وعلى حلفائهم[٧].

هذا وقد اتخذ مروان بن محمد من القدرية موقفًا واضحًا[٨] فقد آمن مروان بن محمد بنظرية الجبر في الحكم وأن اعتلاء الأمويين الخلافة إنما كان بمقتضى الإرادة الإلهية دون أن يكون للعباد رأي في ذلك، كما أن مروان رسخ مفهوم خليفة الله

---

[١] حسن دراوشة: مروان بن محمد، ص ٨٠.

[٢] حسن دراوشة: المرجع السابق، ص ٨٠.

[٣] المسعودي: مروج الذهب، ج٤، ص ٦٣.

[٤] البلاذري: أنساب الأشراف، ج٩، ص ١٧٤.

[٥] البلاذري: المصدر السابق والجزء، ص ١٩٣.

[٦] الطبري: تاريخ، ج٧، ص ٢٦٧.

[٧] الطبري: المصدر السابق والجزء والصفحة.

[8] حسن دراوشة: مروان بن محمد، ص ٨١

عندما أرسل كتاب البيعة للوليد بن يزيد يقول فيه "بارك الله لأمير المؤمنين فيما أجازه إليه من ولاية عباده"[١]

وقد اتضحت مواقف مروان بن محمد من القدرية منذ ولايته أرمينيا وأذربيجان، فقد كان هشام بن عبد الملك ينتهج سياسات عديدة مع رجالات القدرية، ومن ضمنها النفي، وكان ينفي رجالات القدرية إلى مروان بن محمد على شكل إمدادات عسكرية مع توصيته بوضعه في مقدمة الحرب من أجل التخلص منهم[٢]، وقد ظهر فكر مروان الجبري من القدرية واضحًا جليًا من خلال رسائله لهشام بن عبد الملك في رده على إرساله رجالات القدرية، فقد كتب مروان بن محمد إلى هشام أما بعد، فإن أمير المؤمنين كان وجه معي بنفر من القدرية في الجند الذي أمدني به، وأنه قد ظهر منهم في النية والقول منازعة لله في رزقه وشركة لله في الأمر يرغمون من ليس على رأيهم تولي ما هم عليه، حتى ظهر ذلك وانتشر[٣] كذلك ذهب مروان في رأيه إلى الخلفاء المتقدمين في الدولة باتهام القدرية بنصارى الأمة، وذلك من خلال رسالة بعثها أيضًا إلى هشام بن عبد الملك إنما رأيهم(القدرية) الذي ارتأته طائفة من رأي النصارى فيتشعب لهم فيه فنون الكلام إلى توهين سلطان الرب وتضعيف قدرته، ونقضهم من دين الإسلام وثائق عراه[٤].

وحث مروان بن محمد الناس على قتال القدرية، وقال يحث أتباعه عندما وصل دمشق انهضوا لمحاربة هذا القدري أخي القدري الخبيث المبتز لأمور الناس الآمر بالبدعة والضلالة فإن جهاده واجب على كل مسلم[٥] واتهم القدرية بالتحريض

---

[١] البلاذري: أنساب، ج٩، ص ١٤٧.

[٢] عبد الحميد بن يحيى الكاتب: رسائل عبد الحميد الكاتب، ص٢٠٧.

[٣] الكاتب: نفسه والصفحة.

[٤] الكاتب: نفسه والصفحة.

[٥] البلاذري: أنساب الأشراف، ج٩، ص ١٩٩.

على قتل الوليد وأن ثأره الأول إنما يكون منهم، ومن يتبع ملتهم، فقد ورد عنه، إنما قتله قدرية غيلانية[١].

أما موقفه العنيف من القدرية فقد اتضح عندما تولى الخلافة، فأول ما أمر به هو جمع القدرية له وكل من يؤمن بهم فنكل بهم، فمنهم من أمر بنفيه ومنهم من أمر بقطع يديه ورجليه ومنهم من أمر بصلبه، وذلك حسب مشاركته في الثورة ضد الوليد ومدى تحريضه على الدولة الأموية، أما بعض الشخصيات المشاركة مباشرة في الثورة ومن استطاع الإمساك به، فقد قتله مثل عمير بن هانئ العبسي ومنهم من استطاع الهرب إلى بلاد بعيدة[٢].

الزيدية :

تأتي الزيدية كأحد أهم التيارات الفكرية والثورية المعارضة التي ظهرت في العصر الأموي والتي خلطت بين السياسة والدين، وتنسب الفرقة الزيدية إلى الإمام 'زيد بن علي زين العابدين بن الحسين ين علي بن أبي طالب' ولد عام ٨٠هـ / ٦٩٩ م بالمدينة حيث نشأ بها وترعرع، ارتبط اسمه باسم أشهر الحركات الشيعية الثورية وهي الحركة الزيدية، وذلك عندما أعلن الثورة على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك[٣]، ظهر زيد بن علي في الوقت الذي اعتزل فيه آل البيت السياسة بالقول والعمل حتى أنهم كانوا ينادون الحكام "يا أمير المؤمنين، اتقاءً للأذى إلا أن زيد أحس أنه مختلف وأنه مؤهل لأمر كبير، لم يقتنع زيد بن علي أبدًا بمبدأ الشيعة الأشهر "التقية"بل كان ثوريًا رأى أن الشرط الأهم في الإمامة هو الخروج على الظلم

---

[١] البلاذري: المصدر السابق والجزء والصفحة.

[٢] الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٦، ص ١٥١؛ حسن دراوشة: مروان بن محمد، ص ٨٣.

[3]الشهرستاني: الملل والنحل، ص ١٥٨؛ محمد فياض: فرق الشيعة، ص ١٢٩: ص١٤٢.

والجور، حتى إن آراءه هذه جعلته يقود ثورة كبيرة على الحكم الأموي ممثلًا في شخص هشام بن عبد الملك.[١]

ترجع قصة السبب الأول إلى أيام ولاية 'خالد بن عبد الله القسري' على العراق، حيث قدم عليه وآخرون من كبار رجال آل البيت فأجازهم خالد وأكرم وفادتهم ورجعوا للمدينة، وتمضي الأيام ويعزل خالد القسري ويعين بدلًا منه 'يوسف بن عمر' الذي آل على نفسه التنكيل بخالد القسري، لذا كتب إلى الخليفة هشام بن عبد الملك بأمر العطاء الذي أعطاه خالد لزيد بن علي ومن معه بل إنه أضاف إلى ذلك ابتكارًا من عنده حيث ادعى أن خالدًا قد اشترى أرضًا من زيد ودفع مبلغًا لزيد بن علي مقداره عشرة آلاف دينار، إلا أنه قد رد الأرض لزيد ولم يرد له المال، فما كان من هشام بن عبد الملك إلا أن كتب إلى عامله على المدينة أن يجهز زيدًا ومن معه ليسألهم في هذه الادعاءات، وطبقًا للرواية فقد ذهب زيد بن علي وآله إلى هشام الذي استجوبهم فأقروا بأن خالدًا فعلًا قد جازاهم، إلا أنه أنكر مسألة الأرض تمامًا، فصدقهم هشام بعد أن حلفوا له، إلا أن الأخير طلب منهم الذهاب إلى العراق لمواجهة خالد في حضور يوسف بن عمر الوالي الجديد، وبالفعل ذهبوا وحلفوا فصدقهم والي العراق، وفي طريق عودتهم نزلوا بالقادسية، فراسل أهل الكوفة زيد بن علي وتوسلوا له أن يعود إليهم ليلتفوا حوله ويعلنوه إمامًا[٢].

في السبب نفسه تحدثت روايات أخرى مع بعض الاختلاف بأن خالد القسري قد ادعى أنه أودع زيد بن علي وآله مالًا، فكتب يوسف بن عمر بذلك إلى الخليفة هشام الذي أحضرهم بدوره من المدينة إلى دمشق ليسألهم في ذلك فأنكر زيد ذلك الأمر، إلا أن هشامًا طلب منهم التوجه للعراق لمواجهة خالد القسري الذي كان في

---

1 محمد فياض: المرجع السابق، ص١٢٩.

[2]الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٤، ص ١٩٣

محبسه آنذاك، وطبقًا للروايات يمضي زيد ومن معه على كره وخوف من يوسف بن عمر القسري، وفي العراق يعترف خالد أنه لا يوجد له مال لدى زيد، بل إنه اضطر لقول ذلك نتيجة التعذيب الشديد الذي ألحقه به يوسف بن عمر، وأن زيدًا بريء الذمة من ذلك الادعاء[١].

إلا أن التضارب يعود من جديد وخصوصًا حول معاملة هشام بن عبد الملك لزيد قبل توجهه للكوفة، فعند اليعقوبي نجد أن هشامًا يهين زيدًا واصفًا إياه بأنه ابن أمه، فضلًا عن وصفه لمشادة عظيمة دارت بين الاثنين، بل ويضيف إلى ذلك أن هشامًا أرسل إلى يوسف بن عمر بعد أن برئت ساحة زيد بأن لا يبقيه ليلة واحدة في الكوفة بعد انتهاء المواجهة حتى لا يغتر به أهل الكوفة[٢]، ونجد في الأصفهاني أن هشامًا عامل زيدًا معاملة حسنة، بل أنه عندما أبدى زيد خوفه من بطش يوسف بن عمر طمأنه هشام وأرسل معه رجلًا من الحرس، وطبقًا لرواية الأصفهاني فإن زيدًا قال لهشام "جزاك الله عن الرحم خيرًا لقد حكمت بالعدل"[٣].

سبب آخر ومختلف تمامًا قيل إنه كان دافعًا لخروج زيد بن علي على هشام بن عبد الملك، والروايات التي تشيع لهذا السبب تحمل المسؤولية لوالي المدينة 'خالد بن عبد الملك بن الحرث' وتجعله بطل الحدث، فقد ادعت هذه الروايات أن ذلك الوالي حاول أن يسوئ صورة آل البيت أمام الناس وأن يظهرهم بمظهر المتصارعين والمتخاصمين لأسباب تافهة، فروى أنه قد وقعت خلافات بين زيد بن علي وبين بعض أولاد عمومته من الحسن بن علي، وأن سبب هذه الخصومة كانت على وقف لعلي بن أبي طالب(ﷺ)، واختلف الاثنان على من له الحق في إدارة هذا الوقف،

---

[1] ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص٩٣ والتي تليها

(2) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٢٥.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص١٩٤.

وطبقًا لما ترويه المصادر فإن ذلك الوالي تدخل لحل هذه المشكلة حلًّا علنيًّا أمام الملأ وأمام جمهور أهل المدينة، فيجمعهم ليسمعوا ما يدور من خصومة بين الطرفين، بل يروي أن الأمر أصبح مثل المباراة بين أهل المدينة، فتحزبوا إلى فريقين، فريق مع زيد وفريق مع بني عمومته، بل وتذكر الروايات أن المدينة باتت تغلي كالمرجل وأن خالد بن عبد الملك كان يحب أن يتشاتم آل البيت على مرأى ومسمع من أهل المدينة، وطبقًا لهذه الروايات فإن زيدًا فطن إلى حيلة الوالي وقال له "لقد جمعت ذرية رسول الله(ﷺ) لأمر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر"إلا أن خالدًا سب زيدًا قائلًا "أما لهذا السفيه أحد"، بل اندفع أحد أنصاره ليسب زيد بن علي أمام الناس قائلًا له "يا ابن أبي تراب وابن حسين السفيه – حسب تعبيره – أما ترى للوالي عليك حقًّا ولا طاعة"[١].

شعر زيد بالامتهان والحنق فما كان منه إلا أن ذهب لهشام بن عبد الملك يشكو له ما لحق به من إهانة، إلا أن زيدًا لم يستطع مقابلة هشام فلم يأذن له، لذا كان يترك له قصاصات يطلب فيها المقابلة، إلا أنه كلما أرسل زيد قصاصة إلى هشام كان هشام يذيلها ويؤشر في أسفلها بجملة واحدة "ارجع إلى منزلك في المدينة"، إلا أنه وبعد محاولات عديدة وافق هشام أخيرًا على المقابلة، وفي أثناء المقابلة تعصف المناقشة بين الطرفين، فيأمر زيد هشامًا بتقوى الله ويستعظم الأخير أن أحدًا من رعيته يأمره بذلك، ويعيره بأنه ابن أمه قائلًا له "أنت الذي تحدثك نفسك بالخلافة وأنت ابن أمه"، وتدور المساجلات بين الطرفين وتنتهي بأن يخرج زيد غاضبًا من عند هشام قائلًا بسخط شديد "ما أحب أحد الدنيا قط إلا ذل وما كره قوم حر السيوف إلا ذلوا"[٢].

---

[1] محمد فياض: فرق الشيعة، ص ١٣٣

[2] الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص١٩٤– ١٩٦

واستمرارًا لمسلسل التناقض في الروايات نجد الاختلاف التام لدى صاحب الإمامة والسياسة، ففي معرض حديثه عن هشام بن عبد الملك يذكر التالي "صارت إليه الخلافة في سنة ست ومائة فكان محمود السيرة ميمون النقيبة وكان الناس في دعة وسكون وراحة ولم يخرج عليه خارج ولم يقم عليه قائم إلا ما كان من قيام زيد بن علي بن الحسين"ويستمر في سرده بأن هشامًا كان يحترم زيدًا ويقدره، وأن مقتله كان دون إرادته، وكان يصفه بأنه "شرف وفضل"[١].

وفي الحقيقة فقد كانت هذه الأسباب كلها أسبابًا ظاهرية، فمن الواضح أن زيد كان قد خطط لحركته مسبقًا فحسب رأي أحد أهم الأساتذة في ذلك المضمار يذكر أن زيد بن علي بدأ مشروعه السياسي منذ رحلاته الأولى في تحصيل العلم عندما تقلب بين البصرة والكوفة داعيًا لنفسه، ويقر سيادته "أن الثورة الزيدية كانت مسبوقة بدعوة"[٢].

فقد كان زيد منذ صغره طامحًا فى الخلافة، و"أنه كان دائمًا ما يحدث نفسه بالخلافة، ويرى أنه أهل لذلك، وما زال هذا المعنى يتردد في نفسه ويظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه.."[٣]، وقد فطن هشام لذلك عندما قال لزيد "أنت الذي تحدثك نفسك بالخلافة"، وقد اتفقت معظم المصادر أن زيدًا ذهب للعراق لمواجهة خالد القسري، عندما كان زيد بن علي في الكوفة وعندما انتهى يوسف بن عمر من استجوابه أمره بالرحيل عن الكوفة، وقد كان قرار يوسف بن عمر بإخراج زيد في الأساس قرارًا لهشام بن عبد الملك، فقد أرسل الأخير خطابًا تاريخيًّا إلى يوسف بن عمر يوضح فيه خطورة وجود زيد في الكوفة، وضرورة إشخاصه في الحال، فقد

---

(1) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٢، ص٣٣٨.

(2) محمود اسماعيل: فرق الشيعة، دار رؤية، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ٣٢.

(3) الفخري، ص ٩٣.

أرسل هشام ليوسف قائلًا "أما بعد فقد عملت بحال أهل الكوفة في حبهم أهل هذا البيت، ووضعهم إياهم في غير مواضعهم لأنهم افترضوا على أنفسهم طاعتهم ووظفوا عليهم بشرائع دينهم، ونحلوهم على ما هو كائن حتى حملوهم من تفريق الجماعة على حال استخفوهم فيها إلى الخروج، وقد قدم زيد بن علي أمير المؤمنين في خصومة...، وقد رأيته رجلًا جدلًا لسنًا خليقًا بتمويه الكلام وصوغه واجترار الرجال بحلاوة لسانه وبكثرة مخارجه في حججه..، فعجل إشخاصه إلى الحجاز، ولا تخله والمقام قبلك، فإنه إن أعاره القوم أسماعهم فحشاها من لين لفظه، وحلاوة منطقه مع ما يدلي به من القرابة لرسول الله(ﷺ) وجدهم ميلًا إليه غير متئدة قلوبهم.. وبعض التحامل عليه فيه أذى له وإخراجه وتركه مع السلامة للجميع والحقن للدماء، والأمن للفرقة أحب إلي من أمر فيه سفك دمائهم وانتشار كلمتهم وقطع نسلهم والجماعة حبل الله المتين... فادعُ إليك أشراف أهل المصر وأودعهم العقوبة في الإبشار واستصفاء الأموال، فإن من له عقد أو عهد منهم سيبطئ عنه ولا يخف معه إلا الرعاع وأهل السوداء، ومن تنهضه الحاجة استلذاذًا للفتنة، أولئك من يستعبد إبليس وهو يستعبدهم فبادرهم بالوعيد وأعضدهم بسوطك وجرد فيهم سيفك.. واعلم أنك قائم على باب ألفة وداع إلى طاعة، وحاض على جماعة ومشهر لدين الله، فلا تستوحش لكثرتهم واجعل معقلك الذي تأوي إليه... الثقة بربك والغضب لدينك والمحاماة عن الجماعة.."(١).

ومهما يكن من أمر فقد طلب يوسف بن عمر من زيد الخروج من الكوفة، وطبقًا لرواية الإمام زيد نفسه "وكان هشام كتب إلى يوسف بذلك وقال إني أتخوفه، وكنت أحب المقام بالكوفة للقاء الإخوان وكثرة شيعتنا فيها، وكان يوسف يكتب إلي

(1)الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص١٩٨ والتي تليها.

يستحثني على الخروج فأتعلل وأقول إني وجع، فيمكث ثم يسأل عني فيقال هو مقيم بالكوفة"[١].

ومهما يكن من أمر فقد أصر يوسف بن عمر وألح على زيد بالخروج من الكوفة، وكان زيد يتعلل إما بوجع أو بأنه يبتاع بعض الأغراض، إلا أنه أمام إصرار يوسف بن عمر لم يجد بدًّا سوى الخروج من الكوفة، وبالفعل خرج زيد بعد أن أقام مدة بالكوفة، ذكر الطبري[٢] أنها أربعة أو خمسة أشهر، كانت الشيعة تختلف إليه فيها ويأتون له، بل إنهم كانوا يطالبونه بالخروج قائلين له "إنا لنرجو أن تكون أنت المنصور، وإن هذا الزمان هو الزمان الذي تهلك فيه بنو أمية"[٣]، وطبقًا لما ترويه المصادر عندما وصل القادسية لحقته مجموعة كبيرة من شيعة الكوفة يتوسلون إليه بالعودة للالتفاف حوله وإعلان الانقلاب على هشام بن عبد الملك من الكوفة وإعلانه إمامًا، وقالوا له "نحن أربعون ألفًا إن رجعت إلى الكوفة لم يتخلف عنك أحد، نضرب عنك بأسيافنا وليس هاهنا من أهل الشام إلا عدة يسيرة بعض قبائلنا يكفيهم بإذن الله وحلفوا له –كالعادة– بالأيمان المغلظة"[٤].

أتت معلومات جديدة ليوسف بن عمر عن تحركات زيد بن علي، والأدهى أنه علم بما عقد زيد عليه العزم من تقديم الموعد، ولا شك أن الخيانات والعيون والجواسيس كانت لها أبلغ الأثر في الوقوف على تلك الأسرار، على أية حال فقد أمر يوسف بن عمر أن يجمع أهل الكوفة جميعهم في المسجد الأعظم، ونشط العرفاء والشرط وجمعوا الشيعة وأدخلوا في المسجد، وفي الحقيقة لم يكونوا في

---

(1)ابن إبراهيم: المصابيح، ص١٩٨.

(٢) الطبري: الأمم والملوك، جـ ٤، ص ١٩٧.

[١] ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، جـ ٧، ص ٢٠٩.

(4)الطبري: نفسه، جـ ٤، ص ١٩٦.

حاجة إلى شرط ليأتوا بهم فدخلوا المسجد بسلاسة ودون أي مقاومة وذلك قبل خروج زيد، وأخذ الجند في البحث عن زيد، وفي محاولة لإجهاض الحركة في مهدها، على الجانب الآخر فقد تحرك زيد بن علي في ليلة قارصة البرودة، وتم النداء بشعار الثورة "يا منصور أمت"الأمر المثير للعجب أن الإمام زيدًا عندما أعلن خروجه أتى له عدد لا بأس به من أصل الخمسة عشر ألفًا الذين بايعوه، حيث لحق به مائتان وثمانية عشر رجلًا "فصعق زيد بن علي الذي لم يتعلم من دروس التاريخ وتساءل أين باقي الأتباع قائلًا "سبحان الله أين الناس، فقيل هم في المسجد الأعظم محصورون، فقال والله ما هذا لمن بايعنا بعذر"[١].

وتحرك زيد مصطحبًا هذه الأعداد اليسيرة وتوجه إلى المسجد حيث يوجد الذين بايعوه يتعللون بأنهم محاصرون، وأخذ أصحابة ينشرون راياتهم ويصيحون يا أهل المسجد اخرجوا من الذل إلى العز، اخرجوا إلى الدين والدنيا فإنكم لستم في دين ولا دنيا، اكسروا الأبواب واخرجوا، إلا أن أحدًا لم يحرك ساكنًا ولم يحاولوا الخروج رغم هشاشة السرية التي تحاصر المسجد، حتى أن زيد بن علي أخذ يصح ويقول "جعلوها حسينية"مشيرًا إلى موقفهم من الحسين الذي تكرر معه[٢].

وبالرغم من ضعف شوكة زيد وقلة عدده وعدته إلا أنه دخل في معركة غير متكافئة مع جند يوسف بن عمر، ومالت الكفة إليه أول الأمر، وأبلى بلاءً حسنًا ولكن الإمدادات جاءت لجند يوسف واستمرت المعركة إلى الليل وكان من الممكن أن تستمر طويلًا إلا أن الوالي فكر في وسيلة أخرى للقتال ففكر أن يقوم الرماة بحسم الأمر وأن تكون النبال هي الحاسمة في المعركة، وبالفعل آتت

---

(1)الأصفهاني: مقاتل الطالبين، جـ ١، ص ١٣٦.

(2)الطبري: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٢٠٦.

الخطة أكلها وتساقطت السهام مثل المطر على زيد وأتباعه حتى جاء السهم الأهم والأخطر والأصعب الذي استقر في جبهة زيد بن علي ليودي بحياته، كان ذلك يوم الجمعة ٢ صفر ١٢٢هـ / ٧٤٠ م وكان عمره آنذاك اثنين وأربعين سنة[١].

وبعد أن طُويت صفحة زيد بن على لم تنتهِ قصة الزيدية بل كان هناك رأى آخر لابنه يحيي بن زيد أحد أبناء الإمام زيد بن علي وأحد الذين شهدوا مأساة زيد ورأوا نهايته، وفي الحقيقة رغم أن زيد بن علي لم يؤمن بأن يرث الأبناء والآباء في الإمامة، إلا أن الزيدية قالت بإمامة ابنه يحيى بن زيد بعد موت أبيه[٢]، آنذاك وجد يحيى نفسه في مأزق، فلم يتبقَ معه سوى عشرة أفراد[٣]لذا فقد ارتأى يحيى بن زيد أن يفر بحياته وكذا بدعوته لأرض جديدة يستطيع فيها الحفاظ على حياته وضمان استمرارية الدعوة الزيدية، فقرر التوجه إلى خراسان، وبالفعل خرج وكانت محطته الأولى هي المدائن[٤]، وكانت آنذاك طريق الناس إلى خراسان[٥]، وفي المدائن اتصل يحيى بشيعته وشيعة أبيه للتنسيق معهم[٦].

على أية حال فقد توجه يحيى بعد ذلك إلى بلخ، في الوقت الذي توفي فيه هشام بن عبد الملك وتولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك(١٢٥ – ١٢٦هـ/ ٧٤٢-٧٤٣م)، وفي بلخ نزل يحيى في دار أحد شيعته ويدعى 'الحريث بن عمرو بن داود'، ولكن بعد مدة تم القبض على يحيى بن زيد وجاءت التعليمات واضحة

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٤، ص ٢٠٧.
(2)البغدادي: الفرق، ص ٥٥.
(3)الأصفهاني: مقاتل الطالبين، ج١، ص١٥٣.
(4)الأصفهانى: المصدر السابق والجزء والصفحة.
(5)الأصفهاني: نفسه، ج١، ص١٥٣.
.(6)المدرسي: جعفر الصادق، ص١٣٤

وصريحة من دار الخلافة، حيث أرسل الخليفة الوليد بن عبد الملك بن يزيد بإطلاق سراحه وسراح أصحابه وتأمينهم[١]، وبالفعل أطلق نصر سراح يحيى وأمره بتقوى الله وحذره الفتنة[٢]، ومن المهم أن نشير إلى أن أوامر نصر بن سيار بن سار ليحيى بن زيد بتقوى الله وعدم الفتنة تعبر عن الفهم الأموي لطبيعة الخارجين عليهم بأنهم أصحاب فتنة وأن القائمين على الحكم الأموي هم أولو الأمر وأصحاب الشرعية[٣].

رغم ما سبق فإن يحيى بن زيد كان مصممًا على الخروج فلم يكن من السهل عليه أن يستمع إلى الأوامر التي تطلب منه الرجوع والذهاب إلى الخليفة، لذا فقد قام يحيى بتحركاته،وفي النهاية فقد أعلن يحيى عن موقفه، لذا قام نصر بن سيار باتخاذ ردة الفعل والإجراء الدفاعي، فوجه أحد القادة ويدعى 'سلم بن أحور' ليستأصل شأفة يحيى بن زيد في ثمانية آلاف فارس، وفي موضع يقال له "الجوزجان"وبعد قتال ثلاثة أيام قضي على أصحاب يحيى جميعهم، وانتهى المشهد بسهم أصاب يحيى في جبهته – أو صدغه – مثلما حدث مع أبيه، وانتهى يحيى بن زيد هو الآخر كما انتهى من سبقوه، وصلب على باب مدينة الجوزجان، وأرسلت رأسه إلى نصر بن سيار الذي بعثها بدوره إلى الوليد بن يزيد، وكان ذلك في عام ١٢٥هـ / ٧٤٢ م[٤].

علي أية حال فإن ما سبق من أزمات وأفكار وحراك كانت إحدى الأسباب الجوهرية في تسلح الأمويين بقوى دينية موازية داعمة للعلوم الدينية والقائمين عليها.

معاوية وتغيير شكل السلطة السياسية إلى حكم وراثي :

.(1)الطبري: تاريخ، جـ ٤، ص ٢٣٢

.(2)الأصفهاني: مقاتل الطالبين، جـ ١، ص ١٥٦

(3)الطبري: تاريخ، جـ ٤، ص ٢٣٢.

(4).الأصفهاني: مقاتل، ج١، ص١٥٧؛ محمد فياض: فرق الشيعة، ص١٥٢

كان دور البطولة الأول في هذه القضية للضحاك بن قيس الفهري الذي دفع الأمر دفعًا –حسب تعبير المصادر– فقال "يا أمير المؤمنين أنه لا بد للناس من والٍ بعدك، وقد بلونا الجماعة الآنفة فوجدناها أحقن للدماء وأصلح للدهماء، وآمن للسبيل، وخيرًا في العافية، والأيام عوج، والله كل يوم هو شأن، ويزيد ابن أمير المؤمنين في حسن هدية وقصد سيرته على ما علمت، وهو من أفضلنا علمًا وحلمًا وأبعدنا رأيًا فوله عهدك واجعله لنا بعدك، ومفزعًا نلجأ إليه، ونسكن في ظله"، وتم الاتفاق على الأمر في هذا الاجتماع، ولكن الأحنف بن قيس الذي أتى مندوبًا عن البصرة نبه إلى أمر خطير فقال "إن أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون بهذا"، ورغم هذا التحذير فقد انتهى الاجتماع بعد أن أعلن الجميع السمع والطاعة[١].

وفي سبيل توطئة أمر البيعة ليزيد فإن معاوية قد اتخذ إجراءً مهمًّا بأن أرسل إلى مروان بن الحكم الذي كان يشغل آنذاك منصب أمير المدينة، فأرسل إليه يأمره بأن يعد الناس نفسيًّا ويؤهلهم لقبول مبدأ تعيين وليٍّ للعهد، ويبدو أنه لم يسمَّ آنذاك اسم الخليفة المنتظر، وكتب إلى مروان قائلًا له "أنه قد كبرت سني ودق عظمي، وخشيت الاختلاف على الأمة بعدي، وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدي، وكرهت أن أقطع أمرًا دون مشورة من عندك، فأعرض ذلك عليهم، وأعلمني بالذي يردون به عليك"، كما كان في المدينة أربع قامات دينية عالية آنذاك وهم الحسين بن علي، عبد الله بن عباس، عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر وقام عبد الرحمن بن أبي بكر حانقًا، لم يبخل بألفاظ المعارضة فهب قائلًا "ما الخيار أردتم أمة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل"، كما عارض ذلك القرار كل من الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير[٢].

---

[1].ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج١، ص١٧٠؛ محمد فياض: مرجع سابق، ص ٣٤٥

[2]ابن قتيبة: المصدر السابق والجزء، ص١٧٩.

وقدم معاوية إلى المدينة عام ٥٠هـ/٦٧٠م، واجتمع بالعبادلة أبناء الصحابة، وهم عبد الله بن عباس، عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، عبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، وحاول معهم أيضًا في موضوع البيعة حيث ذكر لهم الآتي: "إني رأيت أن أستخلف عليكم بعدي يزيد ورأيته لكم رضًا، وأنتم عبادلة قريش وخيارها وأبناء خيارها[١].

كما استخدم معاوية فى سبيل تحقيق مشروعه قيمه سياسية ودينية عالية وهو والي المدينة آنذاك –سعيد بن العاص– لمحاولة تقليص دور المعارضة وأخذ البيعة من المعارضين، وطلب معاوية من ابن العاص أن يوافيه بتقرير عمن بايع ومن لم يبايع، ويبدو أن سعيد بن العاص قد استخدم جميع الوسائل للحصول على هذه البيعة، فبايع البعض وتباطأ البعض الآخر، وكان أبرز من تباطأ بني هاشم فضلًا عن ابن الزبير الذي كان أشد الناس إنكارًا لذلك، ولذا كتب سعيد بن العاص لمعاوية وذكر له من تباطأ في البيعة وخصوصًا بني هاشم، وبفطنة معاوية السياسية أرسل رسائل إلى هؤلاء المعارضين محاولًا استمالتهم، وكان الحسين بن علي أحد أهم هؤلاء المعارضين الذين أرسل لهم معاوية فقال له "أمل بعد فقد انتهت إلي منك أمور لم أكن أظن بها رغبة عنك، وإن أحق الناس بالوفاء لمن أعطى بيعة من كان مثلك في خطرك وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله بها، فلا تنازع إلى قطيعتك واتقِ الله ولا تردن هذه الأمة في فتنة وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون".

و اتجه معاوية إلى المدينة مرة أخرى، ونلمح هنا توظيف المسجد في النقاش السياسى ففي المدينة صعد المنبر وأخذ يتحدث مع أهل المدينة في موضوع بيعة يزيد، وبالفعل استطاع إقناع عامة الناس فلم يبقَ أحد بها لم يبايعه من أهلها، وبذلك

---

[1]ابن قتيبة: المصدر السابق والجزء، ص١٧٦– ١٧٨.

انضم جمهور المدينة إلى المبايعين ليزيد ففرق معاوية عليهم أموالًا عظيمة ابتهاجًا بذلك، ولكنه جد في السير لطلب المعارضين وذلك حتى ينتهي من مشروعه، وبالفعل خرج إلى مكة وقضى نسكه بها، وهناك اجتمع بهؤلاء الكبار[١].

ودارت المساجلات والمناظرات مرة أخرى وقد كانت هناك حجة قوية لمعاوية حيث إنه كان مؤمنًا أن لكل عصر رؤية خصوصية في التعامل معه حيث أنه ذكر أن رسول الله(ﷺ) قد توفي ولم يستخلف أحدًا فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر(رضي الله عنه) الذي عمل بكتاب الله وسنة نبيه(ﷺ)، وكان على قدر المسؤولية، ولما حضرته الوفاة رأى أن يستخلف عمر(رضي الله عنه)، فعمل هو الآخر بكتاب الله وسنة نبيه(ﷺ)، ولم يكن أقل من أبي بكر(رضي الله عنه) تحملًا للمسؤولية، ثم رأى أن يجعلها شورى في ستة نفر، ويعلق معاوية على ذلك بأن أبا بكر صنع ما لم يصنعه رسول الله(ﷺ)، وصنع عمر ما لم يصنعه أبو بكر(رضي الله عنه)، كل ذلك يصنعونه نظرًا للمسلمين، وحسب قول معاوية "فلذلك رأيت أن أبايع يزيد لما وقع الناس فيه من الاختلاف، ونظر لهم بعين الإنصاف"[٢]، هذه كانت رؤية معاوية ولكن الأربعة الكبار كانت لهم رؤى مختلفة عن ذلك، ويبدو أن كلًّا منهم قد علق بيعته على الآخر، وبعد حوار طويل ومناظرات كثيرة انتهى الأمر إلى أن معاوية استطاع حمل بعض المعارضين على البيعة ليزيد والاعتراف كولي للعهد وبقي البعض الآخر على موقفه المتشدد[٣].

ومهما يكن من أمر فقد كانت هذه القضية أحد أبرز القضايا السياسية في الدولة الأموية التي ظهر المسجد وظهر العامل الديني بها.

---

[1] ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢١٩.

[2] ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ ١، ص ١٩٢ والتي تليها

[٣] محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة الأموية، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١م، ص٢٦.

وفي بعض الأحيان تغيرت الخريطة السياسية للدولة الإسلامية تغيرًا جذريًا مثل ما حدث عقب وفاة "يزيد بن معاوية"بعد أن ولى ابنه "معاوية بن يزيد"، وكان معاوية هذا مريضًا زاهدًا في الخلافة كارهًا لها فكان يقول "لا أحب أن ألقى الله بتبعاتكم، فشأنكم وأمركم ولوه من شئتم فوالله لئن كانت الخلافة مغنمًا لقد أصبنا منها حظًّا، وإن كانت شرًّا فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها..."، وتفرغ للعبادة حتى مات بالطاعون عام ٦٤هـ / ٦٨٣ م بعد حكم دام أربعين يومًا[١].

أما على الجانب الآخر فما أن قتل الحسين بن علي حتى وثب عبد الله بن الزبير وأعلن نفسه خليفة في مكة ثائرًا على بني أمية فطرد عمال يزيد من مكة والمدينة، ولما توفي الأخير استفحل أمر عبد الله بن الزبير وتطور نفوذه إلى الحجاز والعراق وخراسان واليمن ومصر والشام، إلا أن الأردن كانت الإقليم الوحيد الذي أصر على الإخلاص للمعسكر الأموي[٢].

أما الأسرة الأموية ففي ظل هذا الانقسام وهذا الفراغ وكذا الصعود الضارب لابن الزبير، فقد اجتمعوا في دمشق لإنقاذ خلافتهم التي شارفت على السقوط في الهاوية محاولين السمو على خلافاتهم الأسرية الداخلية، فعقدوا مؤتمرًا عرف بمؤتمر الجابية(٦٤هـ / ٦٨٣م) وانتهى المؤتمر إلى تنصيب مروان بن الحكم وانتقال الحكم الأموي من فرعه السفياني إلى فرعه المرواني، وتدارك الخلافة الأموية، أدى ذلك بطبيعة الحال إلى تقلص سلطان ابن الزبير في الشام[٣]، إلا أن المحصلة في النهاية أنه أصبح في الدولة العربية الإسلامية خليفتان، خليفة في الشام وهو مروان بن

---

[١] المقدسي: البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت، ج٦، ص١٧؛ محمد فياض: فرق الشيعة، ص ١٧.

[2] المقدسي: المصدر السابق، ج٦، ص١٨.

[3] ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج٢، ص٢٣٧.

الحكم، وخليفة في الحجاز وهو عبد الله بن الزبير، وبدأ الصراع بين الخليفتين ومن ورائهما القطران الإسلاميان الكبيران الشام والحجاز[١].

كما ظهرت في العصر الأموي شخصيات إسلامية من أصول أعجمية ذات تعليم ديني عالٍ من أمثال عبد الحميد بن يحيى الكاتب، وعبد الله بن المقفع، وقد هدفت أفكارهم إلى خدمة المشروع السياسي الأموي الملك العضوض، وأن ما كان يقرأه معاوية بن أبى سفيان سرًّا عن تاريخ ملوك الأعاجم وسيرهم أصبح يعرضه العديد من الكُتاب في رسائلهم، كما ظهرت أفكار مثل أن المَلك كخليفة الله في الأرض، والمعنى بتطبيق الشريعة، ثم ثانيًا : الحاشية الملكية وهم رجال الملك أو ما يعرف بالجسد السياسي للملك، وثالثًا : الرعية كوعاء للسلطة الملكية، ولذلك كان بنو أمية يضربون بقوة أصحاب المذاهب المغايرة للسنة، ففي رواية لخالد بن عبد الله القسري إلى هشام بن عبد الملك يوردها عبد الحميد بن يحيى الكاتب يقول فيها :"إن أمير المؤمنين كان قد وجه معي بنفر من القدرية في الجند الذين كان قد أمدني بهم، وإنه قد ظهر منهم في النية والقول منازعة الله في رزقه، يرغمون من ليس على رأيهم تولى ما هم عليه حتى ظهر وانتشر(...) وإنما رأيهم الذي ارتأوه طائفة من النصارى، فيتشعب لهم فيه فنون الكلام إلى توهين سلطة الرب، وتضعيف قدرته، ونقضهم من دين الإسلام وثائق عراه(...) وأنت أمير المؤمنين من الله بمكان من حق عليه النكير عليهم، والعقوبة لهم "[٢]

---

[١] علي حسن الخربوطلي: تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ١٣٧؛ محمد فياض: فرق الشيعة، ص١٧.

[2] عبد الحميد بن يحيى الكاتب: رسائل عبد الحميد الكاتب، ص٢٢٦.

الإستراتيجية الأموية الخفية لدعم العلوم الدينية :

على يد معاوية تحولت الخلافة إلى مُلك عضوض، ووراثة لأمور الحكم في عائلة واحدة، ويسوغ البعض تغير نظام الحكم على يد معاوية بأن انتقال الحكم من المدينة إلى دمشق كان له أثره في هذا التحول فيقول: "لا يغرب عن أذهاننا أثر البيئة في تطور نظام البيعة إذْ إنه لما كانت المدينة حاضرة العرب في عهد الخلفاء الراشدين، كانت السيادة والنفوذ للعنصر العربي، وقام ذلك النظام الذي يتفق وطبيعة العرب، فلما أصبحت دمشق حاضرة الدولة العربية تأثر العرب بالبيئة التي عاشوا فيها، وغدا نظام الخلافة أشبه بالنظام الملكي القيصري، ومن ثم زادت الصفة الزمنية في الخليفة، وكان معاوية متأثرًا في ذلك بالنظام الذي كان سائدًا في الدولتين البيزنطية والساسانية، وسار في تحقيق هذه السياسة بمنتهى المهارة"ويذكر أحمد أمين[١] نقلًا عن المسعودي: "أن معاوية بعد أن كان يفرغ من عمله كان يستمر إلى ثلث الليل في قراءة أخبار العرب وأيامها، والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها، وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة"[٢].

ومن ناحية أخري فإن فهم بني أمية لولاية العهد الذي بدأ معاوية بتطبيقه، كان أقرب لوراثة الملك عند القياصرة والأكاسرة، وربما اقتبس معاوية هذا النظام منهم لعلمه بأخبار ملوك الروم، والفرس، وسيرهم، وسياستهم الرعية[٣] ولا شك أن تحول الخلافة إلي ملك على يد معاوية والأمويين، جعل منصب الخلافة الإسلامية سياسيًّا أكثر من كونه دينيًّا، وأن الدولة الأموية وظفت كل ما في جعبتها لاستمرار الخلافة أو الملك في أسرتها، فقد وظف بنو أمية المفاهيم والمعتقدات الدينية من أجل تسويغ

---

[١] فجر الإسلام، ج٢، ص٣٥٨.

[٢] أحمد أمين: المرجع السابق، ص١٥٦.

[٣] حسين عطوان: الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٦صـ٢٦٣.

وجودهم السياسي، ولهذا روجوا أن توليهم لأمور الحكم جاء وفقا لقضاء الله وقدره، وبالتالي فعلى المسلمين بشتى فرقهم ومذاهبهم قبول ذلك، وألا يخرجوا عليهم، ومن ثم فقد خضعت عقائد الإسلام للتوظيف السياسي النفعي على يد بني أمية"فبناء على عقيدة الجبر التي ترى أن الله حكم أزلًا أن تصل هذه الأسرة إلى الحكم، وأن ما يعملون ليس إلا أثرًا أو نتيجة لقدر إلهي محكم، وكان حسنًا جدًّا أن تتأصل هذه الأفكار في الرعية، حتى كانوا يسمعون وهم راضون شعراءهم يمجدونهم بنعوت تجعل سيادتهم وسلطانهم قدرًا مقدرًا من الله، وأن القضاء الأزلي لا محيد عنه، وعقلية الرعية الهادئة المطيعة يجب أن تُعد أمير المؤمنين، وما يجيء عنه من آلام قدرًا من الله، ولا يمكن لأحد أن يتهم ما يصدر عنه أو يشكو منه"([١]).

كان الأمويون يوظفون مفاهيم القدر والجبر في تسويغ هذا الأمر فقد روي عن معاوية أنه قال في بعض خطبه "لو لم يرني ربي أهلًا لهذا الأمر ما تركني وإياه، ولو كره الله ما نحن فيه لغيره، وهذا صريح الجبر، وكان يقول أنا عامل من عمال الله أعطي ما أعطى الله، وأمنع ما منعه الله "([٢]) لقد مال الأمويون إلى مذهب الجبر وعولوا عليه لإثبات حقهم في الخلافة، وتعلقوا به لتصحيح اختيارهم لها، فقد استقروا علي أن الله اختارهم للخلافة وآتاهم الملك، وأنهم يحكمون بإرادته، ويتصرفون بمشيئته، ولذا أحاطوا خلافتهم بهالة من القداسة، وأسبغوا على أنفسهم كثيرًا من الصفات الدينية إذْ كان معاوية بن أبي سفيان في نظر الأمويين خليفة الله في الأرض([٣]).

ووظف الأمويون عقيدة القدر والجبر في تسويغ أمر ولاية العهد، وعولوا عليها في تسكين أمر المعارضة السياسية، ففي رد معاوية على المعارضين لتولي أمر

([١]) جولد تسهير: العقيدة والشريعة، ص٨٦-٨٨.

([٢]) ابن المرتضي: المنية والأمل، ص٨٧.

([٣]) حسين عطوان: الفرق الإسلامية، صـ٢٠٧.

يزيد الخلافة قال لهم: "إنما هو الملك يؤتيه الله من يشاء، وأن أمر يزيد قضاء من الله، وليس للعباد الخيرة من أمرهم"[١]

وابتداء من معاوية بن أبي سفيان، وعلى مدار حكم بني أمية تم ترسيخ العطايا كأحد الأدوات لاحتواء المناوئين لهم في الحكم، وذلك من الخراج الذي كَثر من بلاد الفرس وغيرها، وكان هذا الخراج يوزع بأهواء ورغبات بني أمية "حيث وقع تغيير في تصرف الخلفاء في بيت المال، فلقد كان بيت المال –كما في التصور الإسلامي– أمانة الخلق والخالق لدى الخليفة وحكومته، ولا حق لأحد في التصرف فيه حسب هواه، فما كان في استطاعة الخليفة أن يدخل أو يخرج منه مليمًا واحدًا خلافًا للشرع، ولا حق فيه سوى راتبه فقط الذي يكفي لمعيشة متوسطة لا فقيرة ولا مترفة، أما في عصر (بني أمية) فقد تبدل هذا التصور وأصبحت خزانة الدولة ملكًا للسلطان وأسرته، وما على الرعية سوى أن تدفع له الخراج دون حق في مساءلة الحكومة أو محاسبتها، أما معيشة الملوك والأمراء في ذلك العهد فلم يكن طرازها ميسورًا عن أي سبيل آخر سوى التصرف المطلق في بيت المال"[٢].

وكانت تُفرق العطايا من الخراج لشراء بيعة الناس لولاية العهد، ومن لا يبايع يحرم من العطاء، فحين ذهب معاوية إلى المدينة لأخذ البيعة لابنه يزيد، أجزل العطاء على من بايع يزيد دون بني هاشم "ثم ارتحل معاوية راجعًا إلى مكة، وقد أعطي الناس أعطيتهم وأجزل العطاء، وأخرج إلى كل قبيلة جوائزها وأعطيتها، ولم يخرج لبني هاشم جائزة ولا عطاء، فخرج عبد الله بن عباس في أثره حتى لحقه بالروحاء، فجلس ببابه، فجعل معاوية يقول : من بالباب ؟ فيقال: عبد الله بن عباس، فلم يأذن لأحد، فلما استيقظ قال : من بالباب؟ فقيل: عبد الله بن عباس،

---

[١] ابن قتيبة، الإمامة السياسية، صـ١٨٣.

[٢] أبو الأعلى المودودى: الخلافة والملك، ترجمة أحمد إدريس، دار القلم، الكويت، بيروت ط١ ١٩٧٨ صـ١٠٢–١٠٣.

فدعا بدابته، فأدخلت إليه ثم خرج راكبًا، فوثب إليه عبد الله بن عباس، وأخذ بلجام البغلة، ثم قال : أين تذهب ؟ قال: إلى مكة، فقال أين جوائزنا كما أجزت غيرنا، فأومأ إليه معاوية فقال : والله ما لكم عندي جائزة حتى يبايع صاحبكم يقصد ابن الزبير، وابن عمر بن الخطاب، وحين هدد ابن عباس أنه سيذهب إلى الشام ويفضح الأمر، قال معاوية : بل عليكم جوائزكم "[١] والتاريخ مملوء بكيفية توظيف بني أمية للعطاء والخراج في الحصول علي موافقة معارضيهم واحتوائهما، فكان توظيف الغنيمة أو العطاء أحد الأدوات في يد بني أمية لاستقرار السلطة في يدها، وكانوا يستميلون رؤساء القبائل بالمال، فضلًا عن توظيف علماء الدين ومفكريهم.

ولم يتوانَ الأمويون في كثير من الأحيان عن استخدام القوة فحسبما عبرت بعض النصوص أن عبد الملك بن مروان قد قدم سنة خمسة وسبعين إلى المدينة فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال : "أما بعد فلست بالخليفة المستضعف – يعني عثمان– ولا بالخليفة المداهن –يعني معاوية– ولا بالخليفة المأفون يعني يزيد، ألا وإن من كان قبلي من الولاة كانوا يأكلون ويؤكلون، وإني والله لا أداريكم إلا بالسيف فمن أحب أن يبدي صفحته فليفعل"[٢]، وينقل عنه قوله بأنه لن يداوي أمراض هذه الأمة إلا بالسيف.

كان الإفراط في استخدام السيف في عهد بني أمية سمة مميزة، فذات مرة أطال الوليد بن عبد الملك خطبة الجمعة حتى اصفرت السماء فقام إليه رجل فقال : "إن الوقت لا ينتظرك وإن الرب لا يعذرك، فأجاب الوليد : صدقت، ومن قال مثل مقالتك فلا ينبغي له أن يقوم من مقامك فقتله حرسه"[٣]، وكان الحجاج بن يوسف يقول "لو

---

[١] ابن قتيبة: الإمامة والسياسة صـ١٩٠-١٩١.

[٢] حسين عطوان: الفرق الإسلامية، صـ٢٨٣.

[٣] أبو الأعلى المودودي: الخلافة والملك، ترجمة أحمد إدريس، دار القلم، الكويت، بيروت، ط١، ١٩٧٨، ص١٠٦-١٠٧.

أمرت الناس أن يخرجوا من باب المسجد فخرجوا من باب آخر لحللت دماءهم وأموالهم، ومن الغريب أن عبد الملك بن مروان قد أوصى ولده حين حضرته الوفاة، فقال له : انظر إلى الحجاج بن يوسف فإنه هو الذي مهد لك البلاد، وقهر لك الأعداء، وخلص لكم المُلك "[١].

كما كان للقبيلة أثرها البارز في حكم بني أمية، فكانوا يتباهون بأنهم أشرف العرب أصلًا، وأعرقهم حسبًا ومجدًا، وكانوا أشد حرصًا على أن يكون أولياء عهودهم لم تخالطهم أي عجمة، ومن ثم "فإذا كان الأمويون يأخذون بنظام ولاية العهد ووراثة الخلافة، إلاأنهم لم يتمسكوا به تمسكًا وثيقًا، بل تأثروا بمبدأ السيادة القبلي، إذْ كانوا في الغالب يعقدون العهد لأفضل أبنائهم، ومن تجتمع فيه معالم النجابة، والنباهة، وملامح السياسة والرياسة، وكانوا في بعض الأحيان لا يعهدون بالخلافة إلى أبنائهم بل إلى إخوانهم"[٢].

وقد حاول معاوية بن أبي سفيان التأليف بين العصبيات القبلية لصالح استقرار الدولة الأموية فكان يجزل العطاء لرؤساء القبائل لضمان ولائهم، وكذلك كان يوزع العمال على الأمصار من مختلف القبائل حتى يضمن ولاء الجميع، ولكن الصراع بين القبائل العربية كان أحد السمات الكبرى لدولة بني أمية، فكان عصر بني أمية هو عصر التكتلات القبلية الضخمة، ورغم أهمية حلم معاوية في احتواء العصبية القبلية، إلا أنه بعد موته حدث صراع بين المضرية واليمنية، حيث مال الكلبيون من اليمنية إلى بني أمية، وانضم القيسيون بزعامة الضحاك بن قيس إلى عبد الله بن الزبير الذي عمل على سلب الخلافة من الأمويين، وتُعد موقعة مرج رهط(٦٥هـ) صراعًا بين عرب المضرية أو القيسية وبين عرب الجنوب اليمنيين، وكان لهذه الموقعة أثرها في إذكاء نار العصبية بين المضرية واليمنية في سائر البلاد

---

[١] المرجع نفسه، ص١٢٢-١٢٣.

[٢] حسين عطوان: الفرق الإسلامية، صـ٢٣٩.

العربية"[١]، في خضم هذا الصراع رأى عبد الملك بن مروان أنه ليس من مصلحة الدولة الأموية استمرار هذا الصراع في مركز الخلافة ببلاد الشام، وعبد الله بن الزبير لا يزال قابعًا في الحجاز، ورأى كذلك ضرورة أن يبذل جهده للتخفيف من حدة العصبية القبلية بين القيسية واليمنية، وإطفاء الأحقاد بينهما، فجمع حوله زعماء قيس وكلب في محاولة التوفيق بينهما، ودفع دية لمن قتل منهما، وصالح زفر بن الحارث زعيم قيس، وقرب إليه مع ابنه هزيل وكوثر، وضم القيسية إلي جيشه، وفرض لهم العطاء، وتزوج منهم ولادة بنت العباس بن حرب، وهي أم ابنيه الوليد وسليمان اللذين أصبحا خليفتين فيما بعد[٢].

وعلى الرغم من أن احتواء القبائل والتأليف بينهما كان أحد ركائز الدولة الأموية، فإن الصراع بين القبائل في نهاية عهد الدولة الأموية كان أحد الأسباب الكبرى لانهيارها فلما توفي عمر بن عبد العزيز وولي الخلافة يزيد بن عبد الملك(١٠١-١٠٥هـ) اشتعلت نيران العصبية بين عرب الشام أي بين اليمنية والمضرية، فلم يتورع هذا الخليفة عن خوض غمار الفتنة بانحيازه هذا إلى المضريين على اليمنيين، ذلك الصراع الذي انتهى بقتل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وقتل أهل بيته اليمنيين الذين كانوا غرة جبين الدولة الأموية، وقد أشعل قتل يزيد بن المهلب نار العصبية في قلوب ذلك العنصر، وأثار حقده على البيت الأموي وصار العنصر اليمني خطرًا يهدد كيان بني أمية، كذلك أثار مقتل خالد بن عبد الله القسري والي العراق في عهد هشام بن عبد الملك كراهة اليمنيين حتى لقد عد المؤرخون ذلك من أقوى الأسباب التي عجلت بسقوط الدولة الأموية "[٣].

---

[١] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام جـ٢، صـ١٣.

[٢] محمد عزب الدسوقي: القبائل العربية في بلاد الشام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص٣٧٩.

[٣] حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام جـ٢، صـ١٣.

والدولة الأموية قامت على عتبات العصبية القبلية وكذا الأفكار الدينية، ومن ثم يمكن تفسير أسباب سقوط الدولة الأموية راجع إلى "أن طبيعة المنظومة العربية الإسلامية ذات البعد القبلي العربي لا تسمح بقيام دولة تامة التمركز، وقد سقطت الدولة الأموية لاعتقاد رجالاتها بإمكان تحقيق ذلك"[(١)]، ولا شك أن هذا كله يثبت أن الطبيعة القبلية العربية لا يمكن أن تقيم دولة مركزية مستقرة، بسبب صعوبة إخضاع العرب لمفاهيم الدولة لتأصل العصبية القبلية فيهم، ولهذا ذهب ابن خلدون إلى أن "أحوال الملوك والدول قوية لا يزحزها ويهدم بناءها، إلا المطالبة القوية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر"[(٢)].

ومن الجدير بالذكر فقد تعصب بنو أمية للعنصر العربي على حساب بقية الأجناس الأخرى بل ويمكن القول بأن دولة بني أمية أو "الدولة الأموية عربية صرفه برجالها، وبكثير من أوضاعها، لم تتولَّ القيادات والنيابات فيها إلا جماعة من أبنائهم، ومن أهل البيوتات العربية المعتمد عليها عندهم، وجيوشهم كلها كانت من أصول عربية لا يمازجها غير قليل من البربر في شمال إفريقيا"[(٣)].

وإذا كانت الدولة الأموية قد ظلت تداري صراع القبائل العربية بالعطية والمال، فإنها بالمقابل كانت تشكك في إسلام الموالي والعجم، وتأخذ منهم نصف جزية باعتبار أنهم غير مكتملي الإيمان، وهذا تمييز ضد تعاليم الإسلام التي يساوي فيها بين الجميع بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم، وحين نسأل أين وضع المسلم غير العربي ؟ كان لا بد من إيجاد مكان في المجتمع الإسلامي لهؤلاء الفرس، والنبط، واليونان، والقبط، والزنج، والترك الذين اعتنقوا الإسلام "ولم يجد هؤلاء مندوحة من أن

[(١)] حسن إبراهيم: المرجع السابق، صـ١٢١.

[(٢)] ابن خلدون: المقدمة جـ٢ صـ٥٢١.

[(٣)] محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٨ جـ، ص٤١٢.

يكملوا تحولهم إلى الدين الجديد بانتسابهم إلى قبيلة عربية تستحلفهم، وتمد عليهم ظل حمايتها، ولكنها تعدهم في مقابل ذلك موالي لها"[١]، ولقد وصل الأمر إلى حد منع تقديم العجمي ليصلي بالناس صلاة الجنازة اللهم إلا إذا لم يكن في الحضور ولو صبي من العرب، وإذا أراد مسلم أن ينكح مسلمة من الموالي كان عليه أن يرجع في ذلك لا إلى والدها أو أقاربها بل إلى من تتمتع أسرتها بولايتهم من العرب[٢]، لأن العرب كانوا ينظرون إلى الموالي والعجم على أنهم طائفة مثل الرقيق لهم في حين أن دينهم الذي فتح بلادهم علمهم غير ذلك، وساوى بين الناس لكن الأمويين والعرب عاملوا الموالي والعجم بما يخالف تعاليم دينهم.

ولقد ترتب على سياسة التمييز بين العرب والأجناس الأخرى في عهد الدولة الأموية، ظهور التقادح الشعوبي بينهم، فالعرب يدعون أنهم هم الذين أخرجوا هذه الشعوب من الضلال إلى الهداية، ومن الظلمة إلى النور، في حين أن الأجناس الأخرى يتهمون العرب بأنهم أجلاف لا علم لهم، ولا حضارة ولا ثقافة ولا سياسة، ولهذا ذهب الجاحظ إلي أن "بني أمية قرنوا فسادهم بالعصبية التي هلك بها عالم بعد عالم، والحمية التي لا تبقي دينًا إلا أفسدته، ولا دنيا إلا أهلكتها، وهو ما صارت إليه العجم من مذهب الشعوبية، وما قد صار إليه الموالي من الفخر على العرب والعجم"ولقد صورت المصنفات الأدبية تلك الحالة من الخصام التي كانت بين العرب والعجم في تلك الفترة التاريخية، والتي أرسى دعائمها بنو أمية في تمييزهم للعرب على بقية المسلمين من الأجناس الأخرى.

ولم تسهم فترة حكم عمر بن عبد العزيز(١٠٩-١٠١هـ) في تقليل الفجوة بين العرب والعجم لأن أمراء الأمويين أعادوا فرض الجزية على المسلمين من الموالي

---

[١] جوستاف فون جرونيباوم: حضارة الإسلام، ترجمة: عبد العزيز توفيق، الهيئة العمة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م، صـ٢٥٥.

[٢] ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ٣، صـ٤١٣.

والعجم بعد أن ألغاها عمر بن عبد العزيز، ولقد تطلع الموالي والعجم إلى التخلص من حكم بني أمية بسبب العنف الذي ارتكبوه في حقهم، وحق العلويين، وقد استطاع العباسيون توظيف هذه الكراهية، وبدءوا في تنظيم حركات الثورة والتمرد حتى يقضوا على حكم الأمويين، وقد استغل العباسيون بُعد المسافة المكاني بين خراسان ودمشق عاصمة الخلافة، وكذا وظف العباسيون كراهية الفرس الذين اعتنقوا الإسلام حيال الامتيازات المالية وغيرها الممنوحة لأصحاب الأصول العربية "([١]) ويضاف إلى ذلك تمرد الخوارج والشيعة ضد مظالم بني أمية، وكانوا ينادون بضرورة الثورة على الحاكم إذا كان ظالمًا.

وبصفة عامة فإن ثمة علاقة متوترة بين العرب والأجناس الأخرى بسبب سياسة التمييز التي اتبعها بنو أمية متجاهلين أن السبب فيما هم فيه إنما هو الإسلام بقيمه الأخلاقية التي تستند على ضرورة العدل والمساواة بين الناس.

وإذا تم البحث في تولي الدواوين والكتابة في عهد الدولة الأموية نجد أن "سرجون رئيس دواوين معاوية كان الوكيل المالي للحكومة الرومانية في المدينة، وكان هو المسؤول عن التفاهم مع الغزاة العرب، ولم تكن الوزارة قد ظهرت حتى ذلك الوقت"([٢]) وكان يكتب لمعاوية على الرسائل عبيد بن أوس الغساني، وكان يكتب على ديوان الخراج سرجون بن منصور الرومي، وكان يكتب لعبد الملك أيضًا روح بن زنباع الجذامي، ويكنى روح: أبا زرعة، وكان عبد الملك يقول : إن روح بن زنباع شامي الطاعة، عراقي الخط، حجازي الفقه، فارسي الكتابة([٣]).

---

[١] ألبرت حوراني: تاريخ الشعوب العربية، ترجمة نبيل صلاح الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧، جـ١، صـ٧١.

[٢] ديلاسي أوليري: مسالك الثقافة الإغريقية إلي العرب، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢، صـ١٨٧.

[٣] الجهشياري: الوزراء والكتاب، ج٢، ص٢٤، ٣٥ بتصرف.

وكانت حاجة ولاة الأمر من بني أمية للموالي والعجم واضحة، وكانوا يرون ذلك واضحًا كل يوم، ففي عهد عبد الملك بن مروان فرض اللغة لعربية كلغة رسمية للدواوين، وكان ذلك يمثل انتصارًا واضحًا للغة العربية، وتحكي كتب التاريخ أن سرجون بن منصور الرومى تثاقل عن طلب للخليفة عبد الملك، فرأى منه عبد الملك تفريطًا وتقصيرًا، فقال عبد الملك لأبي ثابت سليمان بن سعد الخشبي، وكان يتقلد ديوان الرسائل : أما ترى دلال سرجون علينا ؟ وأحسب أنه قد رأى ضرورتنا إليه وإلى صناعته فما عندك حيلةٌ؟ قال : لو شئت لحولت الحساب إلى العربي، قال : فافعل، فرد إليه عبد الملك جميع دواوين الشام"[١] ويبرز الجهشياري بأن تعريب الدواوين استمر حيث قام الحجاج في سنة ثمانية وسبعين هجرية بتعريب الدواوين علي يد صالح بن عبد الرحمن[٢] وكذلك "كتب يوسف بن عمر، وكان يتقلد العراق سنة ١٢٤هـ إلى نصر بن سيار والي خراسان بألا يستعين بأحد من أهل الشرك في أعماله وكتابته، وكان أول من نقل الكتابة الفارسية إلى العربية بخراسان إسحاق بن طليق"([٣]).

وعلى الرغم من تعريب الدواوين إلى العربية فقد بقي النظام الرومي والفارسي في الديوان كما هو بطبيعة الحال، ولم تتغير إلا لغة الديوان، ولا شك أن الكُتاب الروم والفرس الذين كانوا في خدمة الدولة قد بقوا كما كانوا لأنهم كانوا يعرفون العربية، وكان صالح بن عبد الرحمن الذي قام بنقل الديوان في الكوفة هو نفسه فارسيًا من سجستان، وكان لا بد للكاتب من معرفة الفارسية والرومية لكي يستطيع النقل إلى العربية([٤]).

---

[١] المرجع السابق، صـ٤٠.

[٢] المرجع السابق، ص٣٨.

[٣] المرجع السابق، ص ٦٧.

[٤] فلهوزن: تاريخ الدولة العربية، صـ٢١٢.

ولقد أسهمت عملية التعريب في خلق جيل من الموالي والعجم يجيد لغته الأصلية ويجيد اللغة العربية ويسعون لإثبات ذاتهم في تعلم لغة العرب والعلوم الدينية، فأصبح "من شروط الاستمرار في الكتابة معرفة صنوف العلم والأدب، والتفقه في الدين، وعلم كتاب الله، والفرائض، ثم العربية فإنها ثقافة ألسنتهم، وإجادة الخط، ورواية الأشعار، ومعرفة غريبها، ومعانيها وأيام العرب والعجم، وأحاديث سيرها"([١]) ولا شك أن جيل الكُتاب الذي ظهر بعد عملية التعريب كان له الدور الأبرز في تعريب الدواوين، ولكنه من ناحية أخرى أسهم بشكل مباشر في نقل كتب مرايا الملوك، وتاريخ العجم إلى اللغة العربية، وبدءوا يروجون للتقاليد الفارسية في الحكم لامتلاكهم ناصية الترجمة من الفارسية للعربية والعكس، ولعل أبرز هؤلاء الكتاب عبد الحميد بن يحيى الكاتب، وكان يكتب لمروان بن محمد ويقول عنه ابن النديم"كان عبد الحميد بن يحيى الكاتب كاتبًا لمروان بن محمد، وكان أول معلم صبية ينتقل في البلدان، وعنه أخذ المترسلون، ولطريقته لزموا"[٢].

وقد ظهر عبد الله بن المقفع في أواخر الدولة الأموية، وكان له الفضل الأكبر في تعريف العرب بالتقاليد الساسانية في الحكم، وكانت ثقافته واسعة في الفارسية والعربية، ولكنه كان ذا منزع قومي يميل إلى الفرس وتاريخهم وآدابهم، ويقول عنه ابن النديم : "هو عبد الله ابن المقفع واسمه بالفارسية : روزبة، ويكنى قبل إسلامه: أبا عمرو، فلما أسلم اكتني بأبي محمد، والمقفع بن المبارك، وإنما تقفع لأن الحجاج بن يوسف ضربه بالبصرة في مال احتجنه من مال السلطان ضربًا مبرحًا فتقفعت يده، وأصله من حوز مدينة من كور فارس، وكان يكتب أولًا لدواوين عمر بن هبيرة، ثم كتب لعيسى بن علي كرمان، وكان في الفصاحة والبلاغة كاتبًا شاعرًا فصيحًا، وكان أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربي، مضطلعًا باللغتين فصيحًا

---

[١] الجهشياري: الوزراء والكتاب، صـ٧٥.

[٢] ابن النديم: الفهرست، جـ١، صـ١١٧

بهما، وقد نقل عدة كتب من كتب الفرس"[١]، و بالتالي فإن جيل الكتاب الذي ظهر في أواخر الدولة الأموية كان له الفضل في نقل التراث الفارسي في الإدارة والحكم إلى اللغة العربية فيقول لويس: إن الترجمة التي تمت منذ بداية القرن الثامن(الثاني الهجري) للحوليات الفارسية في الإدارة، ورسوم البلاط، وعن الرسائل اليونانية في الفلسفة السياسية كلتاهما منحت حنكة للتناول الإسلامي لهذه الأمور"[٢].

---

[١] الموضع نفسه،جـ١، صـ١١٧.

[٢] برنارد لويس: لغة السياسة في الإسلام، صـ١٧.

الخاتمة

الخاتمة

وبعد أن انتهى الباحث من خوض غمار دراسته وجب علينا أن نستعرض بعض النتائج المهمة التي توصلت إليها الدراسة، فقد كانت العلوم الدينية إحدى أهم المناحي التي اهتم بها الأمويون فظهر جليًا اهتمام الأمويين بعلوم القراءات وعلوم التفسير والحديث والفقه، لقد كانت الدولة الأموية التي تمخضت عن صراعات سياسية ومذهبية وقبلية تبحث لنفسها دائمًا عن صيغة تدعم حكمها في نفوس وقلوب رعاياها، ولما كانت العلوم الدينية هي البوابة الأهم لقلوب الناس لارتباطها بالدين ولدورها في تدعيم الدين الإسلامي في نفوس وقلوب العناصر السكانية في الدولة.

لقد قامت الدولة الأموية بحركة دعم ضخمة للعلوم الدينية سواء عن طريق دعم المؤسسات الراعية لهذه العلوم، أو عن طريق ضخ تمويل ودعم لتسهيل نقل ودراسة هذه العلوم، مما ساعد على انتشار هذه العلوم في شتى أنحاء العالم الإسلامي، أضف إلى ذلك ما أبدته السلطة الأموية من احترام بالغ وامتيازات ضخمة للفقهاء وعلماء الدين الذين أخذوا على عاتقهم مهمة نشر والقيام بأعباء هذه العلوم.

وهكذا عاشت علوم القراءات التفسير والفقه والحديث عصرًا ذهبيًّا إبان الحكم الأموي الذي وفر مناخًا مناسبًا جدًّا لرعاية هذه العلوم فضلًا عن رعاية

القائمين عليها وهو ما يقدم صورة مسكوتًا عنها لتاريخ الدولة الأموية الذي طالته أيادي التشويه والتحريف.

كما ظهر بشكل واضح أيضًا دور الموالي في هذه النهضة الفكرية وهو ما ينفي فكرة التخاصم التام بين الأمويين والموالي بل إن النصوص التي توصل إليها الباحث أثبتت أن ثمة تعاونًا قويًّا بين الأمويين والموالي في هذه النهضة التشريعية، وتحديدًا إبان خلافة الخليفة عمر بن عبد العزيز، وصارت لهم مكانة بارزة في هذا الإطار، ويرجع نبوغ الموالي في العلم إلى إنه بتوالي الفتوحات الإسلامية، دخل الموالي من أمم كثيرة في الملة الإسلامية، وصار هناك عنصران في الدولة الإسلامية، العنصر العربي والعنصر الأعجمي، وكان أكثر حملة العلم في عصر الصحابة من العرب، لأن أكثر الصحابة كانوا عربًا، وقد استكثر الصحابة من الموالي في بيوتهم وفي أعمالهم، فإذا كان الصحابي عالمًا فمواليه أعوانه وتلاميذه في العلم، ومتى كان عندهم حسن استعداد نبغوا فيه بحكم مخالطتهم لسادتهم.

وقد كانت محصلة دعم العلوم الدينية أن وجدت طبقة من الفقهاء لهم دورًا سياسيًّا وفكريًّا كبيرًا كما كان لهم الفضل في نجاح الحكام الأمويين في قيادة الدولة آنذاك، ولولا وقوف بعض الفقهاء بل أغلبهم إلى جانب الحكام، لما بقي واحد منهم يحكم الدولة الإسلامية لمدة طويلة، وإنما كان هذا النجاح الأموي بسبب فتاوى رجال الدين، وسكوتهم عن الأمور التي تحمل في طياتها الظلم والجور على المجتمع الإسلامي، حتى الذين خرجوا على الدولة الأموية لم يسلموا من لسان الفقهاء.

كما رصد الباحث أيضًا جدلية العلاقة بين علماء الدين والدولة الأموية من حيث إقرار الفقهاء بالحكم الأموي ومدى ما أسبغوه من شرعية، فضلًا عن تبني العديد من رجال الدين المواقف السياسية للخلفاء الأمويين فأدلوا بدلوهم في مختلف الأمور السياسية وشكل العديد منهم عقبة مهمة فى وجه حركة المعارضة للحكم الأموي، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تولى العديد منهم الوظائف الإدارية في الجهاز الإداري بل وفي البلاط الأموي نفسه، كما رصدت الدراسة نماذج من هذه العلاقات مثل علماء مكة والمدينة، وعلماء العراق، وعلماء الشام، وأثر هذه العلاقات في دعم الشرعية الأموية، ورغم ذلك فلم يخلُ الأمر من رجال دين شكلوا صداعًا مزمنًا في رأس السلطة الأموية فشكلوا معارضة ذات ثقل وقفت في وجه الأمويين في مقابل علماء دين آخرين دعموا السلطة وشكلوا ظهيرًا قويًّا لها.

وتوصلت الدراسة إلى نتائج مهمة تتعلق بالمؤسسات الرئيسة للعلوم الدينية في الدولة الأموية وكذا دور المسجد والكتاب والبلاط الأموي، وكيف تم توظيف المنبر في المعارضة السياسية، واتضح أن مؤسسة البلاط الأموي كانت واحدة من أهم مؤسسات دعم العلوم الدينية، ودعم العلوم الدينية هنا لا يعني فقط الدفع بكل ماهو ديني، بل وتوفير المناخ المناسب لذلك، والأدوات المناسبة لذلك، والدعم والتمويل، وفي الحقيقة فإن العلوم الدينية قد اقترنت في العصر الأموي بحركة التدوين، تلك الحركة التي نشطت حركة التدوين والتأليف كثيرًا في العصر الأموي(٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩ م)، فقد حفل عصرهم بالعديد من العلماء الذين أثروا عصرهم بالمؤلفات في مختلف المجالات تدوينًا وتأليفًا ونقلًا.

كما ازدهرت الأوقاف في العصر الأموي ازدهارًا عظيمًا، وذلك في مصر والشام وغيرهما من البلاد المفتوحة، وذلك بسبب كثرة الأموال التي تحصّل عليها

المجاهدون من الفتوحات الإسلامية، وكان من ثمار ذلك، أن اتسعت مجالات الوقف في ذلك العصر. فلم يعد الوقف قاصرًا على جهات الفقراء والمساكين فقط بل تعدى ذلك إلى بناء دور العلم والإنفاق على طلاب العلم، وإنشاء المساجد والدور الخيرية، وقد أدى إقبال الناس على الوقف والاهتمام به، إلى إنشاء هيئات تتولى الإشراف عليه، وتتولى مصالحه، وقد كانت الأوقاف في بادئ الأمر تدار من قبل الواقفين، أو ممن يوكلون إليه إدارتها والقيام بمصالحها، إلا أن كثرة الأوقاف وتنوعها، استدعى ذلك أن تقوم بعض الأجهزة بالاهتمام بالأوقاف.

لقد اكتشفت الدراسة كيف قامت السياسة بدور محوري في نشأة وتطور المذاهب الإسلامية، اعتقادًا وفقهًا، ويمكن أن نعتبر "أن معظم الفرق التي ظهرت في الإسلام يرجع أصلها في المقام الأول إلى أسباب سياسية تتصل بالسياسة، والتنازع على الحكم"وبالتالي فإن الاختلاف في العقائد النظرية نشأ في علم الكلام بكيفية عرضية نتيجة الاختلاف في الأمور السياسية، ومشكلاتها العملية فهو بالفعل موقف كلامي، ولكنه كلام في السياسة، وفي الكبائر السياسية، وفي أحيان أخرى كانت السياسة الأموية لها دورها في تصفية المعارضين لها سياسيًّا بدعوى الخوض في البدع والضلالات، فلم تزدهر حركة القدرية عند غيلان الدمشقي وأتباعه، ولم تزدهر حركة الجهمية كفرقة إسلامية تميل إلى الجبر، وتم تصفية جعد بن درهم وجهم بن صفوان ومعظم أقطاب الحركة الذين كانوا يقفون ضد الدولة الأموية، ورغم تشدد بعض سياسات الدولة الأموية فقد تميزت في بعض الأحيان بالمرونة والسماح للعلويين بالمشاركة في الحركة العلمية.

أما القضية الأبرز التي توصلت لها الدراسة فقد تمثلت في دوافع اهتمام الأمويين بدعم ورعاية العلوم الدينية، وفي الحقيقة فإن العامل السياسي كان بارزًا بوضوح في هذا السياق، فقد ولدت الدولة الأموية في ظروف صعبة،واستمرت هذه

الظروف على مدار تاريخ هذه الدولة، فصعوبات جمة اقترنت بظهور الفرق الإسلامية مثل الشيعة والخوارج والإباضية كان ذلك دافعًا أصيلًا من دوافع ضرورة إيجاد ظهير ودعم قوي ولم يكن هناك أفضل من رجال الدين المشمولين بالرعاية، وكذا أيضًا محاولة إيجاد صورة واضحة لفقيه السلطة في مواجهة الأفكار الدينية المعارضة.

وفي الحقيقة فلم يكن دعم العلوم الدينية اختيارًا أو رفاهية من السلطة الأموية، ففي بعض الأحيان كان من الضروري تجييش فقهاء ومتكلمين جاهزين للدفاع الفكري والديني في ظل عصر ماج بظهور فرق دينية معارضة، لجأ بعضها للعنف ولجأ بعضها الآخر لتكفير السلطة، وهنا تحول دعم العلوم الدينية من الوازع الديني لوازع سياسي، وخصوصًا وأن الدولة الأموية غيرت الكثير من المفاهيم السياسية، بدءًا من معاوية بن أبي سفيان الذي قام بتغيير جذري في شكل السلطة، وهنا كان لزامًا على الدولة أن تتسلح بجيش من الفقهاء والمتكلمين، كما تسلحت بجيش من المجاهدين والمقاتلين.

كان الأمويون يوظفون مفاهيم القدر والجبر في تسويغ هذا الأمر فقد روي عن معاوية أنه قال في بعض خطبه "لو لم يرني ربي أهلًا لهذا الأمر ما تركني وإياه، ولو كره الله ما نحن فيه لغيره، وهذا صريح الجبر، وكان يقول أنا عامل من عمال الله أعطي ما أعطى الله، وأمنع ما منعه الله "لقد مال الأمويون إلى مذهب الجبر وعولوا عليه لإثبات حقهم في الخلافة، وتعلقوا به لتصحيح اختيارهم لها، فقد استقروا على أن الله اختارهم للخلافة وآتاهم الملك، وأنهم يحكمون بإرادته، ويتصرفون بمشيئته، ولذا أحاطوا خلافتهم بهالة من القداسة، وأسبغوا علي أنفسهم كثيرًا من الصفات الدينية إذْ كان معاوية بن أبي سفيان في نظر الأمويين خليفة الله في الأرض.

ووظف الأمويون عقيدة القدر والجبر في تسويغ أمر ولاية العهد، وعولوا عليها في تسكين أمر المعارضة السياسية، ففي رد معاوية على المعارضين لتولي أمر يزيد الخلافة قال لهم: "إنما هو الملك يؤتيه الله من يشاء، وأن أمر يزيد قضاء من الله، وليس للعباد الخيرة من أمرهم"

هذه كانت خلاصة هذا البحث وفي النهاية فليس أنسب من كلمات الذكر الحكيم :

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الملاحق

ملحق(١)

ثبت بأسماء خلفاء بني أمية ومدد حكمهم

معاوية بن أبي سفيان ٤١- ٦٠هـ/ ٦٦١- ٦٨٠م

يزيد بن معاوية ٦٠- ٦٤هـ/ ٦٨٠- ٦٨٣م

معاوية بن يزيد ٦٤هـ/ ٦٨٣ - ٦٨٤م

مروان بن الحكم ٦٤- ٦٥هـ/ ٦٨٣- ٦٨٥م

عبد الملك بن مروان ٦٥- ٨٦هـ/ ٦٨٥- ٧٠٥م

الوليد بن عبد الملك ٨٦- ٩٦هـ/ ٧٠٥- ٧١٥م

سليمان بن عبد الملك ٩٦- ٩٩هـ/ ٧١٥- ٧١٧م

عمر بن عبد العزيز ٩٩- ١٠١هـ/ ٧١٧- ٧٢٠م

يزيد بن عبد الملك ١٠١- ١٠٥هـ/ ٧٢٠- ٧٢٤م

هشام بن عبد الملك ١٠٥- ١٢٥هـ/ ٧٢٤- ٧٤٣م

الوليد بن يزيد ١٢٥– ١٢٦هـ/ ٧٤٣– ٧٤٤م

يزيد بن الوليد ١٢٦هـ/ ٧٤٤م

إبراهيم بن الوليد ثلاثة أشهر ١٢٦هـ/ ٧٤٤م

مروان بن محمد ١٢٧– ١٣٢هـ/ ٧٤٥– ٧٥٠ م

ملحق رقم(٢)

٢١٨ / ق٠ع   قصة حدثت في مجلس الحجاج الثقفي، رواية أبي عبد الله الكرخي كتب سنة ١٠٨٥ هـ .

٥ ق   ٢١ س   ١٤×١٩سم

٤٨٦٤   نسخة حسنة، خطها معتاد

١ ـ الشعائر والتقاليد والاخلاق الاسلامية

أ ـ الراوي   ب ـ تاريخ النسخ .





فيا ويلتا قد ضاع في الجهل عمرنا   وليس لنا شيء من الدين حاصلا
الفيت ما في التحصيل قد مات راضيا   ومن ملّ في التعطيل قد مات جاهلا

جاءت سليمان هامة فقالت السلام عليكم يا نبي الله قال سليمان عليك السلام يا هامة اخبريني انت لم لا تاكل
الزرع قالت يا سليمان ان آدم عصى ربه بسبب ذلك فمن اجل ذلك لا اكل الزرع فقال سليمان يا هامة كيف
لم تشربي الما قالت يا سليمان ان الله تعالى اغرق قوم نوح بالما ومن اجل ذلك تركت شرب الما قال سليمان يا هامة
كيف تركت العمارة وسكنت الخراب قالت يا سليمان كل عمارة تصير خرابا فمن اجل ذلك تركت العمارة واخترت
الخراب قال سليمان يا هامة فما صياحك اذا جلست في الخراب قالت يا سليمان اقول يا ويلتا لابن ادم
كيف ينام شديدا قال سليمان يا هامة ما تقولي اذا مررت على بيوت الناس قالت يا سليمان اقول
اين الذين يرعون ويفخرون بنعمهم واموالهم وهم اليوم مغبونون وناعمون في قبورهم قال سليمان
يا هامة فما صياحك اذا جلست على بيوت الناس قالت يا سليمان اقول تزودوا فان خير الزاد التقوى
[illegible] لبعد سفركم قال سليمان يا هامة كيف لا تخرج بالنهار قالت يا سليمان من كثرة ظلم ابن آدم
على نفسه من ذلك لا اخرج بالنهار قال سليمان لم يرمون الخلايق بالعصيان على خلقك قالت يا سليمان
فانا ناصح لهم فهم يحبون لا يحبون الناصح قال سليمان سبحان من خلق النور والطيور يا ابن آدم خذوا
منها هذه النصيحة وترحموا عليها واتركوا اذاها ليس طيرا افضل عند الله من البومة انتهى
خلق الانسان من اربعة عشر شيئا اربعة من الاب واربعة من الام وستة من خزاين الله تعالى
اما الاربعة التي من الاب [illegible] والعظم والعصب والعروق واما الاربعة التي من
اللحم والشحم والشعر والدم واما الستة التي من خزاين الله تعالى السمع والبصر والشم
والذوق واللمس والروح نقل من المشارق هذه الاوراد الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى
ارسلها بالتحفة الى السلطان غياث الدين قال [illegible] واضرب على هذه الاوراد باخلاص فما شديدا [illegible] من
خواص كفارة الخطايا ورفع الدرجات وقضاء الحاجات وتحصيل مقاصد الدنيا والاخرة دعا يوم السبت
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين يوم الاحد مائة مرة لا اله الا الله الملك الحق المبين
[illegible] مائة مرة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم تسليما كثيرا يوم الثلثا مائة مرة [illegible]
يوم الاربعا مائة مرة سبحان الاول المبدئ سبحان المبدئ الاول سبحان من لم يبق قبل ان يبقى
[illegible] الاعلى سبحانه وتعالى يوم الخميس مائة مرة لا اله الا الله خالق كل شيء وهو على كل شيء [illegible]
يوم الجمعة مائة مرة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
تمت بعون الله تعالى [illegible] ان [illegible] امتثالا للامر [illegible]

دخلت الدار سكرانا فصاح الكلب غوغوا
رايت الوجه ديباجا على الديباج نو نوا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابو عبد الله الكرخي حضرت ذات يوم مجلس الحجاج يوسف الثقفي والناس حوله مجتمعون وهو فيهم كالاسد الضاري واذ قد دخل اليه شاب صغير لانبات بعارضيه قد غير الدهر بشيرته وبدل الفقر صورته فسلم وترحم فقال له الحجاج من اين انت يا صبي قال انا من مدينة مصر قال انت من مدينة الفاسقين قال ولم ذلك قال لان ترابها ذهب ونساؤها لعب ونيلها عجب واهلها لا حضر ولا عرب وهي لمن غلب قال ما انا منهم قال فمن اين انت يا صبي قال انا من الشام قال انت من انجس مكان واضعف ابدان قال ولم ذلك قال لانهم قوم حيارى لا يهود ولا نصارى قال ما انا منهم قال فمن اين انت يا صبي قال انا من خراسان قال انت من اغلظ مكان واضعف ابدان قال ولم ذلك قال لانهم غنم اي ضد الفصيح اغانم وعجم اعاجم كلامهم ثقيل وغنيهم بخيل لا يعرفون الكرم ولا يحمد لهم شيم قال ما انا منهم قال فمن اين انت يا صبي قال انا من الموصل قال انت من الاشرار اللوطة الفجر قال ولم ذلك قال لانهم زغل الدبار وزغل الامصار صبيتهم عيار وشيخهم عقله عقل حمار قال ما انا منهم قال فمن اين انت يا صبي قال انا من اليمن قال انت من بلد غير مليح قال ولم ذلك قال لان اجلهم يستعمل المرد والخنسم راع جمل او سايس قرد او حائك برد قال ما انا منهم قال فمن اين انت يا صبي قال انا من مكة قال انت من بلد الجهل ومعدن اللوم وقلة العقل قال ولم ذلك قال لان الله تعالى بعث فيهم نبيا كريما فكذبوه فخرج من بينهم الى قوم احبوه ونصروه قال ما انا منهم قال فمن اين انت يا صبي قال والى من تسالني قال قد اكثرت من هزلك وقلبي يحدثني اليوم بقتلك فقال الشاب لو علمت انك قاتلي ما عبدت سواك فقال الحجاج ويلك ومن يمنعني من ذلك فقال الصبي لك الويل يا كيل يمنعك من قتلي الذي يحول بين المرء وقلبه وهو لا يخلف

الميعاد

ومن ضاع شيا بين الجماعة ولم يعلم من اخذ منهم فليكتب هذه الاية على الخبز من الشعير واطعمه ياكلهم فان السارق لم يبتلع ببركة هذه الاية الكريمة بسم الله الرحمن الرحيم طعاما ذا غصة وعذابا اليما يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل باب ومن ورائه شد عذاب غليظ اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع

الميعاد فقال الحجاج هو الذي يعينني على قتلك فقال الصبي حاشا الله ان يعينك على قتلي وانما يعوليك الشيطان وانا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال الحجاج لم اقتلك الا بحجة احتج بها عليك من كلامك قال وما هي قال اخبرني من اين انت قال من طيبة قال وما طيبة قال مدينة يثرب بها النبي عليه السلام معدن التأويل والتحريم والتحليل والانساب والاجداد والاباء وانا من نسل بني غالب من سلالة الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال فاغتاظ الحجاج من كلامه وامر بقتله فقامت اليه وجوه دولته واكابر مملكته وقالوا ايها الامير سالناك بالله الا ما عفوت عن هذا الشاب فقال الحجاج لا تطيلوا فلا بد من قتله ولو نادا ملك من السماء بان لا تقتله قتلته فقال الصبي تخسا يا حجاج ومن انت حتى يناديك ملك من السماء فقال الحجاج لم اقتلك الا بحجة احتج بها عليك قال وما هي قال اخبرني ما الذي يجب عليك في كل يوم وليلة قال خمس صلوات قال وفي كل عام قال صيام شهر رمضان قال وفي عمرك قال الحج الى بيت الله الحرام قال الحجاج اخبرني ما الذي يقرب العبد الى الله تعالى قال الصلوة والصيام والحج فقال الحجاج انا نتقرب الى الله تعالى بدم رجل يقول ان الحسن والحسين اولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله تعالى يقول في كتابه العزيز ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما فقال الصبي اسمع يا حجاج قال الله تعالى وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فقال الحجاج صدقت يا صبي قال فاخبرني عن افضل العرب قال قريش قال ولم ذلك قال لان محمد صلى الله عليه وسلم منهم قال فمن انجب العرب قال بنو هاشم قال ولم ذلك قال لان علي بن ابي طالب رضي الله عنه منهم قال فمن اكرم العرب قال بني طي قال ولم ذلك قال لان حاتم منهم قال فمن ابخل العرب واقدرها واقلها خيرا قال بني ثقيف قال ولم ذلك قال لانك منهم يا حجاج منهم

قال فاغتاظ الحجاج من كلامه وامر بقتله فقامت اليه وجوه مملكته والاكابر ولثم
وقالوا هذه اعناقنا دون راس الشاب ونسالك بالله ان تعفو عنه فانه لا يستحق القتل
لانه كانه تعقلعنه ثم قال له من اين منشاك قال بين السماء والارض قال الحجاج فاخبرني
عن الجدي الذي في السماء هل هو ذكر ام انثى قال يا حجاج اكشف لي عن ذنبه حتى اقول
لك ما هو فضحك الحجاج ثم قال له الحجاج اخبرني فما ترى قرون الجمال قال في ورق
الحجارة فقال الحجاج يا بعيد الذهن وهل للحجارة ورق فقال الصبي يا ابلم وهل
للجمال قرون فقال الحجاج اخبرني من اين انت يا صبي قال من ابي وامي قال فمن
اين اتيت قال من ورائك قال والى اين قاصد قال امامي قال وعلى اي شي جيت
قال على الارض فقال الحجاج كانك يا صبي عاشق قال نعم وانا في العشق غارق قال
الحجاج ولمن تعشق يا صبي قال اعشق ربي الذي ارجوه ان يفرج كربي ويخلصني
اليوم منك فقال الحجاج وانت تعرف ربك قال نعم قال بماذا اعرفته قال بكتابه
المنزل على قلب نبيه المرسل قال وانت تحفظ القرآن قال والقرآن هارب مني
حتى احفظه قال فاستحكمته قال قد انزل الله كتابا محكما قال فاستظهرته قال
حاشا الله ان انبذه وراء ظهري قال فكيف اقول قال قل هل قراته وعلمت ما فيه قال
نعم قراته وعلمت ما فيه قال فان كنت قراته وعلمت ما فيه فاخبرني عن اي آية فيه
اعظم واي آية فيه احكم واي آية فيه اعدل واي آية فيه اخوف واي آية فيه
ارجا واي آية فيه عشر آيات بينات واي آية صدقوا فيها اليهود والنصارى
واي آية كذبوا فيها الانبياء واي آية قالها الله تعالى لنفسه خالصا واي آية
قالوها الملايكة واي آية فيها قول الانبياء واي آية فيها قول اهل الجنة واي آية فيها
قول اهل النار واي آية فيها قول ابليس لعنه الله فقال الصبي اسمع يا حجاج الجواب
بعون الملك الوهاب اما اعظم آية في القرآن فهي آية الكرسي واما احكم آية فهي قوله تعالى

ان الله

ليس للمال ثبات

كانت اخت احمد بن طولون صاحب مصر كثيرة السرف في انفاق المال حتى انه زوجت بعض لعبها فانفقت على وليمة عرسها الف دينار فما مضى الا قليل حتى رؤيت في سوق من اسواق بغداد تتكفف الناس من لطايف المعارف

الا يا دار لا يا وبك حزن ولا يردى بصاحبك زمان

ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية واما اعدل آية فهي قوله تعالى فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره واما اخوف آية فهي قوله تعالى ايطمع كل امرء
منهم ان يدخل جنة نعيم واما ارجى آية فهي قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله الآية واما الآية التي فيها عشر آيات بينات فهي قوله تعالى
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع
الناس الآية واما الآية التي صدقوا فيها اليهود والنصارى فهي قوله تعالى وقالت اليهود
ليست النصارى على شي وقالت النصارى ليست اليهود على شي فصدقوا جميعا
فليس هم على شي واما الآية التي كذبوا فيها الانبياء فهي قوله تعالى وجاؤ على قميصه
بدم كذب فهم الاسباط اخوة يوسف الصديق عليه السلام واما الآية التي قالها
الله تعالى خالصا لنفسه فهي قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
واما الآية التي فيها قول الملايكة فهي قوله تعالى قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا
انك انت العليم الحكيم واما الآية التي فيها قول الانبياء فهي قوله تعالى وما كان
لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المومنون واما الآية التي
فيها قول اهل الجنة فهي قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا
لغفور شكور واما الآية التي فيها قول اهل النار فهي قوله تعالى ربنا اخرجنا
منها فان عدنا فانا ظالمون واما الآية التي فيها قول ابليس لعنه الله فهو قوله قال
فبعزتك لاغوينهم اجمعين الآية فقال الحجاج سبحان الله وبحمده ما رايت صبيا
على صغر سنه اعطاه الله العلم والعقل والمعرفة وسرعة الجواب الا انت فقال
الصبي يا حجاج لا تعجب من ذلك فاني من اهله بعون الله وقدرته فقال الحجاج اخبرني
عن موضع العقل منك قال في الدماغ قال فاين موضع الحياء منك قال في الوجه قال
فاين موضع الحشمة منك قال في العين قال فاين موضع السمع منك قال في الاذنين



قال فأين موضع الشم منك قال في الأنف قال فأين موضع الذوق منك قال في اللسان
قال فأين موضع الحلاوة منك قال في الحلقوم قال فأين موضع الفرح منك قال في القلب قال
فأين موضع الريح منك قال في الرية قال فأين موضع الغضب منك قال في المرارة قال فأين
موضع الضحك منك قال في الطحال قال فأين موضع الرحمة منك قال في الكبد قال فأين
موضع اللهو منك قال في النفس قال فأين موضع القوة منك قال في الكتفين قال
فأين موضع الضعف منك قال في الساقين والقدمين فقال الحجاج احسنت
واجلت يا صبي قال فأخبرني عن ابن آدم ماذا ينفعه وما يضره قال من اراد البقاء
ولا بقاء الا الله تعالى فليباكر بالغداة ولا يتمشى في العشا ويخفف في الصيف
الردا ويثقل في الشتا ويحفظ الرأس وما حوى والجوف وما وعى ومن ابتدا
في اكله بالملح فانه يصرف عنه احد وسبعين نوعا من البلاء ومن افطر كل يوم على
سبع زبيبات حمر لم ير ما يضره في بدنه ومن افطر كل يوم على سبع تمرات
قتلت كل دودة في بطنه ومن افطر كل يوم على الشعير بالزبيب الاسود فانه
يمنع البخار ان يصعد الى عينيه ولا تكثر من اكل القديد فانه يضعف الحيل ويقل
المجامعة ولا تأكل لحم البقر فانه داء ولبنها دواء وسمنها شفاء وجلدها حداد
واكل اللحم ينبت اللحم والثريد اكل قريش ولا تجامع عجوز فانها تأخذ منك
ولا تعطيك ولا تجامع تحت شجرة مثمرة ولا تنكح في الحمام فانه يورث الارتعاش
ولا تطيل النظر الى جاما الحمام فانه يضعف البصر والتختم بالعقيق امان
من الفقر ولا تأكل وانت جنب فانه يورث النسيان ولا تكنس البيت
بخرقة فانه يورث الفقر ولا تخلل اسنانك بعود القصب فانه سم ولا بعود
الريحان فانه يورث الحمرة في الاسنان ولا بعود الطرفا فانه يورث اليرقان ولا بعود
الآس فانه يورث النتن في الفم والنظر الى الماء الجاري يجلي البصر والنظر الى [illegible]

العالم

للعالم يرث البركة والنظر الى وجه الوالدين يزيد في العمر والترداد في المصحف يزيد في الرزق
والنظر الى الوجه المليح عبادة وعليك بالمرهم الاكبر وهي الكسرة اليابسة على
الريق فانها تلف ما على وجه المعدة من البلغم وعليك بالقيء في الحمام واياك
وشرب الماء على الريق فانه يضعف القلب ولا تنكح على الريق فانه يقل القوة
واذا ضللت في طريق فاقرأ سورة تبارك واذا عطشت فاقرأ سورة يس
فانك تروى باذن الله تعالى فقال الحجاج احسنت واجلت يا صبي قال فهل عندك
علم بالزرع قال نعم اجوده ما التفت سنبلته وغلظت قصبته وجمعت
حبته قال فهل عندك شيء في معرفة الكرم قال اجوده ما غلظ عوده وكبر عنقوده
قال فما تقول في النخل قال اجوده ما غلظ خباه ودنا ارتقاه وصغر في لحمه نواه
واحذن حلاوته باللهاه قال فما تقول في السماء قال هي مد البصر ومسكن النجوم
والشمس والقمر قائمة بغير عمد مظلة لمن تحتها من العباد قال فما تقول في الارض
قال واسعة الطول والعرض قال فما تقول في المطر قال اجوده ما ملا الابار
وفاض على الاودية والانهار فقال الحجاج احسنت واجلت يا صبي قال
فأخبرني عن النساء اهن اجمل قال ذات الدلال الكامل والجمال الفائق التي
صغر ثديها واحمر خدها واسود شعرها ورق خصرها وارتج ردفها وثقل
كتفها وغزلت عيناها وتكلمت شفتاها التي ليس لها في الجمال نظير
ولا في البهجة خطير قرة عين الصغير والكبير كما قال فيها الشاعر حيث يقول
ولو انها للمشركين تعرضت لاتخذوها دون اصنامهم ربا ولو انها في الغرب
لله والراهب لخلا سبيل الشرق واتبع الغربا فقال الحجاج احسنت واجلت
يا صبي قال فما تقول في جارية سنها عشرين قال نزهة للناظرين قال
فابنت الثلاثين قال لذة للمستمتعين قال فابنت الاربعين قال ذات لحم
وشحم قال فابنت الخمسين قال ذات بنات وبنين قال فابنت الستين قال



انها للسائلين قال فابنت السبعين قال عجوز في الغابرين قال فابنت الثمانين قال
ليس تصلح لدنيا ولا لدين قال فابنت التسعين قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
قال فابنت المائة قال لا تسأل عن اصحاب الجحيم قال فضحك الحجاج حتى استلقى
على قفاه ثم قال يا صبي اريد ان تصفهن لي نظما كما وصفتهن نثرا قال حبا وكرامة
وانشد يقول متى تلق بنت العشر بين بان ثديها كلؤلؤ الغواص
يهتز جيدها واما ابنت العشرين لا شيء مثلها فتلك التي تقوى بها وتزيدها
وبنت الثلاثين الشفا في حديثها هي العيش لم تهرم ولم يجف عودها وان تلق بنت
الاربعين فغبطة خيار النساء طوبا لمن يستفيدها واما ابنت الخمسين لله درها
بعقل وتدبير تزين وليدها واما ابنت الستين قد رق جلدها وفيها بقايا والحريص
مريدها واما ابنت السبعين يرعش راسها من الليل قليلا رقودها واما ابنت
الثمانين التي قد تضعضعت من الكبر المفني وقل مريدها واما ابنت التسعين لا در
لا درها فقد خلعت عمرا وقل وريدها وان نادت العشر اللواتي فلينها تغرق
في بحر وحوت يقودها فقال الحجاج احسنت واجملت يا صبي قال فاخبرني عن
من اول نطق بالشعر قال آدم عليه السلام حين قتل قابيل اخاه هابيل فبكا ادم
بكاء شديدا وانشد يقول تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر
قبيح تبدل كل ذي طعم ولون وقل بشاشة الوجه المليح بكت عيني فحق
لها بكاها ودمع العين منهمل سفوح قتل قابيل هابيلا اخاه فوا اسفي على الوجه المليح
فقال الحجاج احسنت واجملت يا صبي قال فاخبرني عن اجود شعر نطقوا به
العرب في الكرم قال حاتم طي حيث قال واكرم الضيف حتى حين يطرقني
قبل العيال على عسر وارسال واما قول ربيعة مكرم فانه قال يا واقد النار ليل
قرت وملهب الجمر ريح صرى ارفع سنا النار لمن يمري فان جلبت الضيف انت حر
فقال الحجاج حسبك يا شاب فقد عرفت نباهتك وحسن جدك والله لا جلستك

تم النقت

ثم التفت الى بعض خواصه وقال ائتني ببدرة ذهب عشرة الاف دينار وبدلة
من خواص ملبوسي وجارية من خواص جواري ومن اجود مركوبي وسيف محلى فغاب
فغاب ساعة واتى بجميع ذلك فقال الحجاج يا شاب مهما شئت فخذه لك من هؤلاء
قال وكانت الجارية قريبة من الصبي فغمزته بعينيها ان ياخذها ويترك جميع ما حقق
به الحجاج فضحك الشاب وانشد يقول يحجمه اللجام براس حمر احب
الي مما تغمزيني اخاف اذا وقعت على فراشي وطالت علي ما ترحني اخاف
انها وقعت في مضيق وجد النيران لا تصحبيني اريد قرينة تفعل كفعلي وتصبر
عند غصات السنين قال فاجابت الجارية على شعره بهذه الابيات
معاذ الله افعل ما تقل لي ولو قطعت شمالي مع يميني واكتم سر حبي في ضميري
واقنع بالقليل وما يجيني اذا عاشرتني وعرفت قدري ستعلم انني خير القرين
فقال الحجاج يا ملعونة تجاوبينه بالاشعار وتغمزينه بعينيك ولكن يا شاب
امرتك ان تاخذ الجميع وتخرج من وجهي فلا جعل الله لك فيهم بركة فقال
الصبي تبلت منك يا حجاج لا اخلف الله عليك ولا يجمع بيني وبينك مرة
اخرى قال وكان في قصر الحجاج بابين احدهما مهلك والاخر باب سلامة
فقال الصبي من اين اخرج يا حجاج قال من باب السلامة فخرج الى حال سبيله
بجميع ما معه فقالوا له الحاضرون كيف دليته على باب السلامة قال لانه
استشارني والمستشار امين لا يكون خوانا والخاين لعنة الله عليه فلهذا
لا يجوز عليه اللعنة لعلمه ولا يجوز عليه الرحمة لظلمه فهو موقوف وهذا
ما انتهى الينا من قصته والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم
تمت القصة المباركة وحسبنا الله ونعم الوكيل
يقول الله تعالى ولا حول ولا قوة الا بالله
يا بني آدم لا تلعنوا المخلوقين العلي العظيم
فترد اللعنة عليكم
[حد]يث القدسي

تم

الكراهة نوعان كراهة التنزيه وكراهة التحريم كراهة التنزيه وهو ما كان تركه اولى انه لم يكن فعله قبيحا وكراهة التحريم وهو ما يجب تركه ولا يجوز فعله ع

٦

في بيان احكام الجان

قل من تعرض لها وقد الف فيها من اصحابنا القاضي بدر الدين الشبلي كتابا سماه آكام المرجان في احكام الجان لكني لم اطلع عليه الآن وما ننقله عنه فانما هو بواسطة نقل السيوطي ولا خلاف في انهم مكلفون مؤمنهم في الجنة وكافرهم في النار وانما اختلفوا في ثواب الطائعين ففي البزازية معزيا الى الاجناس عن الامام ليس للجن ثواب وفي التفاسير توقف الامام في ثواب الجن لانه جاء في القران فيهم يغفر لكم ذنوبكم والمغفرة لا تستلزم الاثابة لانه ستر ومنه المغفر للبيضة والاثابة بالوعد فضل قالت المعتزلة اوعد ظالمهم فيستحق الثواب صالحهم قال الله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا قلنا الثواب فضل من الله تعالى لا بالاستحقاق قيل قوله تعالى فباي آلاء ربكما تكذبان بعد عد نعم الجنة خطابا للثقلين يرد ما ذكرت قلنا ذكر ان المراد بالتوقف التوقف في المأكل والمشرب والملاذ لا الدخول فيها كدخول الملائكة للسلام والزيارة والخدمة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم الآية انتهى فمنها النكاح قال في السراجية لا تجوز المناكحة بين بني آدم والجن وانسان الماء لاختلاف الجنس انتهى وتبعه في منية المفتي والفيض وفي القنية سئل الحسن البصري عن التزوج بجنية فقال يجوز بشهود رجلين ثم رقم لآخر لا يجوز ثم رقم لآخر يصفع السائل لحماقته انتهى وفي يتيمة الدهر في فتاوى اهل العصر سئل علي بن احمد عن التزوج بامرأة مسلمة من الجن هل يجوز اذا تصور ذلك ام يختص الجواز بالآدميين فقال يصفع هذا السائل لحماقته وجهله قلت وهذا لا يدل على حماقة السائل وان كان لا يتصور الا ترى ان ابا الليث ذكر في فتاواه انه لو قال ... من الاشياء هل يرمى فقال ... الجني ولا يتصور ذلك بعد رسولنا ولكن اجابه على تقدير التصور كذا هذا وممن سئل عنها ابو حامد فقال لا يجوز انتهى وقد استدل بعضهم على تحريم نكاح الجنيات بقوله تعالى والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم ونوعكم وعلى خلقكم كما قال الله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم اي من الآدميين انتهى وبعضهم بما رواه حرب الكرماني في مسائله عن احمد واسحاق قال حدثنا محمد بن يحيى القطيعي حدثنا بشر بن عمر بن لهيعة عن يونس بن يزيد عن الزهري قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكاح الجن وهو وان كان مرسلا فقد اعتضد باقوال العلماء فروي المنع عن الحسن البصري وقتادة والحكم بن عتيبة واسحاق بن راهويه وفي القنية الاصح ... اذا تقرر المنع من نكاح الانسي الجنية فالمنع من نكاح الجني الانسية

ثم الفقه

ملحق رقم(٣)

رسالة عبد الحميد الكاتب للكتاب

أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وأحاطكم ووفقكم وأرشدكم فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعد الملوك المكرمين أصنافًا وإن كانوا في الحقيقة سواء وصرفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات إلى أسباب معاشهم وأبواب أرزاقهم فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات أهل الأدب والمروءات والعلم والرزانة بكم ينتظم للخلافة محاسنها وتستقيم أمورها وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم.

وتعمر بلدانهم لا يستغني الملك عنكم ولا يوجد كافٍ إلا منكم فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التي بها يسمعون وأبصارهم التي بها يبصرون وألسنتهم التي بها ينطقون وأيديهم التي بها يبطشون فأمتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم وليس أحد من أهل الصناعات كلها أحوج إلى اجتماع خلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيها الكتاب إذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم فإن الكاتب يحتاج في نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات أموره أن يكون حليما في موضع الحلم فهيما في موضع الحكم مقدامًا في موضع الإقدام محجمًا في موضع الإحجام مؤثرًا للعفاف والعدل والإنصاف كتومًا للأسرار وفيًّا

عند الشدائد عالمًا بما يأتي من النوازل يضع الأمور مواضعها والطوارق في أماكنها قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه وإن لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفي به يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعد لكل أمر عدته وعتاده ويهيىء لكل وجه هيئته وعادته فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين وابَدءُوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فإنها ثقاف ألسنتكم ثم أجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم ولا تضيعوا النظر في الحساب فإنه قوام كتاب الخراج وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها ودنيها وسفساف الأمور ومحاقرها فإنها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهوا صناعتكم عن الدناءة واربئوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه أهل الجهالات وإياكم والكبر والسخف والعظمة فإنها عداوة مجتلبة من غير إحنة وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو أليق لأهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم وإن نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وآسوه حتى يرجع إليه حاله ويثوب إليه أمره وإن أقعد أحدا منكم الكبر عن مقعد به لقاء إخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه أحوط منه على ولده وأخيه فإن عرضت في الشغل محمدة فلا يصفها إلا إلى صاحبه وإن عرضت مذمة

فليحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فإن العيب إليكم معشر الكتاب أسرع منه إلى القراء وهو لكم أفسد منه لهم فقد علمتم أن الرجل منكم إذا صحبه من يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله وخيره ونصيحته وكتمان سره وتدبير أمره ما هو جزاء لحقه ويصدق ذلك بفعاله عند الحاجة إليه والاضطرار إلى ما لديه فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم في حالة الرخاء والشدة والحرمان والمؤاساة والإحسان والسراء والضراء فنعمت السيمة هذه من وسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة وإذا ولي الرجل منكم أوصير إليه من أمر خلق الله وعياله أمر فليراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقًا وللمظلوم منصفًا فإن الخلق عيال الله وأحبهم إليه أرفقهم بعياله ثم ليكن بالعدل حاكما وللأشراف مكرمًا وللفيء موفرًا وللبلاد عامرًا وللرعية متألفًا وعن أذاهم متخلفًا وليكن في مجلسه متواضعًا حليمًا وفي سجلات خراجه واستقصاء حقوقه رفيقًا وإذا صحب أحدكم رجلًا فليختبر خلائقه فإذا عرف حسنها وقبحها أعانه على ما يوافقه من الحسن واحتال على صرفه عما يهواه من القبح بألطف حيلة وأجمل وسيلة وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيرًا بسياستها التمس معرفة أخلاقها فإن كانت رموحًا لم يهجها إذا ركبها وإن كانت شبوبًا أتقاها من بين يديها وإن خاف منها شرودًا توقاها من ناحية رأسها وإن كانت حروفًا قمع برفق هواها في طرقها فإن استمرت عطفها يسيرًا فيسلس له قيادها وفي هذا الوصف من السياسة

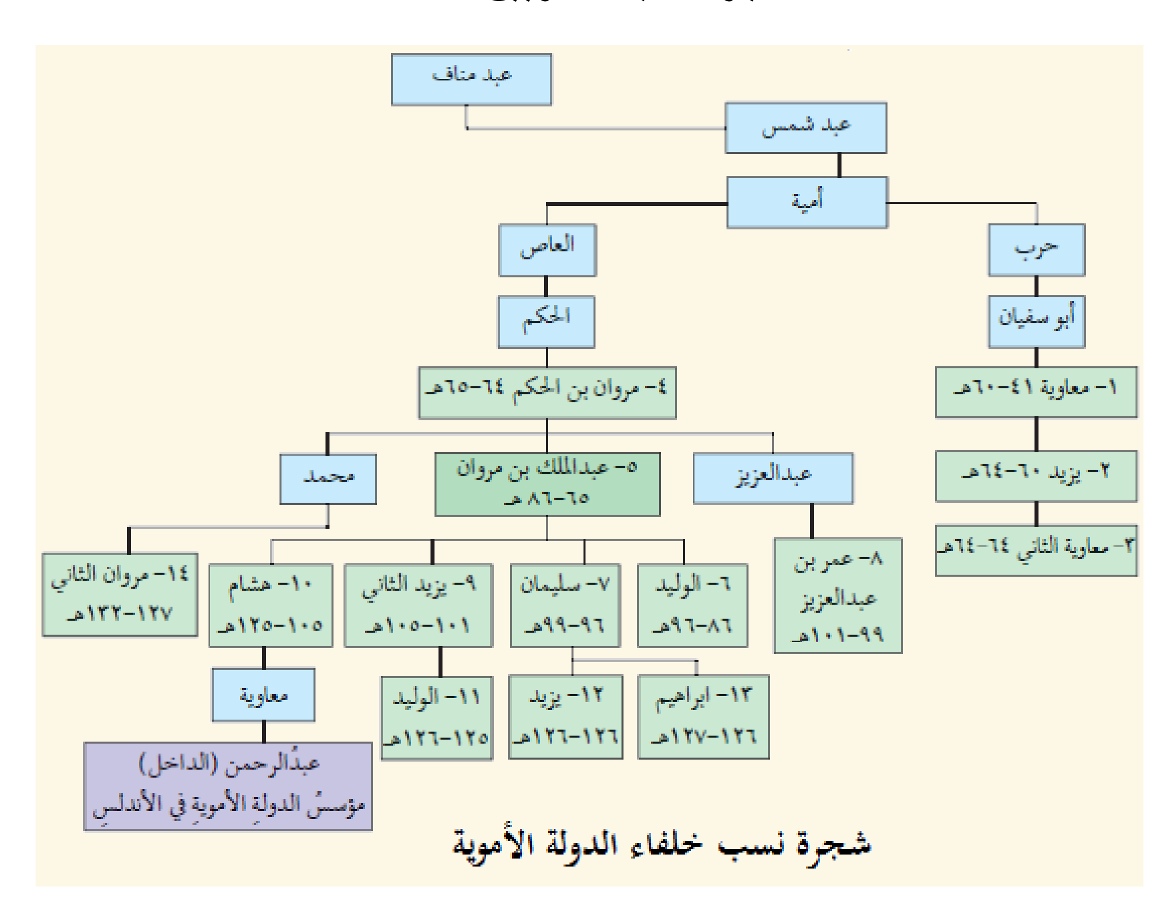
دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجربهم وداخلهم والكاتب بفضل أدبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوره من الناس ويناظره ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تحير جوابًا ولا تعرف صوابًا ولا تفهم خطابًا إلا بقدر ما يصيرها إليه صاحبها الراكب عليها ألا فارفقوا رحمكم الله في النظر واعملوا ما أمكنكم فيه من الرواية والفكر تأمنوا بإذن الله ممن صحبتموه النبوة والاستثقال والجفوة ويصير منكم إلى الموافقة وتصيروا منه إلى المؤاخاة والشفقة إن شاء الله ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وبنائه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه فإنكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير واستعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فإنهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان أهلهما وسيما الكتاب وأرباب الآداب وللأمور أشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتنف أعمالكم بما سبقت إليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة وأصدقها حجة وأحمدها عاقبة واعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن إنفاذ علمه ورويته فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه وليوجز في ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حججه فإن ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للتشاغل عن إكثاره

وليضرع إلى الله في صلة توفيقه وإمداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضر ببدنه وعقله وأدبه فإنه إن ظن منكم ظان أو قال قائل إن الذي برز من جميل صنعته وقوة حركته إنما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بظنه أو مقالته إلى أن يكله الله عز وجل إلى نفسه فيصير منها إلى غير كاف وذلك على من تأمله غير خاف ولا يقل أحد منكم إنه أبصر بالأمور وأحمل لعبء التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته فإن أعقل الرجلين عند ذوي الألباب من رمى بالعجب وراء ظهره ورأى أن أصحابه أعقل منه وأحمد في طريقته وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكاثر على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيره وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره وتتمته به تولانا الله وإياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده فإن ذلك إليه وبيده

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ملحق رقم(٤)

شجرة نسب الأمويين



شجرة نسب خلفاء الدولة الأموية

ملحق رقم(٥)

الدولة الأموية في أقصى اتساعها



ملحق رقم(٦)

رسالة الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز في صفة الإمام العادل

اعلم يا أمير المؤمنين، أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق بها، الذي يرتاد لها أطيب المراعي، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنها من أذى الحر والقرّ. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغارًا، ويعلمهم كبارًا، يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته.

كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة إلى الحسن بن أبي الحسن البصري أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل، فكتب إليه الحسن رحمه الله: "اعلم يا أمير المؤمنين، أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق بها، الذي يرتاد لها أطيب المراعي، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنها من أذى الحر والقرّ. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغارًا، ويعلمهم كبارًا، يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته.

والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها، حملته كرهًا، ووضعته كرهًا، وربته طفلًا تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارة وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتمّ بشكايته، والإمام العدل يا أمير المؤمنين وصي اليتامى، وخازن المساكين، يربي صغيرهم، ويمون كبيرهم. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح، تصلح الجوارح بصلاحه، وتفسد بفساده.

والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم. فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملّكك الله عز وجل كعبد ائتمنه سيده، واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال وشرد العيال، فأفقر أهله وفرق ماله.

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش، فكيف إذا أتاها من يليها! وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم! واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلة أشياعك عنده، وأنصارك عليه، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر.

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه، يطول فيه ثواؤك، ويفارقك أحباؤك، يسلمونك في قعره فريدًا وحيدًا. فتزود له ما يصحبك {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ}

[عبس:٣٤-٣٦] واذكر يا أمير المؤمنين {أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ. وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ} [العاديات:٩-١٠]، فالأسرار ظاهرة، والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مهل قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل.

لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين، فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمة، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك. ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك. ولا تنظر إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غدًا وأنت مأسور في حبائل الموت، وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة النبيين والمرسلين، وقد عنت الوجوه للحي القيوم.

إني يا أمير المؤمنين، وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النهى من قبلي، فلم آلك شفقة ونصحًا، فأنزل كتابي إليك كمداوي حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة. والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر المطبوعة

ابن الأثير، "أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني"، ت(٦٣٠هـ/ ١٢٣٢ م)

- الكامل في التاريخ، تصحيح د/ محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية بيروت، سنوات الطباعة ١٩٨٧، ٢٠٠٢، ٢٠٠٣.

الأصفهاني، "أبو الفرج"ت(٣٥٦هـ/ ٩٦٦ م)

- الأغاني، تصحيح: أحمد الشنقيطي، مطبعة التقدم بشارع محمد علي، قوبل على نسخة قديمة بالكتبخانة الخديوية، د. ت.
- مقاتل الطالبيين، تحقيق: السيد أحمد صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

البغدادي، "أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد" ت(٤٢٩هـ/ ١٠٣٧ م)

- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، مصر، د.ت.

ابن تغري بردي، "جمال الدين أبو المحاسن يوسف "ت(٨٧٤هـ/ ١٤٦٩ م)

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨، مصورة عن الطبعة البولاقية الأولى.

التميمي، "أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم" ت(٣٣٣هـ/ ٩٤٤ م)

- كتاب المحن، تحقيق: د/ يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣.

ابن الجوزي، "أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي"ت(٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

ابن حبان، "محمد بن حبان بن أحمد"ت(٥٣٤هـ/ ١١٣٩ م)

- مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: فلايشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩م.

ابن الخطيب، "الوزير أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد"ت(٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)

- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

ابن خلدون، "عبد الرحمن بن محمد"ت(٨٠٦هـ/ ١٤٠٦م)

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧، مصدرة عن طبعة بولاق الأولى.

ابن خلكان، "أبو العباسي شمس الدين أحمد بن محمد"ت(٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء أهل هذا الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، ١٩٦٨م.

ابن خياط، "خليفة بن خياط"ت(٢٤٠هـ/ ٨٥٤ م)

- تاريخ خليفة بن خياط، دار طيبة للنشر، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٨٥.

الدينوري،"أبو حنيفة أحمد بن داود" ت(٢٨٢هـ/ ٨٩٥ م)

- الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، د. ت.

الذهبي،"شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان"ت(٧٤٨هـ/ ١٣٤٧ م)

- تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧.
- العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د/ عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت والتي صدرت من ١٩٩٠، ٢٠٠٠.
- سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١.

ابن سعد، "أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع"ت(٢٣٠هـ/ ٨٤٤ م)

- الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، د. ت.

السيوطي، "جلال الدين"ت(٩١١هـ/ ١٥٠٥ م)

- تاريخ الخلفاء، تعليق: جمال محمود مصطفى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.
- مهذب تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، تحقيق: د/ محمد بن لطفي الصباغ، وقف الأنصار، طيبة الطيبة، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٩٩.

الشماخي، "أحمد بن سعيد بن عبد الواحد" ت(٩٢٨هـ/ ١٥٢١م)

- السير، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٨٧م.

الشهرستاني،"محمد بن عبد الكريم بن أحمد"ت(٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)

- الملل والنحل، تقديم وإعداد: د/ عبداللطيف محمد العبد، مكتبة الأنجلو مصرية، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م.

ابن الصباغ، "علي بن محمد بن أحمد"ت(٨٥٥هـ/ ١٤٥١ م)

- الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة، دار الأضواء، بيروت، د. ت.

الطبري، "أبو جعفر محمد بن جرير"ت(٣١٠هـ/ ٩٢٢ م)

- تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٨٨م.

ابن عبد ربه، "أبو عمر أحمد بن محمد"ت(٣٢٨هـ/ ٩٣٩ م)

- العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وآخرون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.

ابن العماد، "شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الدمشقي"ت(١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

ابن قتيبة، "أبو محمد عبد الله بن مسلم"ت(٢٧٦هـ/ ٨٨٩ م)

- الإمامة والسياسة، تحقيق: خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، د.ت.

- المعارف، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.
- عيون الأخبار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣.

ابن كثير، "عماد الدين أبو الفداء إسماعيل"ت(٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)

- البداية والنهاية، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

الكندي،"أبو عمر محمد بن يوسف"ت(٣٥٠هـ/ ٩٦١م)

- الولاة والقضاة، تهذيب وتصحيح: رفن كست، دار الكتاب الإسلامي، د.ت.

المسعودي، "أبو الحسن علي بن الحسين بن علي"ت(٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)

- إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٩٧٣م.

المقدسي، "مطهر بن طاهر"ت(٥٠٧هـ / ١١١٣م)

- البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت.

المقريزي، "تقي الدين أحمد بن علي"ت(٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار تقديم: د/ محمد مصطفى زيادة، دار التحرير عن طبعة بولاق، ١٢٧٠هـ.

ابن منظور، "جمال الدين أبو الفضل"ت(٧١١هـ/ ١٣١١م)

- لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

ابن النديم، "محمد بن إسحق"ت(٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)

- الفهرست، تحقيق: د/ محمد عوني عبدالرؤوف وزميلته، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦.

النويري، "شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب"ت(٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)

نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبدالمجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

ابن هشام، "أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري"(ت ٢١٣هـ)

"السيرة النبوية"تحقيق محمد شحاتة إبراهيم، مكتبة فياض، د. ت.

الوطواط، "أبو إسحق برهان الدين إبراهيم"ت(٧١٨هـ/ ١٣١٨ م)

- غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.

اليعقوبي،"أحمد بن أبي يعقوب بن واضح"توفي بعد سنة(٢٩٢هـ/ ٩٠٤ م)

- تاريخ اليعقوبي، دار صادر بيروت، د. ت.

ثانيًا: المراجع العربية:

"أحمد أمين"(دكتور)

- فجر الإسلام، أين دار النشر القاهرة، ١٩٤١.
- ضحى الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت.
- ظهور الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م

أحمد سالم (دكتور):

- دولة السلطان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١١.
- نقد الفقهاء لعلم الكلام بين حراسة العقيدة وحركة التاريخ، دار رؤية، القاهرة، ٢٠٠٨.

أحمد بن صالح آل عبد السلام:

- تاريخ الوقف عند المسلمين وغيرهم، د.ت.

أحمد فؤاد الأهواني (دكتور)

- التربية في الإسلام أو التعليم في رأي التابعي، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٩٥٥م.

"أحمد الكاتب"(دكتور)

- تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، دار الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

أبو الأعلى المودودي:

- الخلافة والملك، ترجمة أحمد إدريس، دار القلم، الكويت، بيروت، ط١، ١٩٧٨.

جمال حمدان: (دكتور)

- العالم الإسلامي المعاصر، عالم الكتب، القاهرة، د.ت.

جمال الدين القاسمي:(دكتور)

- تاريخ الجهمية والمعتزلة، مؤسسة الرسالة، لبنان، د.ت.

جرجي زيدان:

- تاريخ التمدن الإسلامي، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩٣١.

"**حسن إبراهيم حسن**"**(دكتور)**

- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٤م.

حسن حنفي (دكتور)

- علم أصول الفقه، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة، د.ت.

حسين عطوان (دكتور)

- الفقهاء والخلافة في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١.
- الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٦.

حسن علي حسن :

- أهل الذمة، القاهرة، ١٩٨٨.

زكي محمد حسن:

- بعض التأثيرات القبطية في الفنون الإسلامية، مجلة جمعية الآثار القبطية، العدد الثالث، القاهرة، ١٩٣٧.

أبو زيد شلبي(دكتور)

- تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٤.

سعيد القحطاني:

- موقف التابعين وأتباعهم في الدعوة إلى الله، مؤلفات سعيد القحطاني، الرياض، ١٤٢٥.

السيد عبد العزيز سالم(دكتور)

- تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٧.

"**سيدة إسماعيل كاشف**"(دكتور)

- مصر في فجر الإسلام، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، طبعة ١٩٧٠ وطبعة١٩٩٩م.
- عبد العزيز بن مروان، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.
- الوليد بن عبد الملك، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، د.ت.

شمس الدين:

- واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، د.ت.

شوقي ضيف:(دكتور)

- العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣.

صالحة السفياني:

- المساجد في القرن الأول الهجري، مكة المكرمة، ١٤٢٤.

"**صبحي الصالح** ":

- مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٩٧٧.

صفاء عبد الفتاح:(دكتور)

- الحركة الإباضية في المدينة المنورة(١٢٩- ١٣٠هـ/ ٧٤٦- ٧٤٧م) المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، ١٩٩٥.

صفي علي محمد:(دكتور)

- الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح العربي إلى نهاية الدولة الإخشيدية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.

عامر النجار:

- الإباضية ومدى صلتها بالخوارج، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، د.ت.
- في مذاهب الإسلاميين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م.

"عبد الله البري"(دكتور)

- القرآن وعلومه في مصر من ٢٠هـ، الى ٣٥٨هـ، القاهرة، دار المعارف، د.ت.

عبد اللطيف حمزة (دكتور)

- الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩.

"عبدالحليم النجار":(دكتور)

- في قراءات القرآن، القاهرة، د.ت. دار النشر

"عبد العزيز الثعالبى"

- سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية(١٣٢هـ/ ٧٥٠م)، تحقيق: حمادة الساحلي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

عبد المجيد محمود:

- أبو جعفر الطحاوي وأثره في الحديث، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥.

عبد المجيد الصغير:(دكتور)

- الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام، دار المنتخب، بيروت، ١٩٩٤.

عبد المنعم ماجد(دكتور)

- التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الخلفاء الأمويين، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٨٢.

عصام الدين عبد الرؤوف(دكتور)

- الحواضر الإسلامية الكبرى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٧٦.

علاء حس مردان السبتي(دكتور)

- الفقهاء ودورهم السياسي في الدولة الأموية الحسن البصري أنموذجًا، كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلامية، ٢٠١٣.

"**علي حسني الخربوطلي "(دكتور)**

- تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م.

عوض خليفات

- نشأة الحركة الإباضية، دون دار نشر، عمان.

فاطمة عامر:

- تاريخ أهل الذمة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩.

محمد أرشيد:

- الخليج العربي في العصور الإسلامية منذ فجر الإسلام حتى مطلع العصور الحديثة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٨٣.

محمد الحسيني عبد العزيز:

- الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، وكالة المطبوعات، الكويت، د.ت.

"**محمد سهيل طقوش "(دكتور)**

- تاريخ الدولة الأموية، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١م.

محمد عزب الدسوقي(دكتور)

- القبائل العربية في بلاد الشام، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨.

محمد عليان(دكتور):

- نشأة الحركة الإباضية في البصرة ومناقشة دعوى تأسيس جابر بن زيد، دار الهداية، القاهرة، ١٩٩٤.

"**محمد فياض "(دكتور):**

- نشأة التشيع "وإشكالية خلافة الرسول حتى مقتل الحسين"القاهرة، دار رؤية، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- فرق الشيعة النشأة والتطور والعمل السياسي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٣.
- التشيع الشعبي في العراق، دار روافد، القاهرة، ٢٠١٦.

محمد قرقش:

- عُمان والحركة الإباضية، مكتبة مسقط، عُمان، ١٩٩٠.

محمد كرد علي:

- الإسلام والحضارة العربية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٨.

محمد يوسف موسى:(دكتور)

- الفقه الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

محمود إسماعيل(دكتور):

- الخوارج في بلاد المغرب، دار رؤية، القاهرة، ٢٠١٠.

"**المدرسي**":

- الإمام الكاظم قدرة وأسوة، دار نشر المدرسي، طهران، د.ت.
- الإمام جعفر الصادق، دار نشر المدرسي، طهران، د.ت.

موفق نوري:

- العامة والسلطة في بغداد، دار الكتاب الثقافي، الأردن، ٢٠٠٥.

وهدي جاد الله:

- المعتزلة، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

<u>ثالثًا: المراجع المترجمة:</u>

آدم متز:

- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو(عصر النهضة في الإسلام)، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٥، دار الكتاب العربي، لبنان.

ألبرت حوراني:

- تاريخ الشعوب العربية، ترجمة نبيل صلاح الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧.

برنارد لويس:

- لغة السياسة في الإسلام، ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٣.

بروكلمان "كارل":

- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٦٨.

- تاريخ الأدب العربي، د.ت.

ترتون:

- أهل الذمة في الإسلام، ترجمة حسن حبشي، الهيئة العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤.

جرونيباوم "جوستاف فون":

- حضارة الإسلام، ترجمة: عبد العزيز توفيق، الهيئة العمة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م.

جولد تسهير "إجناس":

- العقيدة والشريعة في الإسلام، تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الإسلامية، ترجمة: محمد يوسف موسى وآخرون، دار الرائد العربي، بيروت، طبعة مصورة عن دار الكتاب المصري، ١٩٤٦.

حوراني"ألبرت":

- تاريخ الشعوب العربية، ترجمة نبيل صلاح الدين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م.

ديلاسي أوليري:

- مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢.

زيغريد هونكة:

- شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوقي، دار الجيل، بيروت، د.ت.

سيد أمير علي:

- روح الإسلام، ترجمة: أمين محمود الشريف، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦١.

فلهاوزن "يوليوس"

- الخوارج والشيعة- المعارضة السياسية الدينية، ترجمة: د/ عبد الرحمن بدوي، الطبعة الخامسة ١٩٩٨.

- تاريخ الدولة العربية، ترجمة: د/ محمد عبد الهادي أبو ريدة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٥.

فلوتن "فان"

- السيادة العربية والشيعة الإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة: د/ حسن إبراهيم حسن، محمد زكي إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٥.
- السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أمية، ترجمة: د/ إبراهيم بيضون، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

رابعًا: الرسائل العلمية:

حسن محمد حسن دراوشة:

- مروان بن محمد دراسة تاريخية في أبعاد الصراع على الحكم، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠١٧.

سمية الوافي:

- التعليم في الشام في العصر الأموي، رسالة ماجستير، كلية التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٨هـ.

عوض الشرقاوى:

- التاريخ السياسي والحضاري لإباضية جبل نفوسة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠٠٦.

وجيه ذوقان:

- ولاية العهد في العصر الأموي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٥.

خامسًا: المراجع الأجنبية

Creswell:

- Coptic influences on early muslim Architecture Extrait, Buletien de la societe d' Archologie copte, le Caire,

was sometimes employed in political opposition. The chapter also discussed the role of the clerics in the dissemination of religious sciences in the Umayyad era, as well as the role of the Umayyad court as one of the most prominent institutions supporting the religious sciences, and He discussed how the scientific movement of opposition leaders in the Umayyad era, religious rites, and the endowments in the Umayyad period.

Chapter IV: Motives for the interest of the Umayyads in supporting and sponsoring the religious sciences:

This chapter discussed many issues, as began to talk about the emergence of parties opposition religious and their impact on the support of the Umayyads for religious sciences, As well as the hidden Umayyad strategy to support religious sciences, And monitoring Umayyad policies to support religious sciences as a final outcome of the study idea.

The Umayyad Caliphs and their family contributed in supporting and sponsoring religious sciences in various way، the study included an introduction, a preface, four chapters and a conclusion Were as follows:

Preface: discusses the establishment of the Umayyad state

Chapter I: Religious Sciences in the Umayyad Period and the most prominent scholars:

Discuss the status of the science of readings, interpretation, the Prophet's Hadith, the science of jurisprudence, the most prominent scientists in the Umayyad state and monitor the support of the Umayyad political science and scientists

Chapter Two: Nature of the relationship between the Umayyad authority and the religious scholars

This chapter examines the role of religious scholars and scholars in the Umayyad era and their relations with the men of authority, And research in this issue through their relationship with the caliphs, specifically Muawiya bin Abi Sufian, and Yazid bin Muawiya, and Marwan bin rule, And monitor the situation of the revolution of Abdullah ibn al-Zubair, as well as the era of Abdul Malik bin Marwan, and Walid bin Abdul Malik, and Suleiman bin Abdul Malik, Omar bin Abdul Aziz, and Yazid bin Abdul Malik, Hisham bin Abdul Malik, Marwan bin Mohammed, The chapter also discussed the Hajjaj bin Yusuf as one of the most prominent men of the Umayyad authority. The chapter also examined religious scholars and the soft opposition with the Umayyad authority, as well as the role of political factors in shaping the relations between the authorities and the jurists in the Umayyad era.

Chapter III: Main Institutions of Religious Science and Its Founders

This chapter discussed the important role played by scientific institutions such as mosques, this chapter examines how the pulpit



Faculty of Dar Al Uloom

Islamic History Section

And Islamic civilization

Scientific thesis submitted for Ph.D

Entitled

The role of the Umayyads in supporting and nurturing the " religious sciences in the Islamic Mashreq

(41-132e / 661-750m)

"Historical Study"

Setting up the researcher

Yousef Rashed Rashdan

Supervision

Prof. Dr. Mohamed Sayed Kamel

Head of Department of Islamic Histor

Faculty of Dar Al Uloom - Minia University

Prof. Ahmed Abdel Salam Nassif

Head of History Department-

Faculty of Arts- Tanta University

2018/2019